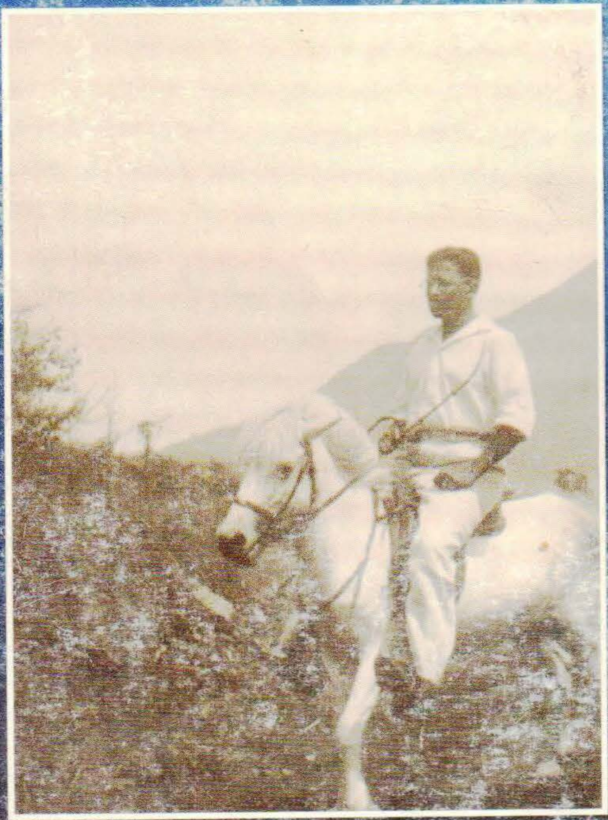
رحلة جاوا الجميلة

وقصة دخول الإسلام إلى شرق آسيا



صالح بن علي الحامد

تريم للدراسات والنشر

رحلة جاوا الجميلة

صالح بن علي الحامد

رحلة جاوا الجميلة

وقصة دخول الإسلام إلى شرق آسيا

تريم للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء 305/ 2002

الطبعة الأولى 1423هـ الموافق 2002م

تريم للدراسات والنشر

تـ: 418888 تريم حضرموت - الجمهورية اليمنية

التنفيذ الطباعي

مركز عبادي للدراسات والنشر ص. ب : 662 - صنعاء
ت: 219618 / فاكس: 219619 الجمهورية اليمنية

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام عَلى نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم .

سبق عند إصدارنا الأعمال الشعرية الكاملة لشاعر الأحقاف السيد صالح بن علي الحامد الإشارة بأن نشر هذه الأعمال يأتيَ في ظل الاهتمام المشترك بين أولاد المؤلف ومركز تريم للدراسات والنشر. وفي ظل هذا الاهتمام يأتي إصدارنا الثاني للسيد صالح بن علي الحامد وهو عمل أدبي من آداب الرحلات. وما يميزه عن أي رحلة أخرى هو تعرضه لجانب تاريخي هام، حاول كثير من الكتاب عند التعرض لهذا الجانب، وهو دخول الإسلام إلى شرق آسيا، أن ينسبوا ذلك لهجرة التجار العرب بقصد أو بغيره . فقد أفرد المؤلف جانب من رحلته لهذا الموضوع وأوضح دور الهجرة اليمنية وبالذات الحضارم في نشر الإسلام في شرق آسيا.

نأمل أن يستمر تعاوننا مع أسرته .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لله الذي نطق بوحدانيته هذا الوجود، وشهد بجماله كل جمال موجود وموعود، نور السماوات والأرض الذي تحلت بجماله الكائنات، واستمدت من جلاله المخلوقات، فظهرت للعيان آيات بينات، تشهد بعظمته، وباهر قدرته:

وفي كل شيء له آيه تدل على أنه واحد

خلق الإنسان وعلمه البيان، وبراء هذه الأكوان، على نهاية النظام والإتقان، وفي غاية الإبداع والإحسان، وابرز من بدائع خلقه وروائع صنعه ما يدل العقل على وحدة الديّان ويحدو الفكر إلى كمال الإيمان، مما فيه الهام الشاعر وبهجة الأديب، وبغية العالم وعبرة المنيب:

مظاهر للجمال متى تجلت بباهر حسنها ذكر الإله

أراد جلاّ وعلا من عباده أن ينظروا في روائع حكمته عن خبره وفهم، وأن يتفكروا في باهر صنعته عن بصيرة وعلم، فارشدهم لأن يسيروا في الأرض، وأن يضربوا في طولها والعرض فيمشوا في مناكبها ويتفكروا في محاسنها وعجائبها، ويقفوا على مكنوناتها وغرائبها تعلما واختبارا، وتبصرا واعتبارا وتمتعا بجمال الكون وإذكاراً:

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج، والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، ونزلنا من السماء ماء مباركاً فانبتنا بها جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد) .

وصلى الله وسلم على نبيه الخاتم الأمين محمد ذوي الخلق العظيم والقول الرصين وآله وصحبه والتابعين أجمعين.

أما بعد :

فغير خاف على القارئ اليقظ، شأن جزائر الهند الشرقية الهولندية ومكانتها في العالم، وما آتاها الله من حسن الموقع وخصوبة التربة وجمال المنظر، حتى أصبحت من أهم بقاع الدنيا وأشهرها، وذلك راجع لجمالها ولخصوبتها ولكثرة ما تنتجه من المواد الضرورية والخام وما تصدره من ذلك إلى أنحاء العالم، ومنذ وضعت هولندا يدها على هذه الجزائر ودول العالم تنظر شزرا إليها نظر الطامع حاسدةً هولندا على هذه الثروة التي سيطرت عليها منذ عهد وجعلتها ملكا لها، وتم لها ذلك لا بكثرة عدد الشعب الهولندي ولا عديده ولا قوته ولا شدة بأسه، وإنما بالسبق والحظ فقط.

وكان لهذه الجزائر في العالم الإسلامي بالأخص شهرة أكثر وأهمية أعظم، وذلك لقدم تسرب الدين الإسلامي الأقدس إلى هذه الجزائر . ثم شيوعه بها حتى أصبح الدين الشعبي العام لسكان هذه الجزائر وبذلك غدا نحو ستين مليونا من مجموع مسلمي العالم منتسبين إلى هذه الجزائر.

وهذه الجزائر متعددة كثيرة إلا أن أهمها وأعظمها هي هذه الجزر الأربع:

سومطره، برينو، سليبس، جاوا، وكانت الأخيرة رغم كونها أصغر اخواتها وأقل مساحة أهم بكثير منها إذ كانت أخصب منها تربة وأعجب موقعا، علاوة على كونها أجمل جدا وأكثر متنزهات ومباهج طبيعية، وهذا وسواه جعلها تحتوي على عدد من السكان قد يزيد على ثلثي مجموع سكان الجزائر الهند الشرقية الهولندية بأسرها، وجعل النفوس تهفو نحوها وتهرع إليها بتشوق، مدفوعة مع هذه الجاذبية .

فلا غرو إذا وجهت إليها الحكومة الهولندية اهتماما أكثر وعناية أقوى، وجعلت منها مركز للسيطرة على سائر هاتيك الجزائر، واختصت (بتافيا) إحدى مدنها بأن صيرتها عاصمة لجميع جزر الهند الشرقية الهولندية واعتبرت جاوا أثمن جوهرة في ذلك العقد الذي تزدان به الامبراطورية الهولندية .

ومن جهة أخرى فقد كان لجاوا في وجهة نظر العرب الحضارمة مكانة سامية جدا، وشأن أعظم، وذلك لعلاقتهم السابقة التي يجد القارئ شرحها فيما سيأتي،

ولكونها أصبحت وطنا ثانيا لهم يحتوي على عشرات الألوف من الناطقين بالضاد وممن كانوا هم وآباؤهم من قاطني حضرموت، هذا عدا كونها أصبحت منبع ثروة الحضرمي ومصدر موارده بحيث غدا مركز حضرموت المالي متعلقا تعلقا تاما بجاوا، ويتأثر به قوة وضعفا ورقيا وانحطاطا .

وبعد هذا التعريف بمكانه جاوا ومركزها الحيوي وعلاقتنا – معشر الحضرميين – بها، أقول قد سبق لي أن زرت هذه الجزيرة ثلاث مرات أولاها عام ١٣٤٦هجرية والثانية عام ١٣٥٠هجرية والثالثة عام ١٣٥٤هجرية، وقد عنّ لي عند هذه الزيارة الأخيرة أن أكتب ما تيسر لي كتابته عن هذه الجزيرة الجميلة وتاريخها وسكانها وهجرة العرب إليها وتطورهم، ووصف ما يمكنني وصفه من محاسن هذه الجزيرة وعجائبها ومنتزهاتها تعريفا لقراء العربية بهذه البلاد واطلاعا لمن عسى أن يجهل الكثير عن هذه الجزيرة وأحوال أبناء الضاد بها، وليكون ما أكتبه سجلا لذكرياتي عنها، وعمن عهدت بها من الخلان والأصدقاء ممن جمعتني واياهم أخوة الجنس أو الدين .

فاعتزمت بعون الله على كتابة هذه الرحلة التي كانت بدايتها سنقافوره ونهايتها العودة إليها، على أن اشرح فيها أيامي في جزيرة جاوا الخصيبة وتنقلاتي بين مدنها وقراها وعجائبها ومتنزهاتها وأن أنقل صورة كاملة عن هذه الجزيرة وحالتها الحاضرة والغابره معرفا بتاريخها السابق واللاحق وواصفا الشيء الكثير من جمالها وبهجتها وما أبدعه الخالق عز وجل في هذه الجزيرة من ضروب المفاتن المغرية والمناظر الطبيعية الساحرة التي تبهج عين الناظر وتستهوي فؤاد الحليم واسميتها (جاوا الخصيبة) بادئا بقصة سفري من سنقافورا ثم مثنيا بمقدمة حافلة عن تاريخ جاوا وسكانها وتطوراتها واحوالها الحاضرة العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية إلى غير ذلك، وشارحاً بعد أيامي وتنقلاتي بها، معرفا بكل بلدة عند ذكرها،كما لم اتوان عن ذكر بعض الشخصيات بتراجم لطيفة ارجوا أن لا تكون مخلة بنظام الرحلة وانسجامها وذلك لكي تكون هذه الرحلة مؤلفاً حافلا لتاريخ جاوا الحاضر وتطور العرب والتعريف بشخصياتهم البارزة، راجيا أن يكون عملي هذا خالصا لوجه الله ولوجه الحقيقة والتاريخ..

وها أنا ذا شارع فيما أنا بصدده ..

من سنقافورا إلى بتافيا

في يوم الثلاثاء ١٨ رجب من سنة ١٣٥٤ هجرية جد عزمي على الرحلة إلى جاوه فقصدت ادارة شركة البواخر (المنسفيلد) الانجليزية وأخذت تذكرة في احدى بواخرها المترددة بين سنقافورة واوستراليا، وهناك احطت علما بميعاد سفر الباخرة وأعلنت لأصدقائي الأعزاء أني أصبحت على اهبة السفر عنهم في رحلة سيكون اللقاء بعدها قريبا .

وما حلت الساعة الثانية عشرة (السادسة ع) نصف النهار يوم ٢٠ رجب عام ١٣٥٤ هجرية الموافق ١٧ من أكتوبر من عام ١٩٣٥م . حتى حضر من حضر من أعزاء الإخوان والأصدقاء رغم عذري اياهم عن هذا التوديع فأبى فضلهم ووفاؤهم إلا تشييعي إلى الباخرة لتلك الرحلة القصيرة في مداها وأمدها .

والساعة الثانية عشر (السادسة ونصف ع) بعد أن ودعنا أوفياء الإخوان والأصدقاء وضاق صبر البعض عن انتظار سفر الباخرة فعادوا، تجافت بنا الباخرة عن رصيف سنقافورة شيئا فشيئا ثم انحرفت إلى اليمين ودارت حول نفسها، ذلك لأن سنقافورة كانت نهاية مدى رحلتها من استراليا فبعد أن كان راسها إلى جهة الغرب صار إلى جهة الشرق، وبينما نرى الرصيف إلى يمين الباخرة إذ أنا نراه عن يسارها، فعرفت عزمها على الإقلاع فذهبت إلى خلفها ووقفت على سياجها ناظرا إلى صفحة البحر فإذا هي بدت خلف الباخرة تتكسر وتبيض من الرغو حتى كأنها صفحة زبرجد أصابها تهشم من صدمة، وادركت أن الباخرة تحركت للجري، فنظرت فإذا الرصيف وعليه بعض المودعين يبتعد فكأنما يجري بهم هاربا عنا على عكس الواقع، ومضت الباخرة تدوس غوارب الموج وتشق اديم البحر فصرت أرى البحر كأنه السيل الجارف يجري إلى خلف، وأرى الجزائر من حولي كأنما تجري معنا لتشيعنا حتى إذا أعوزها اللحاق بنا تركتنا واستودعتنا الله ...

ولبثت أرسل النظرة تلو النظرة إلى سنقافورة، حتى إذا غابت عني قصورها

الشاهقة وعماراتها الفخمة، ولم تبق إلا نخيلها السامقة ودعتها قائلا :

" وداعا يا عروس ولاية المضيق ولكن إلى الملتقى ...."

وبعد استراحتي في الغرفة واغفائي قليلا تناولت بعض المجلات لأزجي فراغي بالقراءة فوقع نظري على مقال للأستاذ أحمد أمين المصري صاحب كتاب ضحى الإسلام بعنوان : " نظرة في النجوم " نعى فيه على الشرقيين حرمانهم من متعة النظر في النجوم والتملي بالقمر وعدم انتفاعهم بسطوح المنازل إلا عند الحاجة اللازمة كتركيب قوائم الراديو إلى غير ذلك ..

فأذكرني ذلك متعة كنت حرمتها منذ زمن، أعني منذ فارقت وطني إلى ذلك اليوم وبعث لي ذكريات صارت لي وأنا في رحلتي إلى جاوه رحلة أخرى ولكن إلى ماضي قبل أربعة أعوام، ولذة لي كدت من طول ما عدلت عليها – أراني شاذا فيها وهي الأنس – بالظلام والقمر، والتنعم بالنظر إلى النجوم والتمتع بمطالعة وجه البدر الحبيب ..

ذلك أننا – معشر سكان حضرموت – وكذلك أغلب سكان الجزيرة العربية – لسنا كغيرنا ممن أشار إليهم الأستاذ ممن حرموا الانتفاع بسطوح منازلهم بل كانت السطوح في الانتفاع بها عندنا كالغرف تقريبا، ففي الصيف لا يوجد من يبيت مختاراً تحت السقف إلا نادرا، سواء في ذلك سكان المدن وغيرها فلم يوجد هناك والحمد لله أطباء يضايقونهم بالتخويف والترويع من تأثيرات الجو ومغبات النوم تحت قبة السماء.

أما هنا – أعني في سنقافورا – فقد فاتتنا هذه المتعة حتى في الشوارع إذ حرمتنا المدنية الآلية هذه اللذة الهادئة الطبيعية وغمرتنا بأنوارها الكهربائية، حتى صرنا لا نحس بجلال الليل ولا بجمال السماء ودراريها وأقمارها، فتهل الأهلة وتبدر ونحن لا ندري . ويذهب كل ذلك سدى في غمار هذه المدنية، ولله القائل :

جمال الليل في هذه المراعي حقائقه وفي المدن الرسوم

وما انس لا انس ليالي الصيفية بالوطن، حينما آوي إلى فراشي على السطح،

وأطفيء أو آمر باطفاء المصباح واستلقي محدقا إلى السماء، مسرحا نظري في نجومها ودراريها المتألقة مبتهجا بلمعها وازدهارها، سابحا بخيالي في أبعادها الشاسعة، طائفاً بين كواكبها ونجومها اللامعة، وفي الليالي المقمرة أتملى بمطالعة القمر، واتمتع بنوره البهيج، وهو باسطٌ سلطانه على مملكة القبة الزرقاء فأرى الكواكب غريقة سابحة في نور البدر المشع الغامر.

فيطيف بعيني النوم، ونفسي طامحة إلى السماء، وخيالي متجه إلى القمر والكواكب، فلا تذهب بي الأحلام إلا إلى النجوم والبدور والسماء، وتسبح بي في فضاء اللانهاية إلى حيث الفردوس وضلالها وجمالها وما شئت من حسن وبهجة .

أما إذ سرى النوم إلى جفني وعيني رامقة إلى المصباح وهو نار – وحوله الفراش يقتتل ويموت محترقا – .

كانت أحلامي شبيهة بذلك فيها النار والقتال والموت والحريق، فكانت مزعجة يقشعر لها الجلد وترتعد الفرائص هنا ما خطر لي عند قراءتي مقال الأستاذ أحمد أمين ولولا أنه بعث لي ذكرى ترحل بي إلى الماضي من عهدي لما كتبته في هذه الرحلة ولكنه بذلك صار جزءا منها .

وعلوت على سطح الباخرة لأتنزه قليلا واجتمع ببعض الزملاء العرب. وجلست أنا والسيد/ محمد الفاخر العيدروس ننظر إلى البحر وهو كأحسن ما يكون هدوءا وجلالا وكان البر لا يزال ماثلا عن بعد من الجهتين إذا لا نزال نقطع ما بين الجزائر.

وكان المنظر رهيبا رائعا . إذ كانت الشمس قد مالت إلى الغروب لولا أن حالت دونها طبقات من السحب ذات الألوان وكأنما حجبت عنا الشمس لكي لا يشغلنا منظر الشمس عنها، مشعرةً بأنها أحق بالنظر إليها هي، وكانت أشعة الشمس تنبعث لنا من بين لفائف تلك السحب، فنرى في ذلك منظرا رائعا كاللهيب خلف الدخان الكثيف.

وجاء المغرب فصلينا الفريضتين معا جماعة، ونزلت إلى غرفتي، فإذا زميل لي صيني يقلب أمتعته كأنما يبحث عن شيء. فلم أبه. وجلست افتح حقيبتي لحاجة

فإذا بصيحة أو شهقة ورائي، فانذعرت. فإذا الصيني وبين أصبعيه حلقة قد انتظمت فيها بضع مفاتيح. فأدناها إلي قائلا في فرح واستبشار (إن مفاتيحي ضاعت آنفا والآن وجدتها) فقلت: الحمد لله . فلم يفهم ولم يهمني ذلك وإنما حمدت الله على أن كفانا وسائر الزملاء شر تهمة اختلاسها. وما يدريني فربما – لو لم توجد هذه المفاتيح – يصيبني كما يصيب غيري شرار من هذه التهمة .

حتى هجم الليل وارخى سدوله آوى كل إلى سريره وغرق في نوم هنيء . ولم يرعني إلا أحد الزملاء جاء يوقظني لتناول الفطور صباحا فنهضت مذعورا وأديت فريضة الصبح وتناولت ما تيسر من طعام الفطور.

ثم قعدت على مقعد في السطح أتنزه في مباهج السماء وجلال الدأماء، ولا أرى على حاشية الأزرقين إلا ذرى الهضاب من جزيرتي (سومطرا) و(منتون) وقطعانا من السحب مبعثرة هنا وهناك، حتى طلعت يوحى تتقدمها أشعتها البنفسجية منتشرة على الأفق . ثم أطلت من بين الغمائم والهضاب. والقت على زبرجدة الدأماء أشعة كسحالة التبر. وكان ذلك منظراً يأخذ المشاعر ويستهوي النفوس.

ولسوء الحظ كان الطهاة في الباخرة صينيين فكانت نفسي تشمئز من تناول الطعام. فلا أتناول سوى قطعة من الخبز مع الزبد. أقيم بها الصلب، وأداري بها ألم الجوع، إلا عشية هذه اليوم. فقد عطف علي الطاهي وخصني دون زملائي بقطعة من السمك مقلية اساغت لي الطعام فتناولت قدرا يصح أن يسمى عشاء.

أما طقس هذا اليوم فقد كان الجو صاحيا حتى منتصف النهار، فاستوى على السماء الغيم حتى تدلت الشمس للغروب .

وقد استغرق هذا اليوم إلا أقلة مطالعة بعض الصحف، ولم يعرض للعين شيء يستلفت النظر إلا منظر (منتوك) حين مررنا عليها ضحى نحو الساعة الرابعة (عربي) تقريبا أما أخر النهار فقد حملني أطباق الغيم على الاستمرار في المطالعة حتى أتى الليل .

وفي ضحى يوم السبت ٢٢ رجب ظهرت لنا جزيرة جاوا الخصيبة وما كانت

الساعة الثانية عشرة (السادسة إلا ربع عربي) إلا وقد ألقت الباخرة مراسيها أمام (تانجوغ قريوك) مرسى بتافيا ونزلنا من ظهرها حيث تلقانا لفيف من الإخوان العرب – في طليعتهم السيد/ أحمد بن ابراهيم العيدروس، ووطئت قدماي للمرة الثالثة بعد قطع ٥٣٢ كيلو مترا تربة جاوا الخصيبة شاكرا الأقدار التي أتاحت لي معاودة زيارة هذا الفردوس الشرقي الجميل .

جاوا

مسمى جاوا في القديم والحديث

كان مسمى جاوا في اصطلاح العرب قديما من عهد (ابن بطوطة) إلى زمن قريب هو جميع بلاد الملايو وجزائر (برانيو وسليبس وسومطرا وجاوا) وتوابعها، ولا يزال الحضارم إلى اليوم يطلقون هذا الاسم على جميع هذه الجهات إلى الآن، إلا القليل ممن أتيح لهم بلوغ تلك البلاد فعرف حقيقة اصطلاح أهل تلك الجهة .

وقد ذكر (ابن بطوطه) ملك الجاوه مع أنه لم يدخل جاوه المعروفة وإنما دخل جزيرة سومطرا، إذن فلفظ جاوه عندهم كان مطلقا على جميع ما يسمى اليوم (جزائر الهند الشرقية)، وكذلك ذكرها (ياقوت) في معجمه و(المسعودي) في تاريخه .

وفي السيرة المتوكلية: أن الشيخ/ منصور بن يوسف بن منصور المصري الأزهري ورد على الإمام المتوكل غرة عام ١٠٧٣ هجرية وكان له رحلات كثيرة، ومما قال أنه دخل مملكة الجاوه وهي المسماه بانطه (لعلها بانتن Bantan) يعني ظهر الشرق ينتمون إلى الإسلام ولهم ملوك أهل عدل وإنصاف ورجوع إلى الشريعة. ودخل دقطره (لعلها جاكرتا Djakarta) وهي دار الحرب من بلاد الافرنج والولنديس ومن أخبارهم أنهم طلبوا من الشيخ المذكور أن يلبس لباس علماء مصر والروم في الصفات والهيئات فعجبوا لذلك وامروا المصورين فصوروها واشتغلوا بذلك سبعة أيام وأرادوا أن يأخذ منهم شيئا من المال فامتنع وعظم قدره عندهم قالوا يريدون بذلك التبرك بصور انبيائهم. وأنهم صوروا ملبوسة وحمله الكتاب متأبطا له.

والظاهر أن السائح المذكور دخل إلى جزيرة جاوا حقيقة وزار مملكة بانتام بعد إسلامها بمدة ودخل جاكرتا وهي التي تسمى الآن بتافيا لأنها كانت مركز الهولنديين في ذلك العهد. وقد ذكر هذا السائح مملكة (متأرم) وقال أن سلطان متارم أعظم ملوك الإسلام سطوة هناكِ وأنه لا يكاد يحصى جنده كما سنذكر .

هذا بعض ما ذكره مؤلفوا القدامى من العرب، أما جاوا عند سكانها وفي الاصطلاح الجغرافي فهي الجزيرة المعروفة فهي تلك الجنة الاستوائية خصها الله بحظ وافر من الخصب والرخاء وأودعها من بدائع الجمال الطبيعي ما يعجز عنه الوصف ويقصر عن إدراكه الخيال ..

موقع جاوا وجغرافيتها

جاوه .. هي إحدى جزائر الهند الشرقية الهولندية الآن، وهذه الجزائر تمتد من أسيا إلى استراليا، ويقع بين الدرجة ٩٥ ودرجة ١٤١ من خط الطول شرقا وبين الدرجة ٦ شمالاً من خط الاستواء و ١١ جنوبا منه ومجموع مساحة هذه الجزائر مليون وثمانمائة الف ميل (١٨٠٠٠٠٠ميل) مربع .

وتقع جاوه في الجنوب الشرقي من هذه الجزيرة بشكل مستطيل من الشرق إلى الغرب، بين خامس درجة و٥٢ دقيقة وثامن درجة و ٤٦ دقيقة من العرض الجنوبي، ومن الطول الشرقي بين ١٢٠ درجة و٤٠ دقيقة و ١١٢ درجة .

طولها ألف وخمسة وستون كيلومترا، وعرضها مائة وثلاثون كيلومترا، يفصلها عن برنيو شمالا بحر جاوه، وعن سومطرا غربا بوغار السند Sund ، وعن بالي شرقاً بوغار بالي Ball ووراءها من الجنوب الاقيانوس الهندي .

ومجموع مساحة جزيرة جاوه مع مدوره مائة وواحد وثلاثون ألفا وستمائة وأحد عشر كيلومترا مربعا.

وهي جزيرة حسنة الموقع جميلة خصيبة غزيرة الأمطار غنية بثروتها النباتية إذ اجتمع بها من ضروب النباتات من أزهار وفواكه ومن الأشجار المتنوعة ما

يعجز عنه الحصر، ومع ذلك فهي غنية بثروتها الحيوانية إذ حوت من أنواع الحيوانات الثديية ما يبلغ عدده ستمائة نوع، ومن الطيور ما ينيف على ألفي جنس أما الزواحف فلم يحصى عددها إلى الآن .

وطقسها حار رطب كثير الرطوبة ودرجة الحرارة تكاد تكون ثابتة متساوية طوال أيام السنة، على أن بها مرتفعات معتدلة الهواء ذات نسيم عليل، أما على قمم الجبال فالبرد شديد، وتهب فيها رياح موسمية شرقية جنوبية حارة من مايو إلى اكتوبر ورياح موسمية غربية ممطرة من شهر ديسمبر إلى فبراير.

وبجاوه سلسلة من الجبال ممتدة من شرقها إلى غربها وبها عدد كبير من البراكين وأعلاها بركان (سميرو Smero) ويبلغ ارتفاعه ٣٦٧٦ مترا، ويليه في الارتفاع جبل (سلامت) وطوله ٣٤٣٢متراً وعلى راسه بركان أيضاً .

تاريخ جاوا

دل اكتشاف بعض الأدوات الحديدية وبحث علماء الآثار على أن الفؤوس والرماح كانت من أدوات العهد الحديدي السابق للتاريخ، وعدا ذلك فقد اكتشفت بعض أجزاء من هيكل المخلوق المسمى (*Bithecanthrofus Erectus*) وهو من نوع الإنسان القردي أو الإنسان الفوسيلي الذي يظن بعض العلماء أنه من الحلقة المفقودة في رأي داروين، ويظن البعض احتمال أن هؤلاء الأناس الفوسيليين هم أصل السكان القدماء وعليه ينبني احتمال كون جاوا كانت مهد البشر .

أما بعد ذلك فلا يعرف شيء إلا النزر اليسير عن جاوا من قبل ألفي عام وقد تسلط الهنود عليها في مستهل التاريخ المسيحي، وكان مبدأ ذلك فيما قيل زيارة الهندو (ايي كاكا Ajecaka) في حاشية عظيمة وكان أميرا أو وزيرا هنديا وإليه ينسب إنشاء أول دولة هندية في جاوا الوسطى، وبعد أن رسخت أقدامهم وتملكوا زمام الأمور فيها أسسوا عدة دول – منها :

– دولة باجاجاران Badjaran غرب جاوا .

- دولة ماجوباهيت Madjabait شرق جاوا .

وقد امتد سلطان الدولة الأخيرة إلى جزر بالي Bali والملوك Molucca وطرفا من برنيو Borneo وكانت اللغة السنسكريتيه هي لغة البلاد الرسمية ويوجد بها الآن كثير من الكلمات الجاوية من أصل سنسكريتي .

وفي ذلك العهد تقدمت الزراعة وطرق الري كما ازدهرت الفنون وارتقت الصناعة، وتخرج مهرة الصناع والنحاتين الذين بهروا العالم بما خلفوا من آثار للفن في معابد بورو وبودور boro budur وشندي سيو ومندوت التي تعد من عجائب الدنيا ويرجع تاريخ الأول إلى سنة ٨٥٠ ميلادية .

دخول الإسلام إلى جاوا

يخفى على كثير من الباحثين كيف ومتى دخل الإسلام إلى جزائر الهند الشرقية، ونحن نعترف بأن الغموض كان سائداً على ذلك، غير أنه لم يكن طبيعيا، ولكن هناك أيدي خفية تثير الغبار حول هذا الأمر محاولة جهدها خفاءه وتجهد أن تلقى أمام الأعين ستارا كثيفا دون الحقيقة في هذا الشأن، وذلك بانشاء الدروس وانتحال الروايات التي تبعث على الارتياب في كل ما يروى عن دخول الإسلام إلى هذه الجزائر، كل ذلك علها توفق إلى ستر الحقيقة وأن تسدل على ما تقتضيه الوثائق المحفوظة والآثار المعروفة ذيل العفاء ولكن هيهات .

المعروف أن دخول الإسلام إلى جزائر الهند الشرقية كان على أيدي العرب، وقد نقل الأمير شكيب أرسلان في تعاليقه على حاضر العالم الإسلامي ذلك عن علماء هولندا، ومنهم المسيو/ بيارغونو Gonnand Biere صاحب كتاب الاستعمار الهولندي لجاوا وفان دربرغ Van Der Berg صاحب كتاب حضرموت والمستعمرات العربية في الأرخبيل الهندي والدكتور/ شريبر Schreibar والمؤرخ/ فات Vet وغيرهم .

أما الوطنيون فأمثال المؤرخ (K.A.Bongo & H.A.B. & K.S.H.Sjoso

(K.H.Den) كما ذكره بعض الباحثين المحققين في مجلة النهضة الحضرمية وكما فصل بعض ذلك الأمير شكيب ارسلان في حاضر العالم الإسلامي وقد نقل أنه وجد تجار من العرب في كانتون (Canton) بالصين في منتصف القرن الثامن ميلادي، ثم صار بيدهم زمام التجارة في الشرق من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي حتى جاء البرتغاليون فتغير الحال، وهذا مما يؤيد ذلك .

وقد ذكر الرحالة البندقي/ ماركو بولو Marko Bolo الذي امضى مدة في شاطئ سومطرا الشمالي سنة ١٢٩٢م عن سكان البلدان في مملكة بارلك (Barlk) أنهم اعتنقوا الإسلام بواسطة التجار العرب.

والمنقول أنه في عهد دولة باجاجاران (Badjajaran) اسلم أول أمير هندي واسمه/ حاجي بورا (Hadji paora) في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي .

قالوا وفي عهد مملكة مجاباهيت (Madjapahit) نشر مولانا إبراهيم الديانة الإسلامية في قرية ليران (Leran) القريبة من بلدة قرسي وبعده أتى مبشرون إسلاميون انتهزوا الفرصة للدعوة لهذا الدين القويم بالتي هي أحسن واتقنوا وسائل الدعوة وطرق الهداية إلى الإسلام سراً، ثم لما رأوا النجاح واقبال الناس على تلبيتهم بالتبشير به حتى صارت لهم شوكة اصبحوا بها يستطيعون مقاتلة معرقليهم ومعترضيهم واستعمال وسائل الشدة إذا احوج الأمر إلى ذلك .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر أصبح ثمانية أمراء من الأهالي الملقبين / سوسو هونان (Sasuhunan) (سلطان) مسلمين، وقد دارت رحى الحرب بين دولة ماجا باهيت (Majapahit) وبين الثمانية أمراء المسلمين تحت رئاسة (رادين فلتاه) الذي كان أميرا من دولة ماجاباهيت واعتنق الإسلام، وبعد حرب جرت أربع سنوات كانت الدائرة فيها على المسلمين، لم المسلمون شعثهم مرة أخرى وحاربوا اعدائهم ببسالة فهزموهم بعد موقعة حاسمة دارت خمسة أيام انكسرت فيها جيوش ماجاباهيت. فكانت الضربة القاضية لم تقم لهم بعدها قائمة وذلك سنة ١٤٧٥م، أما ملك ماجاباهيت فمات منتحرا وقد هرب بعض عائلته وكذا بعض المتعلقين به إلى

سفح جبل بروبو، حيث مازالوا مقيمين منعزلين فيه إلى الآن .

وبسقوط دولة ماجاباهيت انهارت الديانة البوذية، وازداد دخول سكان هذه الجزيرة وأمرائها في الدين الإسلامي حتى عم تلك الجزائر، وإن كان عمومه فيها بطيئا كما يظهر، ففي السيرة المتوكلية للجرموزي عن الرحالة الشيخ/ منصور بن يوسف بن منصور المصري الأزهري السالف الذكر الوارد على الإمام المتوكل اسماعيل إمام اليمن ١٠٧٣ هجرية : أنه دخل إلى أرض مقاصر (مكاسر) وبينها وبين بانطه (لعلها بانتن) مسافات كثيرة، وهي بلاد الشرق الأقصى مما يلي بلاد الصين وهم ينتمون إلى الإسلام حديثو عهد به، قال الشيخ المذكور : أنه أخبره بعض ملوكها واسمه (قرسما) بمعنى صاحب القدر الكبير أن للإسلام منذ دخل بلادهم ثلاث وستون عاما، وغالب ملوكهم التكبر والتجبر، وأن السلطان إذا قام قعد كل أحد؟؟ وإذا مشى كذلك ولايتحركون عند مشيه وقيامه، ولا ينتقلون من مواضعهم وكل منهم جاعل يديه عند أنفه، وذلك عندهم بمثابة السلام، وعقوبة من خالف ذلك القتل مع المسارعة إلى قتل النفوس لغير ذلك السبب" أ.هـ . كلامه وهذا يدل على أن بعض بقاع من تلك الجزائر لم تهتد بنور الإسلام إلا بعد زمن طويل، وهو موافق تقريبا لما نقل من أن (ابن تونيجالو) ملك (مكاسر) لما آل إليه الأمر اسلم على يد رجل ماليزي من مدينة (منانغ كابو) من سومطرا اسمه (داتورى بانداغ) وذلك سنة ١٦٠٣ وعقب ذلك سريان الإسلام بين جميع المكاسر .

هذا ما أردنا نقله مما يدل على أن دخول الإسلام إلى تلك الجهات لم يكن إلا بواسطة العرب وأنهم هم الذين تحملوا تأدية الدعوة إلى تلك الجهات على كواهلهم .

وإذا اتضح أن دخول الإسلام إلى تلك الجزائر النائية التي تحتوي الآن على أكثر من ستين مليونا من المسلمين كان على أيدي العرب الأشاوس مباشرة فلندل الآن ببيان : من هم أولئك العرب وإلى أي أصل وبلد ينتسبون وفي أي عصر ابتداء هذا الدين الأقدس يسري بنوره في تلك الأصقاع فتشع به صدور أبنائها إذ هرعوا له زرافات ووحدانا ليقتبسوا من نوره ويكرعوا من حياض قدسه .

ذكر المؤرخون أن الإسلام قد دخل إلى سومطره من عهد قديم أي من حوالي القرن السابع الهجري، فقد ذكر العلامة/ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الانصاري الدمشقي/ شيخ الربوه في تاريخه المسمى (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) المطبوع في بطرس بورغ عام (١٨٦٥م – ١٨٨١م) المتوفى سنة ٧٢٧ هجرية كما نقله عنه أحد الباحثين في مجلة النهضة المذكورة آنفا : جزائر (السيلا) و(السلاّ)، و(الياقوت) و (العلوية) ثم ذكر أن العلويين الفارين من الأمويين والحجاج دخلو البحر الزفتي واستوطنوا بالجزيرة المعروفة بهم إلى الآن، ثم ذكر منها (كروى) و(سمطار) قال الباحث: (وهذا يدل على أن المراد بها الجزيرة المعروفة بسمطرا، وأما المدينة المسماه بالعلوية فقد اندرست كما اندرست مدن سمطرا القديمة مثل (فاسي) و(سرحي) وغيرهما ولا يزال في سمطرا موضع يسمى (علوي) أو علوى وليم فالله أعلم . أ.هـ.

وما ذكره صاحب (نخبة الدهر) يثبت وجود العلويين في ذلك العهد غير أن التحقيق يدل على أن الخبر بلغة محرفا أو زاد فيه بحسب رايه وظنه أن هؤلاء العلويين كانوا فارين من بني أمية أو الحجاج .

فالمعروف أن أولئك العرب الطامحين الذين أدخلوا الإسلام إلى جاوا وما حولها، هم السادة آل عظمت خان العلويين الحضرميو الأصل، خرج جدهم عبد الملك بن علوي عم الفقيه المقدم في أواخر القرن السادس الهجري من قسم عند ثورة الخوارج وهجومهم على تريم بحضرموت في تلك الآونة، وقصد الهند هو وجماعة من السادة العلويين وانتشرت ذريته هناك ببروج وأحمد أباد وما بينهما، وقد سميت هذه البلاد فيما بعد (كجرات) وترقى ابنه (عبدالله بن عبدالملك) عند ملوك الهند حتى بلغ رتبة (الخانات) وكان للخان عندهم عشرة آلاف جندي ولمن يلقب بملك ألف جندي ولمن يلقب بأمير مائة جندي، واعطي عبدالله المذكور لقب عظمت خان لمكان شرفه ونسبه، ومن ابنائه أحمد شاه الذي استوزره ملك الهند لذلك العهد .

ولما ثارت الفتن ببلاد الهند في القرن الثامن الهجري فرّ من أبناء أحمد شاه أحد عشر رجلا بنسائهم وعائلاتهم وخدمهم فمنهم من نزل جاوا ومنهم من نزل غيرها .

واشهر هؤلاء السادة : هو جمال الدين الحسين بن أحمد شاه عظمت خان والجاويون يسمونه (جمادي الكبرى) وبعضهم يقول (جمال الدين اقوغ) وابنه السيد/ إبراهيم بن الحسين، وهذا نزل بأرض كمبوجا بمقاطعة جمفا (الهند الصينية الفرنسية اليوم) وهناك تزوج بنت الملك . وشرح أحوالهم يطول والقصد أولا بيان شخصية جمال الدين عظمت خان وسيرته :

ولد جمال الدين بن الحسين بالهند بقرية تسمى (نصر أباد) أو بمحل يقرب منها وجاء إلى جاوا هو واخوانه حاملين الألقاب الهندية وهذه أسماؤهم : –

١– السيد جمال الدين الحسين .

٢– السيد بركات الملقب ثناء الدين والجاويون يقولون ثئدين.

٣– السيد يحيى كمال الدين .

٤– السيد علي محيى الدين أمير .

٥– السيد أمير إبراهيم المجاهد .

٦– الشريف الغازي زين الدين .

٧– أمير أحمد علي .

٨– أمير أبو عبدالله .

٩– ناصر شفاء العارفين .

١٠– صلاح الدين محمد .

١١– السلطان الأكبر نور.

أما مراكبهم ذوات المجاديف فهي :–

١– هداية الرحمن

٢– فتح الأرزاق

٣- بركة الرسول

٤- بركة الإسلام

٥- بيرج

٦- دافور

٧- فتح السلام

٨- نسر البحر ... وغيرها .

وقد نزل جمال الدين الحسين عند مجيئه إلى جاوا قرية عمفيل، وأقام بها في نشر الإسلام والدعوة إليه سنة ونصفاً، ثم غادرها قاصدا بلاد الماهيرا - ترناتي عمبون وهي التي يقال لها جزائر الملوك. وكان بها اخوة السلطان الأكبر نور - أي الملقب بذلك كما تقدّم - فلم يطب له المقام فعاد إلى بلاد البوقيس حيث أقام ببلد (تواجؤ) أو (واجؤ) ونشر الإسلام بها حتى توفى بها وقد اسلم ملك (كوتاى) في بورينو على يد تلامذته وسمي بعد (السلطان أدريس) .

ثم جاء من (كمبوجا) إلى جاوا بدلا عنه حفيده مولانا السيد/ علي رحمه الله ابن إبراهيم ابن جمال الدين الحسين ليقوم بالمعهد الإسلامي الذي أسسه جده وقد صحبه العالم المجاهد/ أبو هريرة أبن ملك جمفا وكان قد تخرج على يد السيد إبراهيم (المقدم ذكره وأنه نزل كمبوجا) بجمفا (الهند الصينية الفرنسية الآن) .

وكان الشيخ / ابو هريرة هذا عظيم القدر والأثر في نشر الإسلام والدعوة إليه وهو الذي أرسله آل عظمت خان، والسلطان عبد الفتاح إلى أبيه ملك ماجاباهيت (برأوجايا) الخامس ليدعوه إلى الإسلام ويناظر البراهمة بين يديه وقد نهض بحجة الإسلام وبرهن عليه، وافحمهم في مسألة المساواة، وتفاوت الطبقات عند البراهمة وتناسخ الأرواح وفنائها في روح الآلة، واعتقادهم في روح الآلة واعتقادهم في الأركان الأربعة عندهم وهي : الماء والطين والنار والريح .

ومولانا علي حرمه الله بن إبراهيم هذا هو المعروف بصاحب عمفيل جاء إلى

عمفيل في حدود سنة ٧٥١هـ، وفي زمنه قامت الحرب بين (دمك) Demak المملكة الإسلامية التي قامت بمجهودات العرب، وبين مجافاهيت الوثنية .

وقد قام بعده مولانا إبراهيم الملقب (كاكي بنتل) ابن بدر الدين بن محمد بن إبراهيم ابن نور العالم عبدالله بن جمال الدين الحسين السابق الذكر، فنشر هذه الديانة الإسلامية في قرية ليران كما تقدم. وقد توفي بقرسئ سنة ٨٢٢هـ وقبره معروف.

وقد سقطت مجافاهيت السقوط النهائي في حدود سنة ٧٩٣هـ، وفيها توج السلطان عبد الفتاح الغازي ابن ملك ماجاباهيت (براوجايا) الخامس ملكا على البلاد الجاوية ومتعلقاتها .

ومن آل عظمت خان من أبناء سيدنا جمال الدين الحسين :

١- مولانا الأمير الغازي إبراهيم الملقب زين الأكبر وتقدم أنه نزل جمفا وقد تردد إلى سومطرا وجاوا وغيرها لنشر الإسلام .

٢- الإمام فضل زين العالم .

٣- أمير عبدالله نور العالمين ويسميه الجاويون (نور عالم) .

٤- السيد مجد الدين والجاويون يقولون (مجأدين).

٥- قمر الدين اسمه عبيد الله .

٦- ثنأ الدين .

٧- معروف بلقبه الجاوي (فنمباهن ديو أكوغ ثهابرارين).

ومن آل عظمت خان أبناء مولانا علي رحمة الله صاحب عمفيل وهم :-

١- مولانا إبراهيم بن رحمة الله الملقب (سهونن بونغ) .

٢- السيد هاشم .

٣- مولانا السيد جعفر الصادق (على لقب جده الصادق الأكبر).

٤- مولانا زين العابدين .

٥- السيد عبد الصمد ويقول له الجاويون (سموت) .

ومن آل عظمت خان مولانا اسحاق بن إبراهيم بن الحسين جمال الدين وأبناؤه:

١- عبد القادر الفاسي . نسبة إلى فاسى بلد كانت مشهورة في (آجيه سمطرا).

٢- محمد عين اليقين .

٣- مولانا إبراهيم بن اسحق .

٤- الحسن العسكري ... وغيرهم .

ومنهم السيد سليمان ابن السيد علي مرتضى ابن السيد إبراهيم بن جمال الدين وغيرهم، هذه فذلكة عن تاريخ آل عظمت خان واسمائهم .

وقد أسس المسلمون سلطنة (متارم Mataram) العظيمة الجديدة التي نوّه بشأنها السائح الأزهري المصري الآنف الذكر نقلا عن السيرة المتوكلية للجرموزي بقوله (أن سلطان متارم أعظم ملوك الإسلام سطوة هناك وأنه لا يكاد يحصى جنده) أ.هـ

وبتوالي الأيام سرى إليها الانحلال بانفصال بعض اماراتها عنها وكانت أكبرها واقواها واشدها شكيمة بعد ذلك سلطنة (بانتام Bantam) بغرب جاوه .

والظاهر أن بعض السلطنات والامارات التي كانت موجودة أيام دولة مملكة (متارم) كانت باقية على وثنيتها، بل أن سلطنة (فجاجارات) ظلت بعد انحلال دولة (متارم) كذلك حتى اتفقت مع البرتغال على أن يساعدوها في محاربة سلطنة (دمك Demak) الإسلامية التي مقرها (شربون) وما حواليها لولا مساعي مولانا / هداية الله الملقب (سنن جاتي) ابن الملك (عمدة الدين) ومباغتته أهل (فجاجارات) حتى دانوا لدعوته وتركوا الوثنية، ووقفوا معه قلبا واحدا على البرتغال حينما اتوا لطردهم من بلادهم فوقفوا لهم بكل ثبات وافنوهم إلى آخرهم، ومن ذلك الحين سمى مولانا/ هداية الله موضع (بتافيا جاكرتا) وكانت تسمى (سند اكلافا).

ومن العجيب أن هناك مساعي حثيثة لتحويل الأنظار عن تاريخ هؤلاء السادة الأبطال واخفاء فضلهم بدعوى أن دخول الإسلام إلى جاوا كان بواسطة الهنود أو غيرهم لا العرب، ومن العجب أن هذه الخرافة لقيت آذانا صاغية لدى بعض اخواننا الجاويين، والأغرب أن بعض الجمعيات النشيطة التي تمدها الحكومة هبت تشيع هذا في مدارسها.

وأغرب من هذا وذاك، أن بعض الجاوا أصبحوا بفضل ما يلقيه عليهم بعض دعاة التفريق يأنفون كبرا من أن يكون الإسلام دخل إلى هذه البلاد على أيدي العرب ومن الفكاهة ما قاله بعض بسطاء العرب عند قول بعضهم مثل هذا، وأن الجاوا لم يسلموا بواسطة العرب وإنما اسلموا على أيدي الهنود، قال: وعلى أيدي من أسلم الهنود.

دخول الأوربيين إلى جاوا

كان العرب هم حاملين لواء التجارة والملاحة في الشرق الأقصى وكانت سفنهم تمخر عباب البحر من البحر الأحمر فبحر الهند إلى بحر الصين. حيث لم يوجد لهم منازع ولا منافس في هذا المضمار لا سيما فيما بين القرن العاشر الميلادي والخامس عشر . إلى أن شاء الله ظهور البرتغال في هذه الجهات ومنازعتهم إياهم حبل التجارة والملاحة فاصبحوا مع خصم قوي عتيد، ينازعهم حبل المنافسة في هذا المضمار الحيوي الذي غلبهم عليه فيما بعد .

ففي القرن الخامس عشر الميلادي افتتح البرتغاليون (Bortugese) طريق رأس الرجاء الصالح وذلك سنة ١٤٩٤م، ودليلهم الملاح العربي المشهور (ابن ماجد) .

وفي عام ١٤٩٦م . بحث البرتغاليون عن الأراضي التي تخرج منها البهارات والذهب والأحجار الكريمة وغيرها، فسافر في تلك السنة أحد باحثيهم (فسكو داجاما) فنجح في وصوله إلى (كلكتا) بطريق راس الرجاء الصالح وكان ذلك خير مشجع لهم على البحث والأسفار .

وفي تاريخ السيد / أحمد شنبل العلوي/ أنهم ظهروا في (مقدشوه وكلـوه) سنة ٩٠٤هـ واستولوا على سقطرا ٩١٢هـ وأخذوا هرموز سنة ٩١٣هـ وهجموا على كاليكوت فنهبوها سنة ٩١٤هـ.

وفي مجموعة السيد / محمد الحبيد العلوي / أنهم دخلوا إلى (قوا) سنة ٩١٥هـ.

ففي سنة ١٥١١م وصل البرتغالي (انطونيودى ابرو) إلى جاوا وانبون، وفي سنة ١٥٢٢م . أرسل البرتغالي (دي ليرنو DE LRNO) إلى بانتان وكانت إذ ذاك بوذية لما تسلم بعد، ولما كان حاكمها البوذي محاربا لسلطنة (دمك) الإسلامية بشربون عقد عهدا مع البرتغاليين يقتضي مساعدته لما يرى من ضعفه أمام أمير شربون المسلم فعاهدوه على أن يهدى إليهم سنويا ألف كيس من الفلفل، وأن يرخص لهم في بناء معمل وعلى حرية التجارة في مقابل قلعة يبنيها البرتغاليون للدفاع عن الميناء (أي المسمى بتافيا الآن) ومساعدته ضد أمير شربون .

وبعد هذا الاتفاق سافر البرتغاليون . واعقب ذلك غزو سلطنة (دمك) لهذه السلطنة البوذية برئاسة مولانا / هداية الله المقدم الذكر، ثم خضوع أمير (بانتان) له واسلامه لا بالسيف والسنان كما قيل ولكن بالحجة والبرهان والدعوة بالتي هي أحسن – فلم يأت البرتغاليون بقواتهم إلا بعد أن قضي الأمر ونفل الأديم وأصبحت سلطنتا دمك وبانتن يدا واحدة تحت قيادة مولانا/ هداية الله فصمدوا أمام قوات البرتقيس واتوا عليها إفناءً واكتساحاً .

ويظهر أن هذه الضربة الحاسمة وإن كانت قاضية على أطماع البرتغال السياسية في بانتان مؤقتاً، فلم تقض على رغباتهم التجارية إذ ما لبثوا أن عادوا بأساليبهم السلمية إلى استمرار تجارتهم، وبقوا كذلك إلى أواخر القرن السادس عشر وإلى ذلك الحين كانت . لشبونه Lissbona في البرتغال أغنى ميناء في أوربا . حيث كانت مركزا للتجارة وكانت الموانى الهولندية واسطة لتوزيع بضائعها إلى شمال أوربا .

وشاء القدر أن هزم ملك أسبانيا (فيليب الثاني البرتغال في أواخر القرن المذكور، وكانت اسبانيا في حرب مع هولندا، فاقفلت اسبانيا ميناء لشبونه في وجه التجار الهولنديين الجالبين للبضائع الشرقية عنها إلى موانئهم فكان من نتيجة ذلك أن سعى الهولنديون في المتاجرة مع الشرق الأقصى رأسا وبدون واسطه .

وبواسطة (هوتمان Carnelis Hotuman) الهولاندي الذي سكن البرتغال وعرف سر طريق راس الرجاء الصالح تمكنوا من ذلك وقد أرسل الهولانديون أربعة مراكب:

هولنديا Holandia وموريتس Mourits محمول الواحد ٤٠٠ طن، وأمستردام Amsterdam ٢٠٠ طن، Duyfje ٥٠ طن، تحت قيادة (هوتمان) المذكور، وذلك في ٣ أبريل سنة ١٥٩٥م.

وفي يوم ٢٣ يونيو سنة ١٥٩٦م بينما الجاويون في سلطنة (بانتام) في حقولهم وأشغالهم. إذا بخبر يسرى بينهم وهو أن سفينة غربية مقبلة نحو شاطئهم تقل علما مثلث الألوان وعند ذلك هرع من هرع لمشاهدتها ومن فيها. فنزل الربان ورجاله مخبرين أولي الأمر بأنهم هولانديون مسالمون وانهم لم يقصدوا إلا تبادل المتاجرة والمصالح.

وقد سبق رحلة هؤلاء أن تأسست شركة الهند الهولانديه لاحتكار التجارة بتلك الجزائر ثم أرسل الهولانديون سنه ١٥٩٨م إرسالية أخرى تحت قيادة (فان نك JANCONNELISVANNECK) وبعدها أرسلوا بعثة أخرى عند ذلك عرف البرتغاليون تفاقم أمر منا فسيهم وان زمام التجارة في تلك النواحي افلت أو كاد يفلت من أيديهم فأرسلوا ثلاثين مركبا حربيا لمحاربة السفن الهولانديه الذاهبة إلى الشرق الأقصى، وكسحها عن تلك البحار بالقوة، وقد جرى الأمر على خلاف حسبان البرتغاليين فقد كسرهم الهولانديون وبذلك ماتت تجارتهم، وأخيرا أخرجهم الهولانديون عن جزائر الهند الشرقية وحلوا محلهم.

أما شركه الهند الهولاندية فقد علا شأنها واتسع نفوذها، إذ أخذت تستعين بالقوة

الحربية لإدراك مطامعها فلم تمض مده حتى أصبحت ولها بوارج حربية وقوة مسلحة استطاعت بها كسر البرتغاليين والأسبان وغدت تحارب الملوك في الجزائر المجاورة لجاوه.

وفي سنة ١٦١٠م عين لها -اعني الشركة- أول حاكم عام للم شعثها والعناية بأمورها وهو بيتر بوى، ولما رأت أنها غير مطلقة الحرية في (بانتام) لاعتراضات سلطانها وضغطه. آثرت الانتقال والتحول إلى (جاكترا) "بتافيا" وعين لها حاكم عام وهو (جان بيتر زون كون) وذلك سنة ١٦١٧م وعقد هذا معاهده بينه وبين سلطان جاكرتا على أن تدفع الشركة شيئا معلوما في السنة مقابل الإقامة في بلاده. وقد أقامت الشركة هناك مستودعات ومخازن عظيمة وقلعه حصينة، وفي ١٢ مارس ١٦١٩م سميت القلعة بتافيا، وفي ٢٠ مارس من تلك السنة تكونت البلدة بتافيا التي لم تزل إلى الآن عاصمه لجزائر الهند الشرقية الهولاندية وغلب اسمها (جاكرتا) ولاتساع نطاق استعمار هذه الشركة وانتشار نفوذها، مع نشاط منازعيها وكثرة خصومها رأت أنها غير قادرة على حماية ما تحت يدها والدفاع عن مصالحها الاستعمارية إذ أصبحت محسودة بين البرتغال والإنجليز الذين غدت أيديهم الخفية تعبث بالأهالي وتثيرهم ضدها، ففزعت إلى حكومة هولاندا مفوضة إليها حكم الجزائر هذه وإدارتها بنفسها مقابل شروط اقتصادية، وتم ذلك في سنة ١٨٠٠م فأصبحت جاوه وأخواتها في حوزة الحكومة الهولندية من ذلك الحين.

إلا أنه في سنة ١٨١١م هاجم الإنجليز جاوه بقيادة (رافلز) الجريء، ودخلوا بتافيا فهرب حاكمها الهولاندى إلى جاوه الشرقية حيث تعقبوه حتى وقع أسيرا في أيديهم واستمرت جاوه تحت حكم الإنجليز نحوا من خمس سنين – أعني إلى سنة ١٨١٦م.

وبينما كان (رافلز) مستغرقا في إصلاح البلاد منهمكا في سن القوانين المدنية لها، إذ فاجأته الأوامر من لندن بالجلاء عن جاوه وإرجاعها إلى هولانده حيث قد تم الاتفاق في أوربا على شروط منها استبدال الإنجليز جاوه بـ (ملاكا).

عند ذلك سقط في يد هذا القائد ورحل يملأ قلبه الأسف لهذه الصفقة الخاسـرة، مودعا رفات قرينته الذي أودعه ثرى جاوه، وأمله في ضم هذه الجزيـرة الخصيبـة للتاج البريطاني، واحتلها الهولنديون إلى اليوم.

هذا هو تاريخ جاوا السياسي في عهدها السابق إلى الآن، والحكـم الـهولاندي سائد الآن عليها في الجملة غير انه لا تزال بها أربع إمارات شبه مستقلة وهي بقايـا أنقاض دولة (متارم) الإسلامية.

أما اثنتان منهما فكبيرتان والأخريان صغيرتان، فالكبيرتان إحداهما في (السـولو) وعلى رأسها سلطان يعرف بـ (السوسو هونان) والثاني بـ (جكجا) وعلـى رأسـه سلطان اسمه هامانكوبوونو الثامن. أما الصغيرتان فإحداهما في سولو أيضا والأخرى في (جوكي) وعلى راس كل منهما أمير.

السكان

يبلغ عدد سكان جزائر الهند الشرقية الهولانديه ستين مليونـا وسـبعمائة ألـف (٦٠٧٠٠٠٠٠نسمه)، أما جاوه وحدها فعدد سكانها واحد وأربعون مليونا وسـبعمائة وتسعه عشر ألف وخمسـمائة وأربعـة وعشـرون (٤١٧١٩٥٢٤نسـمه)، منـهم: ٤٠٨٩٠٢٤٤ وطنيا، و١٩٣٦١٨ أجنبيـا، و٥٨٣٣٦٠ صينيـا، و٥٢٣٠٢ أجنبيـا شرقيا، وذلك بموجب إحصاء سنة ١٩٣٠م ويدخل في الأجانب الهولاندى والألمـاني والدنماركي والسويسري ...الخ، وأما الأجانب الشرقيون فمنهم العربي والهندي إلـى سواهم مما عدا الصينيين.

أما لغات جاوه فأربع:

إحداها الجاويه وتسود هذه اللغة على وسط جاوه وشرقها وهي لغة غنية ولـها قواعد وآداب فهي في ذلك تشبه اللغة (الملايويه) وتكتب بالحروف العربيـة وذلـك قليل الآن، وبحروف تشبه الخط (الكجراتي) من الشمال إلى اليميـن، وهـو الخـط الهندوسي القديم، غير أن الحروف اللاتينية حلت الآن أو كادت تحل محل الحـروف

العربية في كتابة الجاويه.

واللغة الثانية هي (السنداويه) وتسود هذه اللغة بلاد السنده سكان الجهة الغربية من جاوه، وهي لغة مستقلة ولها جرس لطيف ونغمه جميلة.

واللغة الثالثة لغة (المادورا)، وهي لغة أهل جزيرة (مدورا)، وهي سارية أيضا في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة جاوه.

أما الرابعة فهي اللغة (الملايويه) والجاويون يسمونها في الاصطلاح الجديد الاندنوسيه وهذه هي اللغة السائدة إذ كانت لغة التعليم اليوم في جميع جزر الهند الهولانديه، وكثير من هذه اللغة مأخوذ عن العربية ثم السنسكريتيه ثم الجاويه ثم التابيليه ثم الفارسية، وهي لغة الصحف والمرافعات وهي أغنى اللغات الأربع.

ومع كون هذه اللغة هي الشائعة في جاوه فهي تعتبر ثانوية، فكثير من الجاويين لا يعرفها، وهي إنما تتداول كثيرا في المحاكم والصحف، وفي بعض الأحوال الغير الاعتيادية، فهي بينهم كمالية لا ضرورية وان كان بعض متحمسي الوطنيين يسعى في تعميمها كلغة قوميه لجميع جزائر الهند الشرقية، ولذلك يسمونها الاندنوسيه، أما في شبه جزيرة ملايا فهي هي اللغة الرئيسية لجميع الوطنيين هناك لأنها لغتهم الحقيقية.

وتكتب في جاوه باللاتينية وذلك في الصحف قاطبة وفي اكثر المؤلفات والبعض منها يكتب بالأحرف العربية وذلك قليل أو نادر عكس الحال في شبه جزيرة ملايا وسنقافوره، حيث كانت الأحرف العربية مسيطرة على الصحافة والتصنيف الملايوى، ولا يوجد للأحرف اللاتينية أي اثر أو ظل في اللغة الملايويه هناك، كما سنذكر ذلك وأسبابه في مؤلفنا المسمى (أيامي بسنقافوره وملايا).

ومع ذلك فجزيرة جاوه تعتبر اقل جزائر الهند الشرقية الهولانديه لغات في حين أن غيرها من الجزائر يحتوى على الأقل على ست لغات، إذ كانت في (سمطره) تسع لغات، وفي (برينيو) ست لغات، وأما (سليبس) فيها عشر لغات، وزادت الجزائر الصغرى فكانت فيها عشرون لغة.

أما أجناس أهالي جاوه، فجل سكان غرب جاوه من السنده، وجل سكان وسطها جاويون، وأما سكان شرق جاوه فأكثرهم مدوريون نازحون في الأصل من جزيرة مدورا المجاورة:

السنده	٦٩٠٠٠٠٠	نسمة
الجاوه	٢٩٦٠٠٠٠٠	نسمة
المدوره	٣١٠٠٠٠٠	نسمة

ومن طباع أهالي جاوه الوداعة واللين ودماثة الأخلاق ومحبة الغريب، وحسن معاملته ولين الجانب معه واشتهروا بالأمانة والقناعة والرضا بما قسم الله، غير ان هذه القناعة قد خرجت عن حدها إلى التكاسل وعدم العناية بالتجارة وجمع المال وتنميته حتى قل بينهم الأغنياء، واكثر نشاطهم متجه إلى الزراعة، ولديهم استعداد وقابليه للفنون الجميلة، وحسن الخط والرسم، ويتقنون بعض الصنائع كزركشة الأزر (الباتيك)، وصناعة الأحذية وبعض الأشياء التي تنسج من الخوص، كما دخل في صنائعهم الآن نسج الآزر الملونة في الأوقات الأخيرة ويستعملون كإجراء في الغالب لهذا الشأن، على أن نسج الازر كان شائعا في بعض جزائر الهند الشرقية سواها من قديم على ندرته في جاوا.

ولبعض ما ذكرناه وغيره غدا الصينيون بعد العرب اليوم هم همزة الوصل في التجارة بين الوطنيين والغربيين، وفيهم ذكاء فطرى وسخاء، وجلد وصبر على تحمل المشاق، وفيهم إباء عن كل ما يمس الشرف والكرامة، قد يؤدى بأحدهم إلى الاستقتال حتى الموت، وهذه الخصال عامه في الأجناس الثلاثة اعني السنده والجاوه والمدوره، ولكل من هؤلاء أخلاق تختص به دون الآخر يطول شرحها ولهم جمعيات دينيه ووطنيه، فمنها شركة إسلام وهذه دينيه وكانت قبل سياسية، ومن اكبر زعمائها الحاج/ عمر سعيد جكرو سينوتو ويتصل نسبه إلى مولانا سهونن عمفيل الآنف الذكر كما اخبرنا بعض الثقات وقد كان خطيبا مؤثرا في الجماهير، والحاج/ اقس سالم الخطيب المشهور، ومنها جمعية نهضة العلماء وهذه دينيه بحتة وهي تمثل

حقا حزب المحافظين على المذهب وعلى التقاليد الإسلامية، ومن زعمائها الحاج/كياي هاشم وفيها فيما قيل اكثر من ثمانمائة فقيه، ولها فروع في مدن جاوه وقراها،ومنها الجمعية المحمدية، ورئيسها عند زيارتي جاوه الحاج/ محمد هشام وهي جمعية عظيمة ولها فيما يقال مئتين مدرسه ابتدائية في أنحاء جزائر الهند الشرقية، كما لها ثمانية مستشفيات أطباؤها جاويون، والتعليم والعلاج للفقراء مجان، أما غيرهم فيدفع الواحد عشره سنوت (الروبيه مائة سنت) ومصاريف هذه الجمعية من تبرعات الأعضاء الشهرية وغيرها وتعينها الحكومة الهولندية بمائة ألف روبية سنوية.

ومنذ عهد قريب بدا قرن القومية الجاويه يذر، ولأمر ما كانت الحكومة تنشط هذه الحركة وتغذيها في الناشئة المتعلمة، ويظن أن ذلك بغية صرف الوطنيين عن النزعة الإسلامية، وتشظية عصا العصبية الدينية التي كانت متغلغلة في النفوس الأمر الذي يتأسف له الدكتور/ ستوك هور غرونيه، ويود لو يمحي كل تضامن بين هؤلاء المسلمين.

وقد قويت نزعة القومية هناك أخيرا حتى جرت على خلاف الحسبان وانجر إليها بعض الشباب العرب المولودين بهاته الديار ولقد اصبح بعض ملحدي أولئك يقول: إن الجاوى الذاهب إلى ديجول (جزيرة المنفى السياسي) أقوى إيمانا من الذاهب إلى مكة للحج، وحتى أصبحت الحكومة الآن فيما يقال تعاكس سرا وعلنا هذه النزعات وحظرت أخيرا الاسم القومي لجزائر الهند الشرقية : اندنوسيا، وقد قيل: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

وللجاويين موسيقى ورقص وطني وهو مختلف باختلاف أجناسهم الثلاثة، والمراد بالموسيقى هنا هي الوطنية، أما الموسيقى الملايويه فهي عامه ومن أنواعها الشائعة هناك (الكرونجوغ) التي يشغف بها السكان شغفا زائدا على شغفهم بغيرها من الأغاني الملايويه الحقيقية التي تتنوع أيضا، فمنها الخاص بالرقص (الجوكيت) ومنها الخاص بالتمثيل (باغساوان)، ومنها غير ذلك، والأغاني الملايويه أدنى استساغه للذوق العربي من غيرها ومن ألفها طرب لها وألتذ بسماعها، ولاسيما قد

وجد في الوطنيين موسيقيون مهره يتقنون الضرب على الآلات الحديثة.

ومن خصوصيات الجاويين أن أيام الأسبوع عندهم خمسه فقط فالشهر عندهم ستة أسابيع لا أربعة وأسماء هذه الأيام الخمسة هي كما يلي حسب ترتيبها:

١٠ فاهيغ pahing

٢٠فون pon

٣٠ واقي wage

٤٠ كليون kliwon

٥٠ ليقي legi

وقد بقي هذا إلى الآن في بعض المواطن من جاوه. وإلا فقد حل الأسبوع المعروف في الحكومة والصحف بأسماء أيامه العربية في جميع نواحي جاوه الآن.

الزراعة

تعتبر جزائر الهند الشرقية من أهم المناطق الزراعية في العالم لاسيما جاوا الخصيبة ففيها للزراعة المحل الأعلى، لطيب تربتها وغزارة أمطارها وعناية الحكومة بوسائل الري بها، مع نشاط أهلها لهذا الشأن بالخصوص من بين سائر المهن، كل ذلك كان من اكبر العوامل على جعلها بهذه المثابة.

فالمسافر من بتافيا إلى سورابايا يقطع إليها نحوا من ثمانمائة كيلومتر، وكأنما يجرى به القطار في مزرعة واحدة متصلة.

والزراعة فيها ليست خاصة بالأراضي السهلية فقط، بل كان للجبال والتلال من ذلك الحظ الوافر، وإن كانت بعض الزروعات تختص بهذا دون الآخر.

ومحاصيل هذه الجزيرة الزراعية كثيرة ومتعددة فمنها الأرز وقصب السكر، والتبغ، والمطاط ودخل إليها سنة ١٨٧٦م، والغاب الهندي المسمى عندهم (البامبو)،

والبن ودخل إليها العربي منه من بلاد الحبشة سنة ١٦٩٩م والشاي وزرع بها سنة ١٨٣٠م كما من محاصيلها الكينا ودخلت إليها سنة ١٨٥٠م والنارجيل والكابوك أو القطن الحريري (والحضارم يسمونه الديباج) كما تزرع بها شتى النباتات من عطرية وغيرها ويبلغ قدر ما تنتجه من الأرز في العام سبعة ملايين طن.

أما الفواكه فما أظن بلادا في العالم اجتمع بها من ضروب الفاكهة ما اجتمع في جاوه، ومن أهم تلك الفواكه المنقا (العنبا) والمانجوستين (ويسمونه هم المانقيس) والجاكفروت والمنيفليوم، لاماسيم، والسابوتا، والبابط، والموز، والدوريان إلى غير ذلك.

والدوريان هذا فاكهة عجيبة محبوبة لدى الوطنيين وبعض من ألفها غيرهم هناك، وتكاد هذه الفاكهة تكون من أخص الفواكه بتلك البقاع، ومن أقدمها، وقد ذكرها السائح الشيخ/ منصور المصري السابق الذكر فقال:

(وإن في بلادهم شجره طويلة يسمونها الدوريان شبيهه بالبطيخ وله قشر شوكه كشوك القنفذ لو يقع على الفيل لتألم منه، وفي قلبه حبات كبيض الإوز يؤكل ويستطاب في غاية من الحلاوة وحرارة الطبع).

ولهذا الثمر رائحة يستكرهها من لم يألفها قبل وشبهها مؤلف رحلة البعثة الزراعية برائحة البصل المتعفن، وقد رأيت من العرب من يأخذ بأنفه عند تناوله كأنما يتناول دواء اضطر لتناوله، على إن تلك الرائحة هي عندهم أهم وأطيب ما في هذه الفاكهة،

وبجاوه من الأخشاب الساج الهندى التيك teak وهو لا يبلى بسرعة ولا يؤثر فيه النمل الأبيض (الأرضة) وخشب الحديد، وخشب الشوريا والهيبين، إلى غير ذلك، وتعتبر جاوه من أهم مناطق الأخشاب في العالم، إذ يصدر منها عشرون ألف متر من خشب الساج الهندى التيك teak المقدم الذكر.

ويزيد صادرات جاوه على وارداتها بنحو أربعين مليون روبية في العام.

الحكومة

يسيطر الهولانديون على الحكومة في جميع أنحاء جاوه، حتى في البلاد المستقلة صورة وهي الإمارات الأربع التي ذكرناها آنفا، ولجزائر الهند الهولاندية حاكم عام إقامته في بتافيا عاصمة تلك الجزائر ولهذا الحاكم مجلس خاص يستعين به.

وهناك مجلس آخر يعرف بـ (الفلكس راد Volks Raad) أي مجلس الأمة ويسميه العرب مجلس العموم وأعضاء هذا المجلس نصفهم منتخبون والنصف الآخر معينون من قبل الحاكم العام فرئيسه وأقل من نصف أعضائه من الهولانديين أما النصف الآخر فمن الأهالي ومنهم خمسة من الأجانب ويبلغ عدد أعضائه ستين عضوا منهم خمسة وعشرون هولانديا وثلاثون وطنيا وأربعة صينيون وواحد عربي وكان العضو العربي في حال زيارتي الأخيرة هذه إلى جاوه هو السيد عبدالله بن سالم العطاس العلوي، والفلكس راد مجلس استشاري إلا في بعض الأمور القليلة منها ميزانية الحكومة.

وتجري الأحكام في جميع جاوه طبقا للقوانين الأوربية، إلا في بعض الأحوال الشخصية، كالزواج والطلاق والوقف والوصايا والإرث فقد رأت الحكومة أن مخالفة الشريعة الإسلامية فيها يمسّ الشعور الديني لدى الوطنيين فمراعاة لذلك جعلتها تابعة لدى المسلمين للشريعة الإسلامية على المذهب الشافعي الذي يتبعه الجاويون.

ولذلك جعلت لهذه الأمور محاكم مستقلة تسمى بالمحاكم الشرعية ولغة الابتدائية من هذه المحاكم وطنية، وأغلب ما تكون الملايويه، أو هي مع الجاوية أو السنداوية مثلا، بحسب ما يقتضي الحال، وأما المحاكم المدنية فلغتها دائما هي الهولاندية.ومع أنه لم تبق بجاوه غير تلك الإمارات الأربع الشبيهة بالمستقلة في وسط جاوه، فلا تزال الحكومة الهولاندية جاعلة لكل ولاية في جاوه حاكما وطنيا باسم (رخّينت) له مهنته الخاصة، فهذا تتخذه الحكومة همزة وصل بينها وبين الأهالي المسلمين.

وهذا رغم كونه محدود الوظيفة وأنه تحت الحاكم الهولندي المعين لكل منطقة من هذه المناطق فله مهنة وعمل يعتبران غير صوريين، وتتحرى الحكومة في

هؤلاء فيما يظهر أن يكونوا منحدرين من السلالات الحاكمة في تلك المناطق في العهود السابقة.

وهناك نظام للجاليات وهو نظام النقابات، إذ جعلت الحكومة لكل جالية ذات عدد يسوّغ لها إطلاق لفظ جالية، في كل بلد نقيبا، وهذا النقيب هو حلقة الاتصال بين الحكومة والجالية التي يترأسها، إلا في الأحوال الفردية ويعتبر كمعرف بين الحكومة وأفراد جاليته، وتكون شهادته في جوازات السفر مقدمة على تأشيرة الحكومة، وتعيين هذا النقيب لاحق لأحد فيه سوى الحكومة، فهي التي تعين لهذا المنصب من تحب وتختار بعد أن تسمع رأي بعض الوجهاء من غير نظر إلى رأي الفئة التي سيترأسها.

التعليم

لا ينقص اهتمام الحكومة الهولاندية بالتعليم عن اهتمامها عن سائر الأشياء الحيوية كالزراعة والصحة والأمن، فقد أعطت التعليم قسطا كبيرا من اهتمامها وعنيت بنشر التعليم فيها لا سيما في السنين الأخيرة، إذ أنشأت كثيرا من المدارس على اختلاف أنواعها من قروية وابتدائية وثانوية ومدارس خاصة بالضباط المدنيين (البوليس) وللمعلمين والزراعيين والبيطريين والصناع والتجار كما أنشأت أيضا مدارس للهندسة والحقوق والطب إلى غير ذلك.

هذا هو شأن الحكومة في نشر التعليم أما الوطنيون فقد اهتموا كثيرا بذلك أيضا وأنشأوا مدارس عديدة منها ما ينسب إلى بعض الجمعيات ومنها ما ينسب إلى غيرها، وهذه المدارس دينية في الغالب وكلها ابتدائية، ولها أثرها الواضح الفعال في التمسك بالدين، والمناعة ضد التبشير، كما لها النتائج المحسوسة في مكافحة الأمية التي كانت سائدة هناك.

ولابد لنا من وقفة قصيرة هنا حول المدارس العربية في هذه البلاد، لاشك أن اهتمام الجالية العربية بالتعليم في جاوه، وعنايتهم بإنشاء المدارس كان منذ أكثر من ربع قرن، ونتج عن ذلك أن أنشئت بعض المدارس، كما جلب لها أساتذة من

الخارج، وكانت تلك الحركة المباركة وشيكة لأن تؤتي أطائب ثمارها، وأن تتطور تطورا سريعا مرضيا، لولا ما عقبها من ظهور نزعة الافتراق، وهبوب تلك الأعاصير الحزبية، التي صرفت تلك الحركة عن اتجاهها، وصبغتها بألوان التحزب والشقاق.

لذلك أصبحت تلك الجهود التي بدأت متحدة، وإلى غاية واحدة ومدى واحد، متشعبة ومتفرقة تجري في غير مدى وإلى غير غاية، اللهم إلا التنافس المفضي إلى نكاية كل بالآخر.

ومع كون تلك الحركات التعليمية قد آلت إلى ما آلت إليه، ومع كون تلك المدارس من جانب الحزبين لا تزال في عداد الابتدائية، فلم تكن مسلوبة النفع بتاتا بل كان لها أثر غير كبير، فهو وإن لم يكن مرضيا فلا يجحد.

واكثر ما أتيت تلك المدارس من جهة اختلاف مبادئها، وعدم اتحاد برامجها، فلا تكاد تجد منها ما يتحد مع غيره إلا النادر. وبنتيجة الصدفة وهذا نقص كبير يجب أن يتلافى، ومما يؤسف له أنه يوجد في بعضها اتجاهات ترمي إلى بث الشقاق والتطرف، وتنشيط روح الغرور وعدم توخي الاعتدال في الآراء والنزعات.

ولابد أن نعترف بأن نتائج المدارس الأولى السابقة للحزبية كانت أكبر أثرا، وأجدى نفعا، فقد ظهر من خريجيها رجال يحق للمدارس العربية أن تفخر بتخريج أمثالهم وانتسابهم إليها.

المواصلات والعمران

عنيت الحكومة بالمواصلات عناية تامة، إذ المواصلات هي شرايين الحياة في البلاد، وكان أول خط حديدي أفتتح بجاوه الوسطى وذلك سنة ١٨٧٣م، أما الآن فطرق المواصلات بجاوه كأحسن ما يكون في البلدان المتمدنة، إذ غدت وبها طرق زراعية جميلة معبدة تتصل بأغلب جهات تلك الجزيرة الخضراء.

أما سككها الحديدية فتسير بالبخار وهو الغالب، وبالكهرباء وهو قليل وذلك في

المسافات القصيرة كما بين سورابايا ومالاغ، وكما بين بتافيا وبيوتنزرخ، وبين أجزاء المدن فقط، كما قد اتصلت أخيرا مدنها الكبيرة بخطوط هوائية.

والمشاهد يرى أن الحكومة قد بذلت مجهودات كبيرة في المواصلات وذلك ببناء الكباري العجيبة على الأودية والأنهار، وحفر الأنفاق المتغلغلة في بطون بعض الجبال، حتى أن بعضها لا يخترقه القطار إلا في بعض دقائق على الأقل.

هذا إلى عناية الحكومة ببناء العمارات الفخمة، والقصور الجميلة، وتنظيمها لتلك المنتزهات التي – ولا شك – قد ساعدتها الطبيعة على إبرازها بتلك المظاهر الرائعة، فجاءت آية في الجمال وحسن التنسيق والنظام.

هجرة العرب الحضارمة إلى جاوه

لهجرة الحضارمة إلى هذه الجزائر ثلاثة أدوار، الدور الأول دور آل عظمت خان وهجرتهم هذه قائمة على الدعوة التبشيرية بالإسلام، وقد لقيت من النجاح ما نوهنا به في الصفحات السابقة بالتفصيل، إذ نشأ عنها ضم ستين مليونا من البشر إلى حظيرة هذا الدين القويم، وهذه الهجرة لم يكن مبدؤها من أوطانهم وإنما كانت من مهاجرهم الأول وهو الهند.

والدور الثاني هو الذي تلا ذلك، وهو دور هجرة آل باشيبان وآل بافقيه في (شداهو) وآل باعبود في متارم (صولو جوكجا) وآل الحداد وآل العيدروس وهاتان العائلتان قد انقرضتا وكانتا في متارم أيضا، ولهذه الهجرة يد في زيادة انتشار الإسلام وترسيخ قواعده في تلك الأصقاع، وهذه الهجرة بواسطة الهند أيضا.

أما الدور الثالث فهو الذي استمر إلى اليوم وهو هجرتهم من حضرموت وطنهم إلى جزائر الهند الشرقية رأسا للملاحة إلى عهد مضى، والتجارة إلى الآن، ويمكننا أن نجعل لهجرة التجارة دون الملاحة دورا مستقلا، ونجعل الثلاثة الأول خاصة بالعلويين من الحضارم.

أما دور التجارة فهذا لم يختص بالعلويين بل شاركهم فيه فيما بعد جميع الطبقات

الحضرمية النازحين بدافع ضيق معيشة بلادهم وسعيا وراء التكسب والارتزاق إلى هذه الجزائر حتى تاثلوا بها الأموال وأعقبوا بها السلالات، وصارت لهم وطنا ثانيا، وغدت لهم بها جالية عربية تعد بعشرات الألوف حسبت لها الحكومة هناك في بعض العهود حسابا كبيرا، حتى غدت في حين من الأحيان لا ترتاح لوجودهم بين ظهراني الجاوه لكيلا تسري حنكة هؤلاء إلى أولئك، وصار الدكتور (سنوك هورغرونية) يود لو لم تفتح لهم أبواب تلك الجزائر من الأصل ويقول إن هذا العمل ليس منافيا للعدل، وينعي من طرف خفي على السلطات تضييق الخناق عليهم بعد السماح لهم على شروط يسهل القيام بها.

وقد بدأت لهذه الجالية العربية نهضة لا بأس بها، نتج عنها أن أصبحت لها مدراس ونوادي وجرائد، من أكبرها وأطولها عمرا جريدة (حضرموت) ولولا ما طرأ على هذه النهضة من معرة الخلاف وآفات الفرقة لكان لها شأن عظيم.

ويتلخص تاريخ هذه الجالية العربية في هذا الدور فيما يأتي :

كان مركز جاوه الممتاز وما آتاها الله من جمال الطبيعة وغزارة الأمطار، وطيب الهواء، وكثرة الحاصلات مدعاة لهجرة شتى الجاليات إليها على العموم، ولما تحلى به أهلها من حسن الأخلاق والوداعة واللين والإحسان إلى الأضياف، وإكرامهم العرب وتبجيلهم باعتبارهم الواسطة بينهم وبين هذا الدين الحنيف، كان ذلك أكبر جاذب لهجرة العرب إليها، وهذه علاوة على الدواعي التجارية المترتبة على تفوقهم على أهلها إذ ذاك في المعاملات والتجارة، فلذلك انجذب إليها قسم كبير من هؤلاء الحضارمة المهاجرين وتقاطروا إليها.

ولما كان لآباء العرب من يد بيضاء في نشر الإسلام في تلك الأماكن، ولما تحلى به أولئك المهاجرون الأشاوس من الفضائل، وما صبغوا عليه من التدين والأمانة والورع، فقد أكبرهم الأهالي كل الإكبار، وهفت إليهم قلوبهم عطفا وحنانا حتى أطلقوا على أكثر هؤلاء لقب حبيب.

وكان لجدهم ونشاطهم وأخذهم زمام التجارة والملاحة في بحار الشرق حيث

أصبحت سفنهم الشراعية تجوس خلال تلك الجزائر، مع تضامنهم، واتفاقهم في السنين الماضية إن بقيت السيادة التجارية في أيديهم وغدا عليهم يدور محور التجارة في تلك النواحي حينا من الزمن، حيث اجتمعت بأيديهم كلتا القيادتين الدينية والتجارية وتمتعوا بهما زمنا، رعوا فيه هاتين السيادتين حق رعايتهما لاقين من الحكومة المحلية احتراما بقدر مالهم من إجلال لدى الوطنيين.

ولكن ما لبثت هاتان السيادتان تتقصان وتفلتان من أيديهم شيئا فشيئا، إذ ما لبث سيل الهجرة أن حمل من الحضارم إلى تلك الجزائر عددا ليس بالقليل ممن ليس لهم في التفقه في الدين والتخلق بأخلاقه أي سهم، وبهم أصبح اسم العروبة الذي كان يحمل مثلا عاليا من الكرامة والتقوى، يتضاءل ويتشوه بفعل ما تنتجه أخلاق وآداب هؤلاء من سيئ الأثر في نفوس الوطنيين.

هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد زاحمهم في التجارة والملاحة من فاقهم في الآخر وزحمهم عن الميدان من أوربيين وصينيين ومازالوا يدفعون إلى الخلف حتى أصبحوا في آخر الصفوف في ميادين الأعمال والتجارة اللهم إلا الأفراد القليلين.

ويمكن أن نجعل السبب لهذين الأمرين معا هو ما تقدم من تدفق سيل الهجرة من مختلف الناس، ممن ليس من الدين والعلم في عير ولا نفير وفوق ذلك فقد كان سلوك الكثير منهم في طلب الرزق سلوكا يتنافى مع حدود الشريعة، إذ نتج من ذلك أن نشأت روح الخلاف بين بعض الفئات، واستفحل شأنها حتى بلغت إلى دور المهاترة والمشاتمة وتسويد الصحف بما يقشعر له جلد الشرف ويندى له جبين الكرامة العربية، فكان ذلك عاملا أكبر في تلاشي ما بقي للعرب في نفوس الوطنيين من احترام، وأصبح الجاوي لا ينظر للعربي تلك النظرة السالفة بل نظر إليه نظرة أخرى فيها ما فيها من معاني السخرية والاحتقار.

قال السيد طاهر الدباغ :

حضرت حفلة مدرسة الترقي – بمالاغ – سنة ١٣٤٨هـ فقام أحد الوطنيين خطيبا، وبعد أن ذكر ماضي العرب في جاوه وأعمالهم النافعة السابقة وقال إنهم

كانوا ينظرون إليهم كهداة للإسلام وصف حالتهم الحاضرة، وأن أولادهم لا يعرفون عن العربية إلا لا ونعم، وذكر ما تطرق إليهم من الخلاف ومقدار أثره في نفوسهم، إلى أن قال: إننا ننظر الآن إلى العرب كنظرنا إلى الضفادع التي لا تضر ولا تملك حولا ولا قوة إه. وتاريخ هذا الخلاف الذي استشرى داؤه وتفاقم أمره يستلزم شرحه صفحات عديدة نكتفي هنا بهذه الإشارة إليه.

نعم لا ننكر ما أثره تطور العالم، وبالخصوص البلاد العربية، على عرب جاوا، وإن فيهم من أصبح على جانب لا بأس به من الثقافة، وإنه ازداد بينهم عدد المدارس والنوادي وكانت لهم صحف قد تتحلى بعضها بمقالات مدبجة لا تنقص عما تتحلى به كبريات الصحف في العالم العربي المتحضر كجريدة حضرموت.

ولكن هذا لم يكن إلا بطبيعة الحال، والاحتكاك بالعالم المتمدن، والصحافة العربية لا سيما المصرية منها، ويخطئ من يجعل هذا نتيجة من نتائج الخلاف، فالشر لا يأتي بخير.

والحق أنه لو لم تنكب هذه الجالية بنكبة الافتراق، وفتنة الخلاف وبقيت على اتحادها، مع تيار التطور ونباهة الكثير منهم ونشاطهم، لكان لهم شأن غير هذا الشأن، ولما فقدوا ما بقي من مكانتهم لدى الأهالي أولا ولدى الحكومة مراعاة لشعور الأهالي ثانيا، ولبقوا – كما كانوا – كبارا في الأعين، ملحوظين بنظر الإعظام والإكبار.

جمال جاوا الطبيعي

لا يمتري أحد في جمال هذه الجزيرة الخضراء البديعة، التي أودعها الله من فنون الحسن، وصنوف الجمال، ما يعجز عنه الوصف والخيال، ويرجع عنه القلم كالا وهو حسير، حتى سميت عروس الشرق، وصارت لذلك مع كثرة صادراتها تعد أثمن جوهرة في التاج الهولندي.

هي تلك الجزيرة الخضراء التي كستها الطبيعة الساحرة حلة سندسية، موشاة ببدائع باهرة من فنون الطبيعة الرائعة، فتمثلت للأنظار جنة، كأنما قدمها الله لعباده

المخلصين نموذجا مما وعدهم في الفردوس الأعلى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكأنما كانت لأشقياء العباد الذين أتيح لهم التنعم بمشاهدتها جنة عجلت لهم في الحياة الدنيا لتكون حظهم مما لدى الله سبحانه من شتى المباهج وأفانين النعيم.

قلت مرة للزعيم التونسي الأستاذ (الثعالبي):

إني لأعجب كيف عيت الألسن والأقلام عن الوفاء لهذه البلاد بحق وصفها، وقلت له لا أقدر أصف لك كيف كان شعوري حينما وطئت قدماي ثرى هذه الجزائر، ورأيت مباهجها وجمالها وكيف وقفت مندهشا مذهوبا، وكأنما اكتشفتها اكتشافا، رغم اتصالي بالكثير ممن رحلوا إليها، وأمضوا فيها الشهور بل السنين الطوال.

حقا إني شعرت كأني اكتشفت هذه البلاد اكتشافا وكنت أشك هل كانت هذه البلاد العجيبة هي التي رحل إليها الحضارمة من قديم، وأصبحت لهم وطنا ثانيا ؟ وهل صدق هؤلاء القوم في بلوغهم هذه الجنات الاستوائية، ذوات الأفنان وإلا فكيف لم يحملوا إلينا ولا عشر معشار وصفها، ولا يزيدون في وصفها عن أنها خضراء وبعض العوام يقول أنها أرض (ربي سيدي) يعنون الحرية.

وقد أجابني ذلك الزعيم: إن ذلك كله من عدم دقة الملاحظة، ودقة الملاحظة هي المحور الذي يدور عليه معرفة الجمال الطبيعي والصناعي، والإعجاب بهما وبالفنون الجميلة.

والحق أن الناس في النظر إلى الجمال متفاوتون تفاوتا كبيرا فمن الناس من ينظر إلى المرأة مثلا بتلك النظرة الشهوانية البحتة، وهو لذلك يعتقد اعتقادا جازما أن الحب والإعجاب بالجمال ليس سوى ذلك الميل الجنسي المتجاذب بين الذكر والأنثى، ولا علاقة له بالروح، وهؤلاء يعتبرون غير مفرقين بين الحب الإنساني والميل الحيواني بأي فرق.

وهناك طبقة أخرى يؤمنون بالجمال والحب، ولكن إيمانهم بالجمال محصور في دائرة المرأة والرجل لا يتعداها إلى غيرها، وهؤلاء وإن كانوا أرقى من أولئك، إلا

أنهم في عرف الشعراء والفنانين يقربون إلى الحيوانية أيضا فما يدرينا؟ فقد يكون هذا النوع موجودا في الحيوان، وإن له تمييزا يميل به إلى بعض أكثر من الآخر، وقد يكون لكل نوع من الحيوانات جمال عرفي - كما لنا نحن - يمايز به الذكر بين الإناث والعكس وهذان القسمان من الناس أدنى - في نظري - إلى الحيوانية في ميولهم، وهؤلاء لا ينظرون في بدائع الطبيعة، وآيات الفن، ولا في جمال السماء ولا جلالة الدأماء: أي مظهر يستهوي النفس أو يبهج الروح، وقد تراهم يهزءون بمن يبدي إعجابه أو افتتانه بمباهج الطبيعة الساحرة وما أبدعه الخالق من روائع وآيات تستفز روح الوقور، وتستخف فؤاد الحليم.

قلنا أن هؤلاء أدنى إلى الحيوانية لأن الجمال في ذوقهم ومنطقهم هو في ذوق البهائم إذ البهيمة لا تشهد في جمال الطبيعة أي مظهر يثير الاستحسان والإعجاب، فلا ترى في الربى المجللة بسنادس الشجر، ولا الوهاد المطرزة بوشي الزهر، سوى منظر يثير الشهية، ويسيل اللعاب للالتهام والقضم والهضم، فقط لا أقل ولا أكثر، فتنسيق الحدائق وتنظيم البساتين في نظر البهيمة عبث وحمق، ولو أرسلت بهيمة في جنينة من جنينات الأزهار، لعاثت فيها فسادا وأتت عليها غير ناظرة إلا إلى أنها علف وعشب، لم يكن إلا ليؤكل ويهضم ويراث.

أما أولئك الذين تبهجهم زينة الكواكب وجمال البدر، وتستهويهم الأمواج المتكسرة على رمال الشاطئ وصخوره، وتأخذ بألبابهم مناظر الجبال العالية والهضاب المجللة المطلة على الأباطح والسهول وبين الأودية والحقول، التي هشت فيها الأشجار، وابتسمت عليها ثغور الأزهار ورجعت عليها الطيور بهديرها، وغنت فيها الأنهار والسواقي بخريرها، أولئك الذين فتنتهم الطبيعة بكل مظاهرها من نسيم عليل وماء سلسبيل، وصباح وأصيل وغير ذلك.

فهؤلاء هم الذين رقت طباعهم، وصقلت أذواقهم وعلا إدراكهم وسمت احساساتهم، أولئك الذين لا ينظرون إلى ما أبدعه بديع السماوات والأرض في هذا الكون من روائع الجمال إلا بنظرة شعرية صوفية يشهدون بها جمال الله في كل شيء.

((أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد)) صدق الله العظيم.

وقال تعالى: **(ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين)** أولئك الناس حقا الذين بأيديهم مقاييس الفن ومعايير الجمال الذين لا يشهدون فيما خلق الله من ضروب الجمال، وآيات الطبيعة إلا جلال الصانع ونور جماله ولا يرونها إلا كما قال الشاعر: ***مظاهر للجمال متى تجلت بباهر صنعها ذكر الإله***

ولقد خطر لي هذا عند ذكر جاوه الجميلة التي جمعت من صنوف الحسن والجمال الطبيعي كل ما ذكر وغيره مما لم يذكر ومما سيرى القارئ أشياء عنه في هذه الرحلة من روائع المباهج وفنون الجمال، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقد يعجب القارئ كيف أفارق أنا وأمثالي تلك الجنان الدانية، والأنهار الجارية إلى بلاد سواها، معتاضا عن تلك الحدائق البهيجة، والربى الزاهرة بالصحاري الجرد والجبال الطلس التي تجلى عليها الله باسمه القابض، مختارا لا مكرها، لا أحمل من عذر سوى حب الوطن من الإيمان، ولكن أبا الطيب المتنبي يقول:

أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

أيامي في جاوا

أما بعد هذه المقدمة التعريفية بجاوا فأعود إلى ما أنا بصدده من ذكر أيامي ومشاهداتي بتلك الجزيرة :

في يوم السبت ٢٢رجب ١٣٥٤هـ ١٩ أكتوبر عام ١٩٣٥م وصلت إلى (تانجوغ فريوك) رصيف بتافيا، وهذه هي المرة الثالثة – كما سبق – التي تطأ قدماي فيها ثرى جاوه الجميلة، وقد تلقانا على الرصيف جماعة من الأصدقاء في طليعتهم السيد/ علي بن عبدالله الحامد، والشيخ/ سالم بن مساعد، والسيد/ أحمد بن

إبراهيم العيدروس.

وقد لقيت عنتا شديدا من التفتيش في هذه المرة، التفتيش الخارج عن الحدود الاعتيادية مما جعلنا نوقن بأن هناك إيعازا سريا علينا أو على ما يظهر - على بعض الزملاء، وأن الأمر لا يخلو من دسّ وسعاية، فقد فتشت حتى باطن أحذية بعض الزملاء وعمائمهم، وكأنما أرادت السلطات - حين أصبحنا على شاطئ جاوه - تحقيق أن جاوه جنة، ومن شأن الجنة أنها حفت بالمكاره.

وبعد انتهائنا من هذا الدور العصيب المقلق علونا السيارات قاصدين حي (تانه أباغ) حيث منزل الأخ الماجد علي الحامد، وحيث نزلت ضيفا مكرما على هذا السيد، محفوفا بكل رعاية واحترام، وقد أنزلني منزلا خاصا أمام منزله الخاص.

وصادف يوم قدومي هذا ميعاد سفر فضيلة السيد الداعية الصالح/ علي بن عبدالرحمن الحبشي العلوي للحج، فحرصت على أن لا تفوتني فرصة وداعه والاجتماع به قبل سفره، فذهبنا لتوديعه قاصدين رصيف الميناء، وحين دنونا منه لقينا لأول مرة في هذه الرحلة حضرات السادة المحاضير العلويين، وفي طليعتهم السيد النبيل/ علوي بن محمد المحضار، وهناك علمت بأن فضيلة السيد علي الذي خرجنا لتشييعه إلى الباخرة لمّا يصل بعد إلى المرسى، وأنه لا يزال في منزله، فرجعنا أدراجنا إلى حيث لقينا هذا السيد، وخرجنا معا إلى الرصيف، حيث تجمع الألوف من الناس لوداع هذا الداعية ومن صحبه من قاصدي الحج، غير أنه لم يؤذن لنا في الصعود إلى الباخرة لكثرة الركاب الذين بها من حجاج بيت الله الحرام، لذلك صافحناه على الرصيف سائلين منه الدعاء لاسيما في الأماكن المقدسة، وكان الموقف رهيبا حينما وقف هذا السيد على سياج الباخرة منشدا بصوت عال بعض قصائد الصالحين، والناس يردون عليه ببيت في وزن القصيدة وقافيتها، ونغم الصوت على طريقة (المأخذ) المعروفة عند الحضارم، ثم أقلعت الباخرة.

فضيلة السيد/ علي بن عبدالرحمن الحبشي العلوي

وفضيلة السيد/ علي بن عبدالرحمن الحبشي هذا عالم صالح واعظ شديد التأثير

على الناس بوعظه وتذكيره، لصلاحه وحسن لهجته وأسلوبه في الوعظ علاوة على صلاحه.

وأغلب ما يكون وعظه باللغة الملايوية، ويمزجها بالعربية أحيانا إذا أراد تلاوة آية أو حديث، ويعود لترجمة ذلك فيما بعد، وبلغ من حسن شهرته وقوة تأثيره أن كان يحضر مجلس وعظه الألوف من الناس وأغلبهم من الوطنيين.

وله مدرسة خاصة وتسمى (عنوان الفلاح) وكما كان معظّما عند الوطنيين فقد كان معظما أيضا عند الجالية العربية، فلا يزور بلدة إلا وتقام له فيها المهرجانات والاحتفالات، وقد سبق لي أن شهدت له في سنقافورة حفلة أقامها لتكريمه النادي العربي، وقد ألقيت فيها لتلك المناسبة قصيدة اجتماعية أودعتها ديواني (نسمات الربيع) ومنها :

يا أخا الضاد جد فالمجد عزم … واركب الصعب أو تنال المراما
لا تنم فالحياة في العصر جهد … ذلّ من في مراسم العز ناما
والجهول الغبي من لم يعاجل … فرص الدهر نهزة واغتناما
كن قويا فالعصر عصر صراع … لا يرى قسط للضعيف ذماما
كم رأى الضعف منه سحب وعود … ما استقلت حتى استبانت جهاما

إلى أن قلت :

إننا أمة على سرة الأرض … وجدنا لكي نسود الأناما
قد خصصنا بموطن يفصل الدنيا … فمهما استعصت ملكنا الزماما

ثم تخلصت لمدحه :

وعلينا لحرمة الدين أن نعلي … اعترافا دعاته الأعلاما
... يا ابن عبدالرحمن كم منن … منك عظام قلدتها الإسلاما
.... فرأى الناس فيك برا تقيا … ماضي العزم عاصمياً هماما

ورأوا فيك مشعلا يكسح الجـــهل كما يكســـح الضيـــاء الظلامـــا
لك وعظ بنـــوره تبصـــر العمـــى ويـــهدى لرشــده مـــن تعـــامى
وكـــأنّ الرحمـــــن أودع فيــــه كـــهرباء تكـــهرب الأجرامـــــا

وقد زرته في قدمتي الثانية إلى بتافيا.

وقد أتيح لي عند توديع هذا السيد التعرف بالشـــيخ/ أحمـــد الســـوركتي زعيـــم الإرشاديين، وكذلك الشيخ/ حسن عرقبي نقيب العرب ببتـــاوى، وكانـــا فـــي جملـــة المودعين وعلى مقربة مني، فتطوع بعض العرب للتعرف بيننا.

وعدنا إلى المنزل بعد ذلك، وحينئذ زارنا الســـيد النبيـــل/ علـــوي بـــن محمـــد المحضار العلوي وجماعة معه للترحيب، فكانت جلسة لطيفة مع هـــؤلاء الأفـــاضل، حيث انتهيت من قطع أول يوم لي في عاصمة جزائر الهند الشرقية بتافيا.

بتافيا

وبتافيا عاصمة جاوا بل وسائر جزائر الهند الشرقية الهولاندية، وتقع على نـــهر (سيليوغ) وهي عبارة عن مجموعة من القرى متجمعة، وتخطيطها وهندسة أبنيتـــها في الغالب على النمط الهولندي، وتحتوي على مباني في غاية الفخامـــة، وإن كـــانت بيوت السكنى فيها كسائر بلاد جاوا لا تكون إلا من طابق واحد إلا النادر، كما بـــها متنزهات عجيبة، والقسم الحديث منها يسمى (ويلتفريـــدن Weltervaeden) وبتافيـــا مركز هام لاسيما لتصدير المطاط والشاي والعقاقير الطبية وكذا سائر البضائع، وبـــها مكاتب وإدارات للشركات المختلفة والبيوت المالية، كما بها متحف عظيـــم حظيـــت بزيارته كما سيأتي.

وكان موضعها في العهد البوذي يسمى (سندا كلافا) ثم بعد إسلام سلطنة بانتـــام سماها مولا هداية الله (جاكرتا) كما سبق.

وقد أنشأها (جان بيترزون كـــون Jan Peeterzon Coen) بعـــد أن بنيـــت بـــها

مستودعات وقلعة حصينة ففي ١٢ مارس سنة ١٦١٩م سميت القلعة بتافيا، وفي ٣٠مارس من السنة المذكورة تكونت البلدة بتافيا وغلب اسمها (جاكرتا).

وكانت في أول الأمر مركزا تجاريا لشركة الهند الهولاندية التي على يدها كان افتتاح جاوا ثم صارت مركزا للبضائع الهولاندية.

وقد كانت مدينة سورابايا بشرق جاوا أشهر مدينة تجارية في تلك الجزيرة ولها مركز تجاري لا تنازع فيه، ثم ما زالت بتافيا تنمو حتى صارت تنازع سورابايا سيادتها التجارية وما زالت كذلك حتى حل الكساد بتجارة السكر أخيرا في العالم كله، وسورابايا من أهم المواقع لتصديره، فزحمت سورابايا عن مركزها الممتاز وغدت الآن تحتل المركز التجاري الأول في جاوا.

ويبلغ عدد سكان بتافيا الآن ٥٤٠ ألف نسمة.

وقد زرتها في رحلاتي الثلاث ذهابا وإيابا، وقد نزلت فيها في الأولى ضيفا على الشيخ/ صالح بن عبدالرب بن خليفة، أما في الثانية والثالثة فكنت ضيف للأخ الفاضل/ علي بن عبدالله الحامد.

عود إلى الرحلة

ومن حسن حظي أن صادف قدومي إلى هذه المدينة وجود السادة المحاضير العلويين وفي طليعتهم السيد النبيل/ علوي بن محمد المحضار العلوي، إذ أصبحت هذه المدينة تزدهر بمهرجانات ضيافية تكريما لهؤلاء السادة الأمجاد، وبذلك تمكنت من الاجتماع بكثير من الأصدقاء والأعيان بسهولة في غير عناء ولا بحث، حيث غدت تتجاذبنا الدعوات والتكريمات في كثير من منازل كرماء بني عدنان وقحطان ممن تديروا ذلك المهاجر.

السيد النبيل علوي المحضار العلوي

وسماحة السيد/علوي المحضار هذا سيد من خير من عرفت من وجهاء العلويين

وهو نجل الإمام العظيم الحبيب/ محمد بن أحمد المحضار الذي كان ساكنا (ببندووسو) في شرق جاوه وتوفي بسورابايا كما سيأتي.

والسيد/ علوي فوق ما له من الجاه والسمعة أديب مطلع وخطيب مصقع وهو على جانب من الثقافة ذو أخلاق عالية نادرة في غيره، وفيه سماحة زائدة ولم تزل داره أينما حل في الوطن وفي المهجر – موئلا للضيوف ومحطا للركبان – وإليه يرجع الفضل في إنشاء مدرسة (بندوسو) كما أنه لا يحجم عن التدخل في أي مشروع خيري بنفسه وجاهه وكل ما يملك.

والناس باذل نفسه أو جاهه أو علمه والآخرون فضول

عرفته سنة ١٣٤٦هـ فرأيت منه ما أدهشني من لين جانبه، ودماثة أخلاقه حتى لحسبت أنني نزلت على والد لي أو أخ حنون، ولم يزل يحوطني هناك بعطفه وإكرامه مدة إقامتي في جاوه الشرقية فانعقدت بيننا الألفة منذ ذلك الحين.

وقد تأكدت الألفة بعد زيارتي الثانية لجاوه سنة ١٣٥٠هـ ومنذ ذلك الوقت توطدت قوائم الصداقة على أساس من الود والإخلاص متين، ولم نزل نتبادل المكاتبة من تلك الأيام إلى اليوم، ولا يزال في طرة قائمة الذين اعتز بصداقاتهم، وقد ورد إلى بتافيا معتزما السفر إلى وطنه: دوعن حضرموت في رفقة من أفراد عائلته وذويه، منهم أخوه السيد النجيب/ حسين بن محمد وأولاده الثلاثة جعفر ومحمد وعبدالله والسيد السالك/ طاهربن عبدالله بن هادون المحضار والأستاذ/ علي بن أبي بكر بن يحيى وغيرهم.

وفي اليوم الثاني دعا مضيفي السيد/ علي بن عبدالله الحامد كثيرا من سادة العرب وفضلائهم وذلك لمناسبة قدومي وفي طليعتهم فضيلة السيد العلامة/ عبدالله بن محمد المحضار العلوي، ومنهم الشيخ/ صالح بن عبدالرب ابن خليفة وبعض أخوته وهذا أعني الشيخ/ صالح كان جارا لنا في الوطن سيئون حضرموت، وقد سبق ذكر نزولي عليه عند زيارتي الأولى لهذه البلاد سنة ١٣٤٦هـ وهو رجل دمث الأخلاق لا أزال أذكر منه كل إجلال واحترام.

وفي مساء هذا اليوم كنا مدعوين عند الشيخ/ سالم بن مساعد أحد المحامين العرب في المحاكم الصغرى، وقد قام بكل ما يقتضيه واجب الكرم والضيافة العربية، وكان عنده سمر قصير وعدنا إلى المنزل.

الأستاذ/ محمد بن سميط العلوي

وفي يوم الاثنين ٢٤رجب جاء إلي صباحا الأستاذ الأديب محمد بن أحمد بن سميط الكاتب الثاني لجمعية الرابطة العلوية، وهو شاب من خيرة الشباب المثقف بين أبناء العلويين، وهو خطيب مرتجل، حسن الأسلوب في خطابته، وله معرفة باللغة الهولاندية والانقليزية إلى جانب معرفته بالملايويه، اجتمع له مع ذكائه وفطنته وفضله حسن أخلاقه ودماثتها وتواضعه الذي لا تشوبه شائبة غرور، ولا يعتوره شيء من نزق الشباب، وقد انتخب رئيسا لبعثة كشّافة الرابطة العلوية إلى المخيم العام للكشافة العالمية بهولندا، وعاد إلى مصر حيث بقي بها إلى الآن.

وقد سمح لي فضل هذا الأستاذ بأن صحبني هذا اليوم من أجل التأشير على الجواز وإنهاء مسألة ضمان الدخول وعدنا إلى حي (تانه أباغ) وكنا مدعوين هذا اليوم عند السيد/ عبدالرحمن بن محضار الحبشي فحينما حان الوقت ذهبنا إليه، وهناك بعد أن تناولنا طعام الغداء على مائدته أخذنا في الحديث عن حضرموت، واستغرقنا في ذكريات عذبه عن ربوع الوطن ومراتع الصبا، وكان لهذا السيد ولدان توأمان متشابهان تمام التشابه، بحيث لم تر عيني مثل هذا التشابه بين غيرهم اسم أحدهما عبدالله والثاني محضار، وكانت الحكاية أن دخل إليه صبي وجلس إلى جانبه، فحين سألته عنه قال إنه ابني واسمه كذا، ثم غاب فعاد هذا الصبي بحسب ما اعتقد وجلس إلى أبيه أيضا فحين سمعته يخاطبه باسم آخر تعجبت وسألته هل كان لهذا الصبي اسمان ؟ وما أشد دهشتي حين قال: إنه غير الأول ولم أتأكد حتى دعا الأول فحضر فإذا الأمر كما ذكر ومع ذلك، فلم يكن ذلك كافيا لي في التفريق بينهما بعد تلك الساعة.

ثم عدنا إلى المنزل وذهبنا عصرا لزيارة الشيخ/ عبدالرحمن بن عمر جواس فلم نجده في منزله فاتجهنا لزيارة الأستاذ محمد بن سميط حيث وجدناه فقابلنا بكل

عبارات التأهيل والترحيب وكانت جلسة لطيفة، وبعد هنيهة جاء السيد علي الحامد وكنا قررنا الذهاب لزيارة السيد الفاضل/ عبدالله بن أبي بكر الحبشي، فاستأذنا من الأستاذ ابن سميط وذهبنا لزيارة هذا السيد وكانت جلسة اشتملت على فنون من أطائب الحديث، وزادت حسنا بحضور السيد الفاضل/ علوي المحضار.

ولما كنت مدعوا هذه الليلة عند ابن خليفة ورأيت الوقت قد حان استأذنت في الخروج قبل انفضاض المجلس وخرجت يصحبني الأخ/ علي الحامد فصادفنا الأستاذ أحمد بن عبدالله السقاف، وهنا اتفقنا على الذهاب معا لدعوة ابن خليفة فاستأجرنا أحد العربات إلى حي (تانه تنقي) حيث وجدنا مضيفنا متهيئا لملاقاتنا، وكان سمر استمر إلى هزيع من الليل، ولما كانت الحرب الحبشية الإيطالية لا تزال ناشبة فقد كانت هي المحور الذي يدور عليه أكثر حديث المجلس، وعدنا إلى (تانه أباغ).

مدرسة خير العربية - الأستاذ علي بن يحيى العلوي

وفي يوم ٢٥ رجب ٢٢ أكتوبر ذهبت قاصدا مدرسة خير العربية، وطفت في الأقسام كما اطلعت على برامج التعليم، وأعجبت والحق يقال بنظامها وحسن طريق التعليم بها، وهي من أقدم المدارس العربية في هذه العاصمة، وهي إلى الآن تحت إشراف الرابطة العلوية، أما إدارتها حين زيارتي لها فكانت مسندة إلى الأستاذ/ علي بن يحيى الذي اعتزل هذه الوظيفة بعد زيارتي هذه، إذ رحل إلى البلاد العربية مع السيد النبيل/ علوي بن محمد المحضار.

والأستاذ/ علي بن أبي بكر بن يحيى هذا من صفوة من أنجبته مدارس المهاجر من أبناء العرب، وممن يحق للمدرسة العربية أن ترفع رأسها فخرا بتخريج مثله.

فقد عرفت هذا الشاب عند أول زيارة لي لهذه البلاد سنة ١٣٤٦ه وأنا إذ ذاك في ميعة الشباب وكان أستاذا في المدرسة الخيرية بسورابايا التي كان هو من خريجيها، وكان شعلة تتقد من الذكاء والفهم، رأيته في هذه المرة فرأيت الفرق واضحا حيث أصبح ناضجا تمام النضج في معلوماته وتفكيره، وهو خطيب من أخطب من رأيته من الخطباء، ومعاني خطابته وأسلوبها في تمام العلو جدا حتى

ليحسب أنه كان يعد هذه الخطب قبل أن يلقيها ارتجالا بترّو وإمعان فكر، وكما كان مبدعا في معاني خطابته وأسلوبها، فقد كان مبدعا حقا في لهجته الخطابية التي يتدفق معها تدفق الآتي، في غير ما تلجلج ولا تقطع، وهو صديق لي ممن أعد صداقته من أنفس ما لدي من الذخائر.

وكنا دعينا هذا اليوم لدعوة غداء عند السيد/ ابن شهاب مع السيد/ علوي المحضار ورفقته، وبعد تلك الضيافة الفخمة عدنا إلى المنزل، ولم نخرج إلا عشية هذا اليوم إذ مررت على الأستاذ احمد بن عبدالله السقاف وإذ لم أجده قصدت دار السيد/ عبدالله بن أبي بكر الحبشي وكنا مدعوين عنده هذه الليلة للعشاء مع السيد علوي الآنف الذكر، فكنت أنا أول القادمين إليه ولكني لم ألبث طويلا حتى تقاطر سائر المدعوين وفي مقدمتهم السيد/ علوي المحضار، وكان سمر اشتمل على فنون من الحديث.

وفي صباح يوم ٢٦ رجب ٢٣ أكتوبر اتفقت مع مضيفي السيد الماجد علي الحامد على التطواف وعلى أن أخرج معه هذا اليوم وأن يجري في أشغاله اليومية كعادته، فمررنا إلى بعض الإدارات ثم ذهبنا إلى موضع اشترى به أرضا من عهد قريب، فطفت معه فيها وتغلغلنا في أكشاكها الخشبية ولم يكن هناك ما يستلفت النظر سوى أنه من الممكن أن يكون لها مستقبل حسن، ثم عدنا وخرجت عشية إلى دار السيد/ عبدالرحمن بن محضار الحبشي حيث حضر بعد الأساتذة علي بن يحيى، ومحمد بن سميط، وهادي جواس، ومكثنا حتى صلاة المغرب فعدت إلى المنزل.

وكنت هذه الليلة مدعوا عند السيد حسين بن أحمد بن سميط أخي الأستاذ محمد الآنف الذكر، لولا أن قدوم بعض الزوار إلينا قد أخرنا عن الموعد قليلا، ثم اتجهت إلى هذا السيد يصحبني أخوه الأستاذ محمد،وهناك وجدنا مضيفنا مترقبا للقائنا بمنزله اللطيف الجميل في حي (كويتاغ) الكافي.

وكان هذا السيد مطلعا وله إلمام بالأدب، كنت عرفته منذ عهدي بسنقافورة حيث كان هو ضيفا لصديقي الأستاذ محمد بن حسن ابن شهاب واذكر أنه كان يوما حاضرا مجلسنا في قصر بديع على الشاطئ الشرقي من سنقافورة وجرت فيه مساجلة شعرية

فكاهية فكان يدلي بدلوه معنا بما يدل على أخذه بجانب من الأدب لا بأس به.

واذكر أنني استعملت لفظة (زاهي) في بيت، بمعنى مشرق ومزهر فقال لا تكون زها إلا بمعنى تكبر فلم يحضرني لإقناعه إلا بيت الحبيب علي بن محمد الحبشي:

امتلاء الكؤوس قالوا معيب وحكوا أنه على النصف زاهي

فاستكان له وسكت.

وكويتاغ عبارة عن حي أو قرية في داخل بتافيا يمتلكها السادة آل الكاف العلويون، وطرقاتها الرئيسية معبدة بواسطة البلدية والبعض معبد بفعل السادة آل الكاف أنفسهم وممن يسكنها من الأعيان فضيلة الداعية علي بن عبدالرحمن الحبشي العلوي الآنف الذكر، وبها مدرسته ومسجده، وفيها تعقد مجتمعاته التذكيرية الحافلة التي يحضرها الألوف.

إلى فارواكرتا

أما يوم ٢٧ رجب ٢٤ أكتوبر فلزمت المنزل ولم أبارحه وجاء بعض الزوار من جملتهم السيد الوقور طه بن عبدالله الحبشي أحد مواطنينا وهو شيخ عرفته من حضرموت وبقيت إلى بعد الظهر إذ أرسل إلي السيد علوي المحضار ابنه جعفر يرجو أن آتي إليه وكان إذ ذاك في منزل أحد السادة آل العطاس في حي (الميستير) ثم ذهبنا إلى منزل السيد صالح بن محمد العطاس حيث لقينا لديهم صنوفا من الحفاوة والاحترام، وبعد تناول الشاي وبعض الحلاوة اعتزمنا السير إلى (فرواكرتا) فامتطينا السيارة قاصدين تلك البلدة لزيارة السيد عمر بن سالم العطاس (المذكور توفي فيما بعد سنة ١٣٥٩هـ) فجرت بنا في طريق معبد تحفّ به ألوان من مناظر الطبيعة، من حقول الأرز وبساتين من الساج والمطاط، وهي تتلوى بنا في منعطفات متعددة حول المزارع والغياض تبهج الروح وتروق الناظر، حتى بلغنا (فرواكرتا) ولا أنسى كيف سرّ بنا هذا السيد الكريم سرورا بلغ إلى حد كبير، ولكن هذا السرور ما لبث أن صار إلى عتاب شديد مؤذن بأن يعقبه استياء وذلك حين علم ذلك السيد أننا لا نريد البقاء عنده إلا برهة

وجيزة لا تكفي – عنده – للقيام بواجب الضيافة كما يريد، على أن ما عجله من الطعام وما قابلنا به من التأهيل والإكرام يعتبر إكراما لائقا في نظرنا، فقد أقسم أن نبيت عنده وأن نظل غدا، ولكن الصحب لم يفتروا في مراجعته وسط الأعذار له ونكر الوعود التي قطعت عليهم، وبعد لأي رضي واقتنع، ولم تكن الساعة الثالثة ليلا تقريبا إلا وقد علونا السيارة وعدنا أدراجنا قاصدين (بتافيا) ولم نتوقف إلا لبعض رجال البوليس حيث أوقفنا صاخبا على السائق بدعوى أن أحد سراجيها كان مطفئا، ولم نكد نتوقف حتى أذن لنا، ولم تحل الساعة الحادية عشره ونصف إلا وأنا على السرير حيث غرقت في نوم هنيء إلى الصباح.

فاسارمينقو

وجاء يوم ٢٨ رجب ٢٥ أكتوبر وقد واعدني السيد علوي المحضار أن نصطحب هذا اليوم للذهاب إلى (بيتزورخ) بوقور، ولكن سبق للأخ علي الحامد اعتزام الخروج بنا إلى (فاسارمينقو) ومعنى ذلك باللغة الملايوية سوق الأحد.

وفاسارمينقو قرية قريبة من (بتافيا) وفيها إحدى محطات السكة الحديدية، وبيوتها أكثرها متفرقة وجلها مصنوعة من الخشب ومن تذيرها من العرب بعض السادة آل الحداد العلويين جئنا إليها قاصدين منزل أحد الحجاج الجاويين الذي وجدناه في انتظارنا كما حضر الشيخ سالم بن مساعد وبعض اخوته، وهناك آوينا إلى منزل الحاج الخشبي الذي تحفه الأشجار من جهاته الأربع، واسترحنا باستنشاق الهواء العليل وأحسسنا أننا في نزهة ريفية جميلة، حيث كنا بعيدين عن ضوضاء المدينة وضجيجها، وتطوع أحد الرفقة بمباشرة ذبح الجدي المعد للغداء هناك، وكانت وجبة شهية لذيذة، حيث رأينا كأننا في بعض أرياف سيئون بحضرموت، لولا هطول المطر بعد ذلك، وبعد الظهر التمسنا سيارة للرجوع عليها فحين أبطأت علينا علونا ظهر الترام إلى بتافيا.

إلى بوقور

لم نلبث بعد وصولنا (تانا أباغ) كثيرا، حيث وصل السيد النبيل علوي المحضار

يصحبه السيدان الفاضلان شيخ بن سالم العطاس المقيم بالتقل وعلوي بن سالم العطاس المقيم ببوقور وذلك لميعاد ذهابنا المقرر إلى بوقور (أوبوتنزرخ) فركبنا السيارة واتجهنا قاصدين تلك البلدة، في طريق جميل قد زاده جمالا ما يتراءى حوله من المناظر البديعة، ماثلة حولها عن بعد وقرب تلك الجبال والتلال المطلة على الوهاد والسهول المطرزة بالغياض والحقول، فيرى الناظر أشجار المطاط والفواكه وحقول الأرز والأناناس وغيرها مما لا يكاد يحصر، وكأنما وّصفت ونسقت ليتحلى بها ذلك الطريق، الذي يبلغ طوله ٣٥ ميلا، وليزداد بها الناظر بهجة يتمنى بها لو طالت المسافة.

وبالرغم من كوننا نصعد إلى ما علّوه أكثر من ثمانمائة متر من سطح البحر، فلم نكد نشعر بترقي السيارة وصعودها لحسن هندسة الطريق وإتقان اختلاس علوّها، وعند دنونا من بيوت تنزرخ أحسسنا بطيب الجو وبرودته حتى بلغنا إليها.

بيوتنزرخ أو بوقور

تبتعد هذه البلدة عن بتافيا بخمسة وثلاثين ميلا وترتفع عن سطح البحر بثمانمائة وخمسين قدما وبها نهر جميل، وهواؤها صحي وهي كثيرة الأمطار فلا يزورها زائر إلا ويشاهد أخلاف السحائب تدر عليها ويبلغ عدد سكانها خمسين ألفا منهم أربعة آلاف أوروبي.

أسسها الحاكم العام الهولاندي (فان أمهوف **van emhoff**) سنة ١٧٤٥م، وجعلها مصيفا له وفيها قبر قرينة (رافليز **Rafflees**) القائد الإنجليزي البطل الذي استولى على جاوة سنة ١٨١١م، وبها الآن قصر الحاكم العام لجزائر الهند الهولاندية، ولها شهرة عالمية تعزى إلى وجود الحديقة النباتية العظيمة بها.

وقد زرتها في رحلتي الثانية والثالثة إلى جاوا فدخلتها عام ١٣٥٠ه ونزلت على علامة حضرموت وحافظ المشرق فضيلة السيد/ علوي بن طاهر الحداد العلوي وهي أول مقابلة لي مع هذا الإمام وعنده عقدت الصداقة بيني وبين الأستاذ الأديب علي باعبود العلوي إذ كان موجودا عنده.

فضيلة علامة حضرموت الأستاذ السيد/ علوي الحداد العلوي مفتي جوهر

وفضيلة هذا الأستاذ علامة عظيم الشهرة نادر وجود مثله علما وفضلا فكان قوي الحجة واسع الإطلاع عالي الهمة، وهو زعيم العلويين بحق في الشرق البعيد، أما في الحديث فما أظن أحدا ينازعه السيادة فيه في هذا العصر، وأما التاريخ فهو ابن بجدته وحامل لوائه، وأما الفنون الأخرى فهو المبرز فيها والمجلي في حلبة ميدانها، وبالجملة فهو الرجل الذي ما رأيت عالما من أبناء الجزيرة مثله، اجتمع له ما اجتمع من أشتات الفنون فأتقنها كأنما كان متخصصا في كل فن منها، وهو في الخطابة ثاني اثنين من علماء حضرموت يستطيعان الوقوف لارتجال الخطب الطوال في أسلوب بليغ أكثر من ساعة أو ساعتين.

وله مصنفات كثيرة منها القول الفصل، وهو يدل على سعة اطلاعه وطول باعه في فن الحديث حتى قال بعض علماء المغرب: ما كنت أظن أن يوجد في الشرق عالم متبحر في الحديث يستطيع تأليف مثل هذا الكتاب فحين رأيته حمدت الله أو ما هذا معناه، وله مصنفات أخر منها تاريخ حضرموت وكلها يدل على سعة علمه وغزارة مادته.

أقام بجاوه مدة حتى طلبته حكومة جهور الإسلامية ليكون مفتيا لها، فتحول عن جاوا إلى جهور بشبه جزيرة ملايا سنة ١٣٥٣ه مارس سنة ١٩٣٤م حيث أقام بها إلى الآن، ولتلك المناسبة أقام النادي العربي بسنقافورة له حفلة تكريمية كنت أنا أحد القائمين فيها فألقيت قصيدة أودعتها ديواني (نسمات الربيع) مطلعها :

دعني مع الروض تحويني خمائله　　دعني مع الإيك تشدو لي بلابله

إلى أن قلت :

دعني وشعري فيا شعري أجب قلمي　　جل المقام فماذا أنت قائله
ويا بنات شعوري طاوعي لسني　　وعجّلي إن خير البر عاجله

إنا هنـــا نحتفــي بـــالفضل مكتمـــلا في شخص هذا الذي رقت شمائله
هذا الذي لو ســـما شـعب يباهلنـــا بعبقـري بــه جئنـــا نباهلــــه

وختمتها بقولي :

يـــا رائـــد المثـــل الأعلـــى لأمتـــــه في ذمة الله قلـــب أنـــت حاملـــه
أقحمت قلبـــك بحـــرا لا قـــرار لـــه من المنى لست تدري أين ســـاحله
أنشـــر قلاعــك لا تجـــزع فتغرقـــه فـــالعزم دافعـــــه والله كافلــــه
هذي عيون العـــلا ترعـــاك معجبـــة والدهر ران يرى ما أنت فاعلـــه
ومرحبا بــك مــن خـبر أطـل لنـــا شمسا تشع وغيثـــا عـم وابلـــه
ما استأثروا بك دارا قد نزلـــت بـــها في كل صدر محـــل أنـــت نازلـــه

وأتفق حين لقائي لهذا السيد في المرة الأولى أن صحبـــت معـــي مـــن الكتـــب العصرية كتاب (قبض الريح) للأستاذ محمد عبدالقادر المازني، فتناولـــه منـــي هـــذا الزعيم وأعاده بعد قراءته له وقال: وجدته كاسمه قبضا على ريح، لم يعلـــق بالخـــاطر منه شيء، ثم قال إلا موضوعا واحدا حين ناقش طه حسين إنكاره شـــخصية مجنـــون ليلى محتجا بتناقض أخباره وأشعاره وأن هذا دال على أنه شخصيه مصطنعـــة، فـــأخذ المازني يناقض بين أخبار طه حسين وأقواله، وقال من الممكن على هـــذا المنطـــق أن يقال في عصر مستقبل أن طه حسين شخصية خيالية لتناقض أخباره وأقواله وعقائده.

وقد شهدت هذا الإمام وهو يلقي دروس السيرة على تلاميذ مدرسة خـــير حيـــن عين لإلقاء دروس معينة بها في بعض أيام الأسبوع. وقد زرته بعد عند عودتي مـــن سورابايا إلا أنها زيارة قصيرة إذ كانت إقامتي ببوقور أقل من نصف يـــوم. وممـــن حظيت بزيارته في تلك المرة فضيلة السيد الولي الصالح صاحب الكرامات عبـــدالله بن محسن العطاس زرته إلى منزله فتلقاني هو بنفسه كما سيأتي ذكر ذلك، وفي تلـــك المرة زرت الحديقة النباتية وهي حديقة عجيبة جميلة جمعت من أصناف النبات مـــا يعجز عنه الحصر منسقة أجمل تنسيق وأبدعه، وهي لكثرة أنواع النبات بها وفصائلـه

تهم الزراعيين أكثر من الشعراء والأدباء، وعند عودتي من شرق جاوه يوم ١٨ صفر سنة ١٣٥١هـ أتيح لي في هذه البلدة مع بعض الأصحاب زيارة مستشفى المجانين – أعني زيارة تفرج لا استشفى – فقد كان لأحدنا مبرر فاستأذن ودخلنا وصادف دخولنا وجود المجانين على حشيش مرج المستشفى – المسمى عندهم الآلون – وحين رأونا تواثبوا وأقبلوا نحونا فرعب البعض من إقبالهم ومع كوننا في خفارة أحد البوليس فهو وإن وقانا جناياتهم فلم يقنا من شتمهم وسوء أدبهم إن صح هذا التعبير في حقهم – فجعل بعضهم يشتمنا وأتى بعضهم وهو مسترخي السراويل حتى بدت عورته، وهو يشير إليها متكلما بكلام بذيء وبعضهم يبدي أعمالا جنونية غير هذا، فقلت لمن معي لا تنكروا فقد دخلنا الحديقة النباتية فرأينا فيها أنواع النبات فحري بنا وقد دخلنا حديقة المجانين أن نرى أنواع الجنون.

ولهذا المستشفى مستشفى الأمراض الجسمية كما له مساحة واسعة مكسوة بالحشيش المقصوص (آلون) وموقعه صحي جميل، وقد أقمنا في رواق مستشفى الأمراض الجسمية هناك، وخرجنا لاهجين بالإعجاب لسهر الحكومة وعنايتها بهؤلاء المساكين الذين فقدوا أعز غال يفخر به بنو الإنسان.

عود إلى الرحلة

وصلنا إلى بيونتزورخ حيث أتينا منزل السيد الصالح علوي بن محمد الحداد العلوي وهناك لقينا السيد العلامة عبدالله بن محمد المحضار شقيق السيد علوي المحضار وبعد تناول طعام العشاء قررت المبيت عند السيد علوي بن سالم العطاس في منزله الجميل المطل على مسجد الولي الصالح الحبيب عبدالله بن محسن العطاس حيث أعد لي سرير وثير في غرفة مؤثثة بأثاث جميل.

وبعد انتباهي من النوم يوم ٢٩ رجب ارتديت ملابسي ونزلت إلى المسجد المشار إليه فصليت الفجر جماعة، ثم اتجهت أنا والسيد علي نجل السيد علوي المحضار (وهذا النجل بقي بجاوا مع أخيه حامد إلى الآن) إلى ضريح الولي الصالح الحبيب عبدالله بن محسن العطاس وكان ذلك الضريح المبارك في قبة بجوار المسجد.

فضيلة الإمام الصالح الحبيب/ عبدالله بن محسن العطاس العلوي

وصاحب الضريح هو فضيلة الإمام الولي السيد/ عبدالله بن محسن العطاس العلوي وكان إماما فاضلا على جانب كبير من العلم والتقى والورع وحسن السمت وله شهرة طائرة هناك وقبول تام لدى العرب والوطنيين وله كلام عجيب على الطريقة الصوفية ومواعظ مفيدة يلقيها في مجالسه التي يجتمع بها الجم الغفير من رائدي فضله وبركته، ولي الفخر بأن حظيت بالمثول بين يدي هذا الإمام في حياته، واستلمت يده الكريمة وذلك سنة ١٣٥٠هـ إذ قابلني في منزله في القاعة الأمامية التي يستقبل بها الضيوف وسألني عن اسمي فحين عرفني عزاني في والدي وسألني عن بعض الشؤون، ولحسن حظي أن كان مجلسي معه على انفراد، فتمكنت من إطالة الكلام معه، وكنت لا أزال على حداثة السن وغضارة العمر، فلا بدع إن كنت من الجرأة بمكان أداني إلى التبسط في الكلام معه وفي سؤال بركته والدعاء منه، وقد دعاني لضيافته ذلك اليوم فاعتذرت.

ولهذا السيد العظيم كلام منثور مدون وديوان شعر أكثره مواعظ رضي الله عنه، وكانت وفاته ظهر يوم ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٥١هـ،٥ ٢ إبريل سنة ١٩٣٣م رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته.

وبعد زيارة ضريح هذا الصالح عدنا إلى منزل السيد/ علوي بن سالم العطاس وهو ابن أخي صاحب الضريح، وهناك قدم لنا طعام الفطور، ولم نمكث طويلا حتى جاء السيد النبيل علوي المحضار، وخرجنا قاصدين منزل الشيخ/ محمد بن عبدالله ابن عبدات، وبعد المكث عنده ساعة، قصدنا الشيخ/ سالم باوزير وهو في موضع قريب من البلد، وهو شيخ كريم النفس وله معمل شاي فطفنا فيه، ثم عزم علينا للجلوس في غرفة معدة وقدم لنا عسلا حضرميا مع خبز، فتناولنا منه، وعدنا أدراجنا إلى بوقور، وقد سمح الوقت بالتعريج على بركة الاستحمام الجديدة وهي بركة جميلة حديثة الطراز في موقع بديع تحف بها مناظر سحرية رائعة

وبعد الإقامة بها برهة متعنا فيها الأرواح باسترواح النسيم واستنشاق الهواء

المشبع بأرواح الأزهار، والنظر إلى تلك المجالي الطبيعية الساحرة عدنا إلى بوقور حيث انتظم لنا مجلس لطيف في منزل السيد/ علوي بن سالم شنّف أسماعنا فيه بعض الحداة ببعض الأصوات الحضرمية (الدان) الشجية، ومكثنا هناك إلى ما بعد الساعة السابعة بعد الظهر، فاعتزمت الخروج مع السيد علوي المحضار إذ بلغه خطاب بالتلفون بأن الباخرة الأسترالية التي ينوون السفر عليها تأكد الآن إنه لم يبق بها غرف وأن السفر لذلك سيرجأ إلى يوم السبت القادم بدلا من يوم الاثنين (بعد غد) فذهبنا إلى الشيخ سالم باوزير لاستقصاله عن الخبر فلم نجده في منزله فعدنا إلى بوقور.

وكنا دعينا هذه الليلة عند السيد/ علوي بن سالم فحضرنا عنده على الميعاد، وقدمت لنا مائدة العشاء التي احتوت علاوة على ما فيها من لذائذ الأطعمة أنواعا من الفواكه الشهية، وقد طال سمرنا عنده هذه الليلة إلى نحو الثانية عشرة.

حفلة تكريم السيد/ علوي المحضار في الرابطة وآل العطاس

وفي ضحى يوم الأحد ٣٠ رجب ٢٧ أكتوبر جئت إلى منزل السيد الهمام علوي بن محمد الحداد وكان هذا اليوم يوم موعد حفلة جمعية الرابطة العلوية التكريمية بمناسبة وداع السيد النبيل علوي المحضار، فامتطينا السيارة معه يصحبنا السيدان علوي بن سالم وشيخ بن سالم العطاس إلى (بتافيا) قاصدين حي (شكيني) إلى منزل السيد الفاضل/ علي بن حسين العطاس حيث ألفينا جماعة من السادة بني العطاس متجمهرين هناك، ومن بينهم السيد الفقيه/ عبدالله بن عبدالرحمن العطاس والسيد/ عبدالله بن هادون وأنجال السيد أبي بكر بن عبدالله العطاس وغيرهم ممن يطول تعدادهم، فأفضوا إلى السيد علوي المحضار بحديث سري بطريقة (البرزة) ولكن ما لبث أن صار علنا شارك فيه كل فرد ممن حضر تلك الجلسة، وتحول إلى مناقشات حادة يشوبها شيء من الحماس وعبثا حاول السيد/ علوي تهدئة هذه الثورة بالرغم من أن عصابة من هؤلاء السادة الاماجد قد مال إلى ناحيته وفي طليعتهم السيد العالم/ عبدالله بن عبدالرحمن العطاس المذكور آنفا، على أني لم أخرج من ذلك المجلس إلا وقد صرت من أعلم الناس بأسباب هذه الثورة واتجاهها.

وملخصها: أن السيد عبدالله بن سالم العطاس النائب العربي في مجلس العموم وكان عضوا في الرابطة العلوية قام بخطبة في مجلس العموم اعتبرتها جمعية الرابطة العلوية تمس تاريخ الإسلام بجاوه بما لا يرضاه غيارى المسلمين عموما والعلويين خصوصا علاوة أن ذلك يخالف الواقع.

فأعلنت الرابطة استياءها لهذا الصنيع بفصل هذا السيد عن عضوية الرابطة فساء ذلك جماعة من آل العطاس، فذهبوا محتجين على الرابطة العلوية مشافهة مع بعض أعضاء الهيئة المركزية منذريها بأن هذا الصنيع قد يؤدي إلى الانشقاق بين العلويين، ويزعم بعض المطلعين أنهم قالوا ذلك بصورة تهديديه ولهجة عنيفة، فتفاديا من تباعد شقة الخلاف وأفقت الرابطة على إعادته عضوا فيها.

غير أنه جاء ما ليس في الحسبان إذ قدم بريد سنقافورة بالعدد الثامن عشر من جريدة (صوت حضرموت) الغراء بتاريخ ١٢ رجب سنة ١٣٥٤ه وعلى صفحته الأولى مقال بعنوان (على منبر فولكس راد.. فعلات عبثانية) حمل فيه الكاتب على النائب العربي في مجلس العموم وهو السيد/ عبدالله المشار إليه آنفا ورماه فيه بقوارص من التهم، التي من أشنعها تمجيد البوذية الجاوية القديمة، والحط من قدر الإسلام وتاريخه، وفي المقال عتب على الذين وقفوا بجانبه من آل العطاس للدفاع عنه، ولحمل الرابطة العلوية على إعادته إليها، وكان العتب هذا في نظرهم مرا لا يحسن الصبر عليه.

فعند ذلك ثارت ثائرة آل العطاس الأمجاد، وأعلنوا ثورتهم من جديد على الرابطة العلوية، في حين تبرأت هيئة الرابطة من هذا المقال، ونفت صدوره نفيا باتا من أي مصدر يتعلق بها، وأن ليس لها في هذا المقال ناقة ولا جمل، ولكن إخواننا بني العطاس لم يقتنعوا وأعلنوا مقاطعة الرابطة واستياءهم منها.

فأمل السيد علوي المحضار إقناعهم وحل الخلاف حتى يعودوا إخوانا كما كانوا وتجري الأمور على مجاريها، ورغب في حضورهم حفلة الرابطة التكريمية اعتزازا بشرف حضور أخواله بني العطاس، وإعلانا لحل المشكلة بينهم وبين

إخوانهم العلويين الذين تمثلهم الرابطة، ولكن إخواننا بني العطاس أصروا على وجهة نظرهم، وزادوا على ذلك أنهم سيشيعون السيد علوي إلى دار الرابطة بسياراتهم ويعودون أدراجهم، فكان الأمر حينئذ في نظر السيد علوي أدهى وأمر، إذ تطور الشأن إلى عكس ما يريد تماما، فأبدى لهم أنه مقتنع ببقائهم وأن لا يذهبوا معه لا لتشييعه ولا لحضور الحفلة فامتنعوا، ولم يجده شيئا تضرعه إليهم ومراجعتهم بكل رجاء وتعطف، ولا مساعدة السيدين/ عبدالله بن عبدالرحمن وعبدالله بن هادون وغيرهما في رجائهم في ترك هذا الصنيع بشتى الوسائل، فتوعدهم السيد/ علوي بأنه سيتأخر عن حضور الحفلة وإن كانت أقيمت من أجله فكان جوابهم أن شأنك وذاك.

ولكن الوقت ضاق والناس في انتظار المحتفي به في دار الرابطة العلوية فلم يكن بد من الخروج، فخرج السيد علوي ونحن معه على مضض، وأقبلنا على دار الرابطة تحفنا سيارات الاماجد بني العطاس حتى إذ دخلنا إلى حضيرة دار مدرسة خير عادوا أدراجهم، ولم يدخل معنا سوى الفقيه/ عبدالله بن عبدالرحمن العطاس.

وإنما ذكرت هذه الحكاية على علاتها لشيوعها حينئذ وذيوع شأنها، فلم أذع سرا بروايتها، وهي جزء من محتويات رحلتي فوجب إثباتها للحقيقة والتاريخ، لا سيما بعد أن طوي بساطها وعادت المياه إلى مجاريها، وعاد الإخوان إلى الألفة كما كانوا وكما يؤمل أن يبقوا دائما إخوانا على سرر متقابلين.

كانت الحفلة في بهو مدرسة خير حيث نظمت المناضد وصفت الكراسي أمام رواق المدرسة، ونصب أمام ذلك منبر للخطابة ونشرت حول هذا كله أعلام الرابطة ذوات الأنجم الخمسة، وحين دخلنا وجدنا المدعوين قد تكامل عددهم، حيث تقدم لاستقبالنا صف من أعضاء هيئة الإدارة وغيرهم، وحين استوت بنا المقاعد أعلن افتتاح الحفلة وتداول الخطباء المنبر واذكر من بينهم شيخ شعراء حضرموت الأستاذ/ أحمد بن عبدالله السقاف، والأستاذ/ علي بن أبي بكر بن يحيى، والأستاذ/ محمد بن سميط وغيرهم واذكر من بين القائمين أحد تلاميذ المدرسة إذ قام بإلقاء قصيدة من إنشاء الأستاذ حامد بن أحمد بن غالب الحامد، وكانت أول مرة سمعت فيها هؤلاء الأساتذة يلقون إنتاج قرائحهم من على منبر الخطابة فكان لذلك أثر في نفسي.

وبعد انتهاء الخطباء والشعراء، قام المحتفي به بخطبة ارتجلها ردا على هؤلاء الفضلاء وفى بها المقام حقه في سهولة وسلاسة دالين على طبع وسليقة، فكان لها أحسن الأثر في نفوس السامعين فكانت مسك الختام، وبعد ذلك تقدم أحد المصورين فأخذ صورة تذكارية للمجتمعين حيث لقيت السيد النجيب/ حسين بن محمد المحضار أخا السيد علوي المحضار وهو أول لقاء معه في هذه الزيارة لجاوه إذ كان قدم في أمس هذا اليوم من بندووسو شرق جاوا في غيبتا ببوقور.

وممن تعرفت به في تلك الحفلة السيد الجليل/ عبدالله بن حسين العيدروس عميد عائلة آل إسماعيل ببتافيا، وهو شيخ خضيب اللحية بالحناء ذو وجه مستدير بشوش تعلوه ابتسامة يظهر أنها تلازمه وقد جئت لزيارته في منزله فلم أجده وقد توفي سنة ١٣٥٥هـ رحمه الله تعالى.

كنا مدعوين هذا اليوم عند السيد حمزة بن أبي بكر العطاس مع السيد الجليل علوي المحضار، فحين حان الوقت ذهبت إليه بصحبة السيد حسين بن محمد المحضار، قاصدين حي (جاتي) منزل السيد الزعيم أبي بكر العطاس، والد الداعي وكان غائبا، وقد حضر المجلس بعض الأعيان، وبعد الجلوس على مائدته الفاخرة التي شحذ الشهية تعدد التنقلات وكثرة الحركة هذا اليوم، رجعنا في سيارة صاحب الدعوة ذات المقاعد الوثيرة إلى المنزل ومعي السيدان/ عبدالله الحبشي وحسين المحضار، ونزلنا معا إلى منزل الأخ/ علي الحامد حيث وجدناه يشكو رجله من ألم كان يتعوده من زمن غير بعيد. ولم ألبث بعد خروج الرفيقين إلا ريثما اغتسلت واسترحت ثم ذهبت إلى الأستاذ/ علي بن يحيى في الداخلية لزيارته، ومن هناك ذهبت مارا بمنزل الأستاذ أحمد بن عبدالله السقاف، واتجهنا معا قاصدين منزل السيد محمد البحر العلوي لدعوته العشائية حيث كان الاجتماع، وقدمت المائدة المحتوية على ألوان من الطعام والفاكهة ولقينا كل تجلة واحترام، وسمرنا هناك قليلا، وعدت إلى منزل الأخ علي ولما كان هو شاكيا فقد سمرت معه إلى أن انقضى هزيع من الليل فأويت إلى الفراش.

أما يوم الاثنين ١ شعبان ٢٨ أكتوبر فكنا مدعوين عند السيد/ عبدالله بن سالم العطاس النائب العربي في مجلس العموم، وقبل حلول الوقت ذهبت إلى الداخلية

حيث وجدت السيد حسين المحضار عند الأستاذ/ علي بن يحيى، ومن هناك خرجت توا إلى الأستاذ عبدالله بن سالم العطاس يرافقني السيد حسين الآنف الذكر، لتلك الدعوة الفخمة التي تمثل الكرم العربي، وممن حضرها من الأعيان السيد علوي المحضار وبعض وجوه آل العطاس وغيرهم.

وبعد الظهر قررنا الذهاب إلى الأستاذ/ أحمد بن عبدالله السقاف يتقدمنا السيد الجليل علوي المحضار بصحبه السادة الاماجد شيخ بن سالم وعبدالله بن هادون العطاس، حيث انتظم لنا هناك مجلس أنيس ملطف بروح الأستاذ الشاعر اللطيفة الخفيفة.

الأستاذ الشاعر الكبير/ أحمد بن عبدالله السقاف العلوي

والأستاذ أحمد بن عبدالله السقاف هذا شاعر كبير، وأديب خفيف الروح وهو أحد أقطاب النهضة الأدبية، في مهاجر الحضارمة، وله في تطور الأساليب الدراسية هناك ضلع كبير، ويمكن أن ترجع نهضة الأدب وتطور التعليم وإنشاء المدارس هناك إلى ثلاثة أركان هو أحدهم، وثانيهم السيد محمد بن عبدالرحمن ابن شهاب العلوي رحمه الله تعالى، والثالث هو الأستاذ محمد بن هاشم الكاتب الوطني الشهير منشئ جريدة (حضرموت) الشهيرة وصاحب مدرسة حضرموت أيضا سابقا، وسكرتير الدولة الكثيرية الآن.

وهو أعني الأستاذ احمد السقاف مؤلف روائي قدير، ومما اشتهر له روايته (فتاة قاروت) وهي جزءان وله غيرها من المؤلفات، وهو شاعر من الدرجة الأولى بين الحضارمة ويمكن أن يسمى - بحق - شيخ شعراء حضرموت، وقد تولى إدارة مدرسة خير زمنا كما ترأس تحرير مجلة الرابطة العلوية وهو الآن مقيم بالصولو، ويعد أحد الذين توطنوا جاوا إذ مضى له أكثر من أربعين عاما بها.

وعدت إلى المنزل ولم يقدر لي الخروج إلى الليل، وقد زارني السيدان علي ابن يحيى وحسين المحضار فتحولنا إلى منزل الأخ علي الحامد الخاص القريب، وهناك لبثنا إلى أن قدم العشاء ولم يتمكن صاحباي من التخلص رغم اعتذارهما بدعوة أحد

السادة العلويين لهما تلك الليلة.

في مدرسة كوتياغ

وفي صباح الثلاثاء ٢ شعبان ٢٩ أكتوبر أرسلت للأستاذ ابن سميط، وعرضت عليه أن نصطحب للذهاب إلى المتحف الحكومي هذا اليوم، فأتي وأشار علي بارجاء ذلك إلى وقت آخر، وذلك لكثرة أشغاله المهمة هذا اليوم، وعند ذلك أزمعت زيارة مدرسة (عنوان الفلاح) بحي (كوتياغ) التي أسسها فضيلة الداعية السيد علي بن عبدالرحمن الحبشي السابق الذكر التي أنوي زيارتها، فأنبأت الصديقين الأستاذ علي بن يحيى والسيد حسين المحضار راجيا مرافقتهما إلى هناك فوافقا فانتظرتهما في منزل الأستاذ الشاعر أحمد بن عبدالله السقاف، ثم امتطينا إحدى السيارات إلى حي كوتياغ وعند بلوغنا إلى تلك المدرسة رحب بنا أساتذتها أجمل ترحيب وطافوا بنا في حجر التعليم واحدة فواحدة حيث رغبوا في أن نلقي على التلاميذ بعض الأسئلة وخرجنا منها شاكرين.

ومن أساتذتها الأستاذ الأديب أحمد الجفري الذي كانت تلقبه (جريدة العرب) الغراء بالكاتب الفكه، والأستاذ الشاب الأديب طه بن عبدالله الحبشي، وهذا صديق لطيف عرفناه من عهدنا بحضرموت، إذ كان مقيما بحارة (الدجن) بسيئون حضرموت، وهناك أستاذ ثالث ممن عرفنا وهو الأستاذ علي بن عبدالله السقاف، وقد فاتنا الحظ في الاجتماع به لأنه كان أحد الذين صحبوا فضيلة السيد/ علي بن عبدالرحمن الحبشي في سفره إلى الحج، وقد عرفناه أيام الطلب بحضرموت حيث كان أحد من صحبناهم في الطلب والتردد على زاوية فضيلة العلامة الكبير محمد بن هادي السقاف.

وبعد خروجنا من مدرسة كوتياغ قصدنا منزل السيد عبدالله بن هارون العطاس لدعوته الغذائية هذا اليوم لنا مع السيد علوي المحضار، وهناك تناولنا الطعام على مائدته المتنوعة الألوان وبعد انفضاض نظام المجلس رجعت يصحبني السيد حسين المحضار إلى حي (تانا أباغ) وعاد إلى السيد حسين المذكور وتحولنا إلى منزل الأخ علي الخاص فجاء السيد الجليل علوي المحضار وحينئذ قررنا الذهاب معا إلى

بوقور هذه الليلة، فعرجنا على حي (الميستير) حيث تناولنا العشاء، ثم اتجهنا على السيارة إلى بوقور وقد استغرقت مدة سيرنا هناك إلى أحاديث أدبية، أذكر منها أنني ذكرت من أدباء مصر النابهين الأستاذ عباس العقاد، وقد أعجب السيد علوي به حين أنشدته من شعره يخاطب كتبه:

يا كتبي أورثت جسمي الضنا لم يغن عني جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها سهران حتى أدبر الكوكب
والناس إما غارق في الكرى أو غارق في كأسه يشرب
أو عاشق وافاه محبوبه فنال من دنياه ما يرغب

إلى قوله :

في ذمة الله وفي حفظه عمر تقضى شطره الأطيب
فلا رعى الله الألى قد مضوا من علم العالم أن يكتبوا

ومما زاده طربا وإعجابا قوله :

ويح الصبا وغرام ما شعرت به كأنه قبلة في ثغر مخمور
كنا نغني ولا ندري، فحين درت أسماعنا اللحن لم نظفر بطنبور
ونشرب الماء لم نعطش فمذ عطشت نفوسا غار ماء الود في الحور

فاستعاد مني هذه الأبيات مرارا حتى حفظها، وحين بلغنا إلى بوقور (بويتزرخ) نزلنا ضيوفا للسيد علوي بن محمد الحداد العلوي حيث نمنا بهناء إلى الصباح.

إلى سوكابومي

وفي يوم ٣ شعبان ٣٠ أكتوبر، استأذنت السيد علوي المحضار معربا له بأني أحببت التفسح هذا اليوم والنزهة بزيارة (سوكابومي)، ولما فاتني القطار الصباحي الذاهب إلى هناك، ركبت إحدى سيارات الأجرة، حيث غادرت بي بلدة بوقور ومضت في ذلك الطريق المعبد الجميل مخترقة تلك الأراضي الخصيبة، المرصعة

بالأحياء والقرى، بين صفين من الأشجار والحقول، إذ يلوح أمامي جبل (سندغ لايا) الأشم الأخضر معصبا بطوق من السحاب الأبيض.

وما زالت تلك السيارة تجري بنا من بديع إلى أبدع حتى وافت بنا ساحة (سوكابومي) الخصيبة من إقليم (الفرياغان) العجيب.

الفرياغان أو الفريانجر

إقليم الفرياغان من جاوه هو الجزء الغربي منها في ناحية الجنوب يمتدمن ساحلها الغربي إلى بلدة بنجر في الشرق، أما في الشمال فلا يمتد شرقا إلى بعيد.

وسكان هذا الإقليم هم جنس السندة ولهم لغة خاصة لها جرس لطيف، وهي بلاد زراعية كسائر جاوا، غير أنها تمتاز عن سائرها بأشياء، لبرودتها الناتجة عن ارتفاعها، وكونها جبلية كثيرة الهضاب، تصلح لبعض الأنواع التي لا يلائمها الحر، وجبالها في الغالب مزروعة، وقد شاهدت بعض الجبال المزروعة إلى قممها.

وهي إقليم اختص بكثرة مباهجه الطبيعية لذا اختصته الحكومة بمزيد من عنايتها في الطرقات وغيرها،فكان لا يبرح طوال السنة متنزها للسواح والمتنزهين.

وكان جمال هذه البلاد قد انعكس على سكانها أيضا، فامتاز أهل هذه الناحية بزيادة وداعتهم ولطفهم،وحسن أذواقهم وأناقتهم في اللباس وغيره، حتى ساكني القرى والجبال النائية.

والسنداوي هشوش بشوش، حسن الأخلاق لين الجانب، ومع ذلك فهو بعيد كل البعد عن التطرف في عقيدته ونزعاته.

سوكابومي

وسوكابومي بلدة من إقليم الفرياغان جميلة ومشهورة بطيب الهواء وحسن الموقع،واسعة يخترقها طريق رحب،وبها أبنيه بديعة وهي عاصمة هذا الإقليم.

ترتفع عن سطح البحر بسبعمائة وخمسين (٧٥٠) متراً، ويبلغ عدد سكانها

بموجب إحصاء سنة ١٩٣٠م ٢٣٤١٣ نسمة، الأوربيون منهم ١٤٥١.

وقد زاد من حسنها وشهرتها ما يوجد بجوارها – وضواحيها من المتنزهات،وأماكن الرياضة مثل مساقط – (Tjibeureum)، مثل نهر شيمانديري (Tjimandiri)، كما يوجد بجوارها من المباهج الطبيعية الشيء الكثير،ومن فنادقها المشهورة فندق (سالابنتانا) الجميل المطل على البركة الجميلة، ومعنى لفظة (سوكابومي) الفردوس أو أرض الحب، وقد زرتها في رحلتي الثانية إلى جاوه إذ قدمت إليها ليلة الجمعة لثلاث خلت من ذي القعدة مع الصديق الأديب الشيخ/علي باجنيد، كما زرتها في رحلتي الأخيرة هذه،ومكثت بها في رحلتي الأولى ثلاثة أيام قبل ذهابي إلى شرق جاوه ويومين ونصفا عند عودتي من جاوه الشرقية.

وفي كلتا الزيارتين كان نزولي على الصديق/علي المشار إليه،وكان حين زيارتي الأولى يتجر في الجلود ويزرع البطاطس (الفنتاغ).

ولا أنسى انسنا في يوم من أيام جني البطاطس إذ ذهبنا في فسحة، حيث أقمنا في جوسق مطل على تلك المزرعة في سفح الجبل العالي، المتحدرة من أعلاه سواق تتسلسل بالمياه، وما أحيلاها إذ تنساب بين تلك الحقول والمزارع فيبعث مرآها ما يبعث في النفوس من الروح والبهجة.

ظللنا في ذلك الموقع الجميل، تبهجنا تلك المناظر الطبيعية الساحرة، وتنعش أرواحنا تلك النسمات المعطرة بأعراف الزهور والأعشاب، وتطربنا بالإضافة إلى أنغام الطيور أنغام شتى من الأغاني العربية تتداولها حناجر بعض الرفقة من أبناء الضاد.

ثم تحولنا إلى كشك قد أعد لنا فيه الطعام، حيث ذبح لنا هناك جدي وطبخ على الطريقة العربية، ولم نزل في أنس وبهجة حتى جنحت الشمس للغروب.

وعند خروجنا من ذلك السفح رأينا صفاً من الوطنيات خرجن في زينتهن كأنما كن في يوم عيد، فأعربت عن عجبي من أناقة سكان هذا الإقليم ولطافة أذواقهم وحسن ملابسهم مشيراً إلى تلك الفتيات، فقال لي صاحبي الشيخ/ علي باجنيد : وأعجب من ذلك أن أولئك الفتيات هن أولئك العاملات قبل ساعات في حقل

البطاطس الذي كنا أمامه آنفاً، ولكنهن بعد انقضاء عملهن ظهراً تحولن للنزهة إلى ما ترى وهذا شأنهن وشأن أمثالهن، فدهشت حين تحققت الأمر فوجدته كما قال.

وفي يوم من الأيام أتيح لي مشاهدة بعض مزارع الشاي، حيث تسنى لي مشاهدة كيفية قطافه، إذ توزع العاملات فيه على ثلاثة صفوف كل صف يكون موكلاً بقطف طبقة خاصة من ورق الشاي على حدتها، فلا يكون بعد ذلك في حاجة إلى إفراز وتصفية عند عملية قلية في المعمل، بل يكون من حينئذ صالحاً لجعله نوعاً خاصاً من أنواع الشاي المعروفة.

كما زرنا في يوم آخر أحد بساتين الليمون فيما بين سوكابومي وشانجور، ودهشت جداً عند طوافي في هذا البستان، لا لحسن نظامه فحسب، ولكن لفخامته وكونه واقعاً على أرض واسعة الأكناف، محتوياً على خمسة آلاف شجرة من الليمون، وكله مثقل بالثمر، فكان مشهده مدهشاً وجميلاً في آن واحد، وبقرب بابه جوسق صغير رأينا فيه رجلاً أوربياً على منضده علمت أنه مدير البستان وقد أعد هذا الجوسق مكتباً له.

الأستاذ أبو علوي ومدرسته

خرجت يوماً أمشي في الطريق الرئيسي في هذه البلدة مع الشيخ/ محمد بن عبد الرحمن جواس، فرأيت لوحة كبيرة مكتوباً عليها (مدرسة المعارف الأزهرية)، فتطلعت نفسي لمشاهدة هذه المدرسة، وقلت لصاحبي هل تعرف شيئاً عنها، فقال نعم إنها مدرسة (أبو علوي) فقلت ومن أبو علوي ؟ فقال هو السيد/ محمد الأهدل عالم وله مصنفات، قلت إذا وجبت له الزيارة.

انحرفنا ذات الشمال في طريق غير معبد، ولكنه غير بعيد، حتى بلغنا باب الدار وهو باب المدرسة أيضاً لأنها فيه، فدعوناه فحين لبى سلمنا عليه، وهو شيخ عظيم الجثة طويل القامة ذو لحيه غلبها الشيب، فأبدينا له رغبتنا في زيارته، فشكر، وأرشدنا إلى زيارة المدرسة أولاً، وما أشد انزعاجي حين صاح بي بصوت مزعج : اخلع نعليك إنك في مدرسة ومصلى (يعني أن التلاميذ يصلون فيها) فخلعت نعلي

عجلاً، وبعد مشاهدة المدرسة، تحولنا إلى غرفة أخرى مفروشة بالقطائف فهمنا أنها معدة للاستقبال.

وبعد إن استقرينا المجلس سألني: من أنا ومن أين جئت وإلى أين أقصد؟ فأجبته عن كل ذلك وتفطن صاحبي فأظهر له أن هذه الزيارة لم تكن عرضية، وإنما كانت عن تصميم وقصد، فشكرنا قائلاً : إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه.

وكانت جلسة طويلة عرفنا فيها طيبة هذا السيد وسلامة صدره وإنه أحد خريجي الأزهر الشريف، ومما بثه إلينا أنه شكى الزمان وأهله، وقال أن أهل هذه البلاد لا يفهمون العلم ولا يقدرون أهله قدرهم، وأن في صدري علوماً لم اسأل عنها ولم أجد لها قابلية لدى سكان هذه البلدة، وأطلعني على بعض مصانيفه، وفي ختام أحدها ترجمه له عجيبة بإمضاء السيد/ علوي الأهدل تشهد لكل ما قاله.

ودخل شاب مرتدياً قميصاً وفوقه معطف تعلو رأسه عمامة متدلية منها على كتفه عذبه لطيفه، وحين استقر به المجلس، قال لنا فضيلة الأستاذ (أبو علوي) : أتعرفون من هذا؟ فقلنا : لا قال : هذا الأستاذ العلامة المتفنن الورع الزاهد وعدد أوصافاً إلى أن قال الفقيه السيد/ علوي بن محمد الأهدل، فظننت أنه أحد العلماء جاء لزيارته، ولكنه استمر قائلاً : وهو ولدي علوي، فقلنا : لنا الشرف بمعرفته.

وبعد انتهاء حديثنا عن المدرسة والتعليم فيها قال ولي مدرسة ليليه أعلّم فيها بعض الوطنيين الكبار النحو، فقلت هل يوجد هنا كثير من عارفي العربية، فقال لا، قلت : هل يفهم هؤلاء التلاميذ العربية، فقال لا فقلت كيف يفهمون دروسك ؟ فقال : هذه هو سر العبقرية أو ما هذا معناه...

وقد تفضل فأهدى لي أحد تصانيفه الذي في ختامه ترجمته، وحين استعظمت ما فيها، قال لي صاحبي وهل تعرف من الكاتب ؟ قلت لا قال هو ابنه علوي ...

وقد علمت أخيراً أن السيد أبو علوي قد توفي في عام ١٣٣٥هـ، فرحمه الله، وأسكنه فراديس جنانه آمين.

عود إلى الرحلة

وصلت إلى سوكابومي الساعة الثامنة (أي الثانية ع) صباحاً حيث نزلت على صديقي الشيخ/ علي بن محمد باجنيد، ومعرفتي بهذا الصديق ترجع إلى سنة ١٣٤٦هـ إذ كان مقيماً بحي (تانا اباغ) ببتافيا، وتأكدت تلك المعرفة في زيارتي الثانية بعد تحوله إلى سوكابومي، إذ زارني إلى منزل الأخ الماجد/ علي بن عبد الله الحامد، وأخذني في سيارته إلى هناك يصحبنا الشيخ/ محمد جواس المذكور آنفاً.

والشيخ علي باجنيد شاب أديب محب للأدب وأهله، وهو تاجر متفنن في تجارته حسن الأخلاق مع جميع أصدقائه وضيوفه، نزلت على هذا الصديق في تلك الساعة، وحين علمت أن له معملاً للشاي فقد اخترت أن أصحبه إليه فشاهدت معملاً كبيراً، وهناك شاهدت كيف يُقلى الشاي، ويعدّ حتى يكون صالحاً للاستعمال، والمقلاة في هذا المعمل كروية الشكل ضخمه طولها أمتار تدار على حرارة النار بالوسائل الآلية.

وعند عودنا مررنا في السيارة على الشيخ/ المنفوش فأخذناه معنا إلى المنزل، وبعد تناول الغداء جاء الشيخ/ صالح العمر، وبعد قليل قدم الشيخ/ سالم باوزير الذي تقدم ذكر زيارتنا له مع السيد/ علوي المحضار، ولزمنا منزل الشيخ/ علي باجنيد هذا اليوم، واستغرق المجلس فنوناً من الحديث عن حالة الحضارم وغيرها، وإنشاد بعض الأشعار وقد خرج الشيخ/ سالم باوزير لبعض حاجته وعاد حيث بقينا ضيوفا للشيخ/ علي وقررنا في هذه الليلة السفر إلى بعض القرى والجبال للتنزه علاوة على ما لبعض الزملاء من الحاجات والأشغال التجارية هناك.

معمل السيد على العطاس- المياه المولدة للطاقة الكهربائية

في الساعة العاشرة (الرابعة عصرا إلا ثلث) ضحى يوم ٤ شعبان ٣٠ أكتوبر اتجهنا خمسة في سيارة أنا والمشايخ/ سالم باوزير وصالح العمر والمنفوش وخامسنا صاحب السيارة الشيخ/ على باجنيد وهو قائدها بنفسه.

وقبل أن نجاوز ارباض المدينة عرجنا على معمل السيد/ علي بن عبد الله

العطاس للشاي فرحب بنا ورأيناه – أعني المعمل – معملا حسنا ذا مقالي لطيفة عادية غير آلية وحين سألناه عن سبب جودة الشاي الذي يخرجه أجاب بأن ذلك راجع إلى الدقة في تعديل قليه وتجربة الطعم بطبخه كل مرة ولم نلبث كثيرا حتى خرجنا.

ولي بالسيد/ علي العطاس هذا معرفة سابقة من سنقافوره حيث كان يتردد بين أقاربه بسلطنة جهور وسنقافورة فينزل على السيد الوجيه عبد الرحمن بن شيخ الكاف العلوي وهذا أعني أن السيد علي نجل السيد/ عبد الله بن محسن العطاس الصالح المشهور المقدم ذكره صاحب الضريح المعروف ببقور.

ومضينا في ذلك الطريق في جبال ووهاد تنتهب بنا السيارة المسافات نهبا بين تصويب وتصعيد تحفنا من الجهتين مناظر الجبال الخصيبة والتلال المجللة بسنادس الأعشاب ومررنا على موقع يقال له ابرق حيث تنصب المياه لتوليد القوة الكهربائية في أنابيب ضخمة جدا يقف الرجل قائما في عرض جوف الواحدة ويرسل من هنا إلى جيفاداك (Tjibaddak). تلك القرية التي أقيمت بها محطة توليد الكهرباء وبها آلات عظيمة جدا تديرها قوة اندفاع المياه من ارتفاع عالي في تلك الأنابيب الضخمة يقدر (اعني الارتفاع) بنحو سبعين مترا ومن هذه المحطة تمد بتافيا وباندوغ وسائر إقليم الفرياغان بالكهرباء.

حي بوجوغ كوفو – مرسى لابوان راتو

وقفنا أمام هذا الوادي المسمى (ابرق) برهة ثم جرينا حتى انتهينا إلى جسر بقبقان حيث أوقفنا السيارة وترجلنا إذ كان هذا الجسر لفرط طوله غير معد للسيارات وهذا الجسر من أطول ما رأيته من الجسور إذ يبلغ طوله نحو مائة متر تقريبا يمتد على واد عظيم واسع ترجلنا وتركنا السيارة في موضعها وبعد اجتيازه انحدرنا إلى غور خصيب حيث أوينا إلى حي يقال له (بوجوغ كوفو)، وقد علمنا أننا أصبحنا ونحن في هذه الناحية في بادية جاوا حقا أن صح أن يقال أن لجاوا بادية.

فقصدنا منزل أحد الجاويين وكان زبونا لأحد الرفقاء فلم نجده موجودا إذ ذاك على أنه وجد هناك من رحب بنا، كان هذا المنزل خشبياً يحتوي على ثلاث أو أربع من

الغرف وله قاعة استقبال (برنده) مستطيلة وهو كعادة المساكن هناك مكون من طابق واحد. وقد وجدنا القاعة الأمامية – مملوءة بسنبل القطن الحريري، أو (الكابوكابو) أو كما يسميه الحضارم الديباج، فكسح إلى جانب وفرش الجانب الآخر فالقينا مراسي السير، ومن حسن الحظ إن كان هذا المنزل فارغاً تقريباً اللهم إلا من بعض الأثاث والفراش فكنا في احتلاله أحراراً واحضر لنا جدي تولى بعض الرفقاء ذبحه.

وقد أعوزنا عند إرادة طبخ الطعام وجود قدر اللحم، حتى اضطرنا ذاك إلى استعمال بعض الاتناك القصديرية التي يخزن بها القاز والبترول وغيره، لجعله قدراً لذلك كأنما كنا في ريدة (الصيعر) من بادية حضرموت، وحين تعجبت قال أحد الرفقاء ألم تدر أنك في بادية جاوا، وظللنا يومنا في أنس وغناء وبهجة مع المشاركة في الطبخ، وكان ذلك الطعام الذي طبخ على غاية من البساطة، من أشهى ما ذقنا من الطعام.

وفي العشية غادرنا هذا الموضع لإتمام نزهتنا في تلك البادية الخصيبة، مطوفين حول تلك الجبال والوهاد المكتظة بالغابات، والمغروسة بشتى الأشجار، وكنا نرى الأهالي مثنى ووحدانا في سفوح الجبال وبطون الأودية كسوانح الضبا هنا وهناك، ومن العجيب أن النظافة والأناقة قد شملتا البادي. والحاضر من سكان هذا الإقليم في أنفسهم وأزيائهم ومما علق بالخاطر من شعر لي في هذا سابق هذه الأبيات :

بدوي لكن فيه خلالاً حسدتها المحاسن الحضريّة
فيه باللطف والأناقة أعرا ض" سمت بالمفاتن الجوهرية
من تكن هذه بداوتهم ما ذا ترى يصنعون في المدنية ؟

حتى بلغنا موضع السيارة وراء الجسر جسر بقبقان السالف الذكر علوناها قاصدين (لابوان راتو) وهو مرسى على الشاطئ الجنوبي من جاوا، بلغنا إليه فلم نر سوى قرية ليس بها من مظاهر العمران سوى ذلك الطريق المعبد الذي يخترقها إلى الشاطئ، ويتألف أغلب هذه البلدة من منازل مصنوعة من الخشب في الغالب من طابق واحد مرتفعة عن الأرض بأعمدة وأساطين لا تزيد في طولها عن المترين، وقد اذكرني هذا المرسى بعض مراسي البلاد العربية، إذ صفّت في عبره أعداد السفن

والقوارب الشراعية، ورأينا السماكين قافلين من رحلات صيدهم بلحمهم الطري الجم، حيث يبيعونه في تلك البلدة بأثمان بخسه عكس الحال في الشواطئ الشمالية.

وقفت على الشط رامياً بطرفي في أثباج ذلك الخضم الواسع، مستشعراً جلال الله فيه، وأن ليس أمامي إلا –المحيط الهندي العظيم، وقارة استراليا النائية، ولم نأو في تلك البلدة إلا إلى أحد أصدقاء الشيخ/ سالم باوزير من الجاويين، حيث أدينا الفريضة، وقدم لنا شراب القهوة، ومكثنا حتى حل وقت العشاء، ثم عدنا أدراجنا بالسيارة في ذلك الطريق آمين سوكابومي، ولا أنسى مساجلة الرفقاء بعض الأشعار في السيارة، حين كان أحدهم يسجع بصوت (الزامل) المعروف عند الحضارم طول تلك المسافة حتى بلغنا سوكابومي نحو الساعة العاشرة (الرابعة ع) ليلاً.

وقبل أن أغادر شرح رحلتي في إقليم الفرياغان الخصيبة ينبغي أن أذكر ما عرفته من بلدانها قبل رحلتي الثالثة إلى جزيرة جاوا الجميلة.

باندوغ Bandong

تعتبر باندوغ – بحق – حاضرة إقليم الفرياغان لاتساعها وكثرة سكانها وحسن مبانيها الحديثة وطرقها، كما أنها ثالثة ثلاث قصبات من مدن جاوا إحداها بتافيا وثانيها سورابايا وهي – أعني باندوغ– الثالثة، ويبلغ عدد سكانها بحسب إحصاء سنة ١٩٣٠م حوالي (١٦٦٧٢٢) نسمة منهم (١٩٦٦٤) أوروبياً و(١٧١٤٠) صينياً وشرقياً و(١٢٩٩١٨) وطنياً جلهم سنداويون.

وتقع هذه المدينة على هضاب تحيط بها تلول وجبال جميلة يتجلى عليها جمال الطبيعة بكل مظاهره، مجللة بحلل سندسية من الأشجار والأعشاب.

أسست هذه المدينة مكان قرية سنداويه ويرجع ذلك إلى نيف ومائة سنة، وترجع سرعة نموها لجملها ولطف جوها الناتج عن ارتفاعها الزائد عن سطح البحر مما جعل الحكومة تعني بها عناية زائدة فوصلتها بالسكك الحديدية إلى سائر المدن الجاوية، وكل ذلك إلى جمال مناخها وطقسها البديع جذب الناس إليها من كافة

الأنحاء، فهرعوا إليها حتى غدت من أهم المدن العصرية في جزائر الهند الشرقية.

وبها كثير من دور العلم كما بها عدد من الفنادق الجميلة المبنية على الطراز الحديث، وفيها الكثير من المصالح الحكومية، وهي مركز لمعهد باستور في جزائر الهند الشرقية وبها أكبر مرصد في تلك الجزائر، وقد حاولت رؤية هذا المرصد فلم أتمكن إذ قالوا لابد من تقديم طلب قبل ثلاثة أيام ولم أقم بها في جميع زياراتي لها ثلاثة أيام متتابعة.

وبالقرب منها مزارع الشاي والبطاطس وغيرها أما معملها الكبير لاستخراج الكينا Pel Bandong فقد أصبح ذا شهرة عالمية.

فلا غرو إذا غدت أشهر محل في تلك الجزائر يقصد للنزهة وتغدو إليه الزوار زرافات ووحدانا يستشفون بجوها الصحي ويتمتعون بمناظرها الجميلة الساحرة.

زرت هذه المدينة في رحلتي الأوليين ولكني لم أتمكن من زيارتها في رحلتي الثالثة، دخلت إليها سنة ١٣٤٦هـ مستشفياً عند أحد أطبائها المحنكين في أمراض العيون إذ توهمت أن بعيني ضعفاً طارئاً، ونزلت إذ ذاك على الشيخ/ محمد بن علي الكثيري، وفي ذلك اليوم أعني يوم قدومي بعينه ذهبت وهو معي إلى محل عيادة الطبيب، وبعد الفحص الدقيق بشرني ذلك الطبيب بأن لا داء بالعين وإنما يرجع ضعف النظر إلى البعد أما للجبلة والخلقة، وأما لكثرة المطالعة، ودفع لي وصفة في أخذ زجاجة (نظاره) جعلتني بعد يوم انظر إلى الأبعاد بعيني عقاب.

الشيخ محمد بن علي الكثيري

كان الشيخ/ محمد بن علي الكثيري المذكور أحد سكان جعيمة بحضرموت، وقد أقام منذ عهد بهذه البلدة حتى تأثل بها ثروة لا بأس بها، وكان محباً للضيوف والتباسط معهم، وهو رجل سليم الصدر، ويظهر على حاله الاستقامة في دينه فقد تعود كل ليلة الجلوس بين المغرب والعشاء بتلاوة القرآن مع بعض أولاده، واعتاد أيضاً بعد ذلك تلاوة (راتب الحداد) المعروف، ومن الطرائف إنه نزل عليه ضيفاً

أحد المولعين بإنكار ما هو قديم، ففي الليلة الأولى لم يحضر الضيف تلاوة الراتب بل آوى إلى الغرفة المعدة له، فاحتمل الشيخ تعبه وعذره على ذلك وحين تكرر منه ذلك في الليلة التالية أنكر الشيخ عليه عدم الحضور وسأله عن عذره ولكن الضيف المحترم أجاب بقوله : مالي ولحضور هذا الراتب بدعة، فاستشاط الشيخ غضباً وقال : أيكون لا إله إلا الله وحده لا شريك له.... الخ بدعة ؟ فماذا أتى به محمد بن عبدالله غير هذا ؟ حاشى لله أن تكون مؤمناً، وصاح عند ذلك بأولاده لضرب هذا الإنسان، ولكنهم أخرجوا الضيف من المنزل بسرعة وخلسة إلى منزل أخر، ولم ير وجهه بعد ذلك.

ومن ديدن هذا الشيخ حب النزاع والجدل في مجلسه، واتفق أني تمثلت أثناء كلام عنده بقول الشاعر :

ولا تنفع الخيل الكرام لدى الوغى إذا لم تكن فوق الكرام كرام

فقال: كيف تكون الخيل كراماً هذا غلط، قال ذلك حاسباً أن الكرم إنما هو الجود فقط على حسب العرف الحضرمي فقلت له: – وكنت إذ ذاك حديث السن– الغلط هو كلامك أنت فلج في الجدال معي ثم قال أتظن أن لا يعرف العربية أحد سواك، فقلت له الفطرة قد فسدت في العرب وأصبحت لغتهم محالة على المعاجم وهي الحجة وهي تقول أن الكريم ضد اللئيم وقد يأتي لمعان أنهيت إلى أكثر من ثلاثين معنى، وقد قال تعالى : (وآتيناه من لدنا رزقاً كريماً) أي كثيراً. وقال : (ولندخلنه مدخلاً كريماً) أي شريفاً وحسناً، أو في الحديث (واتق كرائم أموالهم) أي خيارها، ويقولون الأحجار الكريمة أي النفيسة، وقد تطلق الكريمة على الزوجة وعلى البنت ومنه قول (النابغة الجعدي) :

ملكنا فلم نكشف قناعاً لحرة ولم تستلب إلا الحديد المسمّراء
ولو أننا شئنا سوى ذاك أصبحت كرائمهم فينا تباع وتشترى

والحضارم يقولون للأخت كريمة إلى آخر ما قلت/ فرأيت أنه اقتنع بما قلت،

ولكنه قال: يظهر انك تحب الجدال ولدينا من هو مثلك وربما يغلبك فهل ندعوه ؟ فقلت: إذا أحببت ذلك فلا بأس،فحضر الرجل الذي يريده وعند ذلك تهيأت للمعركة - أعني معركة الجدال لا القتال - ولكني لم أر منه ما يدل على ما قال الشيخ، فالله أعلم بحقيقة أمره هل هاب الموقف، أم رأى الموادعة خيرا من الخصام القائم على غير مبرر سوى كون الشيخ يشتهي التفرج على معارك الخصام في مجلسه فيتخذنا ألعوبة لتسليته وقد توفي الشيخ محمد المذكور فرحمه الله وغفر له.

أما في رحلتي الثانية فقد زرت باندوغ ثلاث مرات إذ جئت إليها عند ذهابي إلى جاوه الشرقية وعند عودي منها كما أني عدت إليها من سوكابومي مع الشيخ/ علي باجنيد على أن هذه العودة كانت للطواف فقط فلم نبت بها بل عدنا أدراجنا إلى سوكابومي ليلاً.

قاروت

ومن البلدان التي زرتها من إقليم الفرياغان (قاروت) وهي من البلاد التي خصها الله بجمال المنظر وحسن الموقع ولطف الهواء،وتقع على هضبة من هضاب الفرياغان ترتفع عن سطح البحر بألفين وثلاثمائة وستة وثلاثين قدماً،ولذلك كان هواؤها في أغلب الفصول بارداً حتى يشتد أحياناً فيلجئ السكان و المتنزهين إلى الاستحمام بالماء الطبيعي السخونة في قرية (جيء فانس).

وتحتوي قاروت على متنزهات مثل بحيرة (فاقنديت) وفندق (سناتيروم) وغيرها، وبالجملة فهي نفسها عبارة عن متنزه حافل بمجموعة من المناظر الطبيعية التي تنعش الروح، وتبهج الناظر،لذلك يقل بها بغاة التجارة وطلاب المصالح الاقتصادية، وإنما يرغب فيها المتنزهون، ورواد الراحة والتمتع بهوائها اللطيف، والابتهاج بمناظرها الجميلة.

وقد زرتها في رحلتي الثانية عام ١٣٥٠هـ حيث جئت إليها من باندوغ يصحبني السيد اللطيف/ أبوبكر بن علي الحبشي المقيم إذ ذاك بباندوغ - ونزلت في أحد فنادقها،وحظيت بالطواف في بعض متنزهاتها الطبيعية والصناعية كما أتيح لي

زيارة بعض متديريها من أبناء لغة الضاد أذكر من بينهم السيد الفاضل/حسن بن حسين الحبشي والسيد/ محمد بن عبدالله الحبشي الملقب (الزين) وغيرهم.

ولهذه البلدة شهرة عند العرب واسعة، لا سيما بعد أن أخرج الأستاذ/ أحمد بن عبدالله السقاف روايته العجيبة التي سماها (فتاة قاروت).

أما رأيي الخاص فمع إعجابي بهذه البلدة فلم أر فيها ما يقتضي تفضيلها على سائر بلاد الفرياغان، بل أن سوكا بومي – عندي أجمل وأحسن منها لا من حيث هواؤها فقط، بل ومناظرها أيضاً.

شانجور

أما (شانجور) فبلدة جميلة تقع على نهر وتحيط بها أشتات من المناظر السحرية، وقد كانت لها شهرة كبيرة، غير أنها في هذه الآونة قد نقصت إذ زحمتها عنها بلدة سوكابومي المجاورة.

وهواؤها صحي وموقعها كسائر بلدان هذا الإقليم جميل، وهذا ناتج عن حسن ذوق سكان هذه البلاد، وتخيرهم سكني المواقع الجميلة المناخ، ولا يزال بها تجار من العرب يتجرون في أنواع شتى من التجارة.

ومما يعد من متنزهاتها قرية (سندغ لايا) العجيبة فوق سفح الجبل المطل عليها غير بعيد.

وقد زرتها – أعني شانجور – مرات زيارات لم تكن طويلة وإنما كانت لمجرد الطواف والتنزه، إذ فضلت الإقامة ببلدة سوكا بومي التي لا تبتعد عنها كثيراً.

عود إلى الرحلة

وفي ضحى يوم الجمعة ٥ شعبان ١ نوفمبر – استأذنت من مضيفي الشيخ/ علي باجنيد وعلوت سيارة (البيس) عن سوكا بومي قاصداً بتافيا.

ولا أنسى حين جرت بي في تلك المواقع التي وشحها – الله بالجمال،طائفة بنا

بين غياض ورياض قد وشت الطبيعة سنادسها بألوان تملا بالسحر فؤاد الشاعر.

وبعد أن جاوزنا بوقور منحدرين عن حدود الفرياغان الخصيبة،ذات المناظر السحرية، ألقيت عليها نظرة غامرة ضمنتها كل معاني التحية والوداع قائلاً :

وداعاً يا بلاد اللطف والأناقة والجمال

عدت عنها إلى بتافيا وفي القلب لها ذكريات لا يمحوها الدهر، وفي الخاطر لها خيال ارتسم به ارتسام الصورة الشمسية يبتدئ غير واضح ثم يزداد ثباتاً ووضوحاً ولا تزيده الأيام إلا قوة وجده.

عن الحسن الرفيع فسل عليماً سلا نعم الحياة وما سلاه
بعيني شاعر يرنو ومن ذا سواه يراه الجمال كما يراه

وحين بلغت بتافيا قصدت منزل الأخ الكريم/ علي بن عبدالله الحامد حيث كان مترقباً لي بفارغ الصبر، وفي عشية هذا اليوم خرجت نحو الداخلية ولقيت الأستاذ/ علي ابن يحيى متجهاً إلى دار الرابطة العلوية لحضور جلسة، فذهبت إلى الأستاذ/ ابن سميط، ثم عدت إلى المنزل وقيل لي أن الأستاذ/ ابن يحيى سأل عني وهناك لقيت السيد/ عبدالله الحبشي واستمر المجلس إلى أن قدمت مائدة العشاء ولم نسمر كثيراً ثم أويت إلى الفراش.

المتحف الحكومي وداع السيد علوي المحضار

في صباح يوم السبت ٦ شعبان -٢ نوفمبر- خاطبني بالتلفون السيد الجليل/ علوي المحضار واعداً بأنه سيجيء.

ثم جاء الأستاذ/ محمد بن سميط واجمعنا زيارة المتحف الحكومي فذهبنا إليه معاً وقد راقني حقاً هذا المتحف، فقد طفت على أقسامه وأعجبت جداً بحسن نظامه ودقة تنسيقه، وأدهشني ما اشتمل عليه من بدائع الطرف والنفائس علاوة على ما فيه من الأدوات التاريخية لهذه البلاد، وقد رأيت فيه من الجواهر النفيسة والألماس ما

قطره قطر بيضة الحمامة أو أكبر، ومن عجيب ما رأيت في هذا المتحف تلك الخريطة العظيمة المجسمة لجزيرة جاوا التي ملأت قاعة الغرفة المعدة لها، وهي من أعجب وأبدع ما رأيت في ذلك المتحف/ كما أن به قسماً خاصاً بالكتب العربية ومن نفائسه طبقات ابن سعد المطبوعة بليدن فيما احسب، وغير بعيد من هذا المتحف يقع معهد التيبوصوفية وقد نويت زيارته عند عودتي من شرق جاوا، ولما لم تمكني الإقامة طويلاً عند العودة لم تتحقق هذه النية.

وعند عودتنا لقينا الشاب النجيب السيد/ عباس بن أبي بكر العطاس وصحبنا إلى منزل الأخ/ علي الحامد وكان دعانا لضيافته هذا اليوم إلى منزل والده الفسيح وذهبنا معاً حيث نزلنا أولاً إلى داره، ثم تحولنا إلى دار والده السيد الجليل/ أبي بكر عبدالله العطاس، حيث اجتمعنا بالسيد النبيل/ علوي المحضار في حفل من السادات والأعيان.

وبعد قيامنا عن مائدة الغداء صلينا الفريضتين جماعة، وخرجنا في ركب من السيارات إلى الرصيف لتوديع السيد الجليل/ علوي المحضار ومن صحبه من السادة المحاضير الأمجاد المذكورين آنفاً، والأستاذ/ علي بن أبي بكر بن يحيى وغيرهم ممن حظى بصحبة هذا السيد الحلاحل، وهناك وجدنا بعض المودعين قد سبقونا إلى الرصيف، ثم صعدنا إلى الباخرة وتكاثر الناس فاكتظت الباخرة بجموع المودعين، وعند إعلان قرب سفر الباخرة انبرى السيد/ علوي يصافح المودعين واحداً واحداً شاكراً لكل عواطفه نحوه، وباسطاً لهم خلقه المعتاد، وقد علت وجهه سحابة من التأثر لفراق جاوا، ومن بها من أهله وإخوانه وخلانه، وانحدر الناس عن الباخرة يملأ قلوبهم الأسف لفراق هذا السيد المحبوب، ثم أقلعت واستودعناها ومن فيها خير حافظ.

بعد ذلك ذهبت مع الأستاذ/ ابن سميط إلى (فاسار بهارو) أي للسوق الجديد، وهناك دخلنا إلى محل (راجا ماتيق) أي ملك الباتيق وهو أحد السادة آل شهاب، ولم يكن محله مقصوراً على بضاعة الباتيق وهو الأقمشة المزركشة الجاوية، بل كان جامعاً لضروب شتى من الأقمشة المتنوعة، وقد طاف بنا السيد المذكور في أنحاء محله في الطابقين الأعلى والأسفل، وأرانا خلف هذا الموضع محلاً آخر لا يزال العمال في أثناء عملهم فيه قال أنه يريده ملهى، وشرح لنا ما سيضعه من وسائل

الراحة للاعبين والمتفرجين، ثم ابتعنا منه بعض الأقمشة وخرجنا مشيعين منه بكل احترام، وقد عرجنا على محل آخر لابن فارس النهدي، وابتعنا منه أيضاً بعض الأرز الباتيقية، وعلونا إحدى العربات عائدين إلى (تانا اباغ).

وهناك أثبتُ لمضيفي الأخ/ علي بن عبدالله الحامد، أني أجمعت على السفر غدا إلى سورا بايا، وأرسلت خادماً بورقة مالية ليشتري منها تذكرة في قطار الصباح للسفر غدا إلى سورابايا.

ومن العجيب أن الرسول المحترم –إن صح التعبير– لم يكن من الأمانة بالمحل الذي يؤهله لتسلم النقود فهو من النوع الذين تزيغ بعقولهم رؤية النقد، ولو عن بعد، فكان ذلك آخر عهدي به وبالورقة المالية التي أودعتها إياه وكان ذلك له ولها الوداع الأخير.

من بتافيا إلى سورابايا

في صباح الأحد يوم ٧ شعبان –٣ نوفمبر– انتبهت من النوم وأديت الفريضة، ثم سألت عن الخادم فقيل لي أنه كحمار أم عمرو....، وأبرزت حقائبي ثم صافحت الأخ/ علي بن عبدالله، وبالرغم من مراجعته الشديدة في البقاء هذا اليوم فلم أطاوعه على ذلك، وذهبت يصحبني السيد/ عبدالله بن هود (أبو عدنان) قاصدين محطة (القامبير) حيث علوت القطار المتجه إلى سورابايا.

علوت إحدى عرباته واستويت على أحد مقاعدها، ولم ألبث طويلاً حتى صاح صيحة ينذرنا بها أن أزف الترحل فالتفت المودعون –ومنهم صاحبي الأخ/ عبدالله بن هود– كل إلى صاحبه مصافحيهم وناطقين بعبارات التشييع المعتادة وخرجوا ووقفوا صفاً على جانب القطار.

وما هو إلا أن زفرت القاطرة زفرة، كأنما تنفست بها الصعداء سآمة للإقامة، وعند ذلك تبودلت حركات الأيدي بين الركاب والواقفين، وجرت باسم الله مجراها ومرساها تمشي رويداً حتى إذا ابتعدت قليلاً أطلق لها العنان، ومضت كالعاصفة

الهوجاء تعتسف السهول وتقتحم الأودية وتتسلق حيناً ظهور التلال في غير كلال ولا ونى، فتستقيم حيناً كما يمضي السهم، وتتلوى تارة كما يتلوى الثعبان.

مضينا في ذلك القطار السريع تحفنا عن قرب وبعد آيات من بدائع الطبيعة، تملأ الفؤاد غبطة، وتفعمه جلالاً وسحراً، حتى لقد خيّل لي أننا في معرض للجمال الطبيعي حافل، جمعت فيه الطبيعة كل ما تملك من مظاهر الروعة والجمال، وأن هذا القطار ليس إلا دليلاً حزيناً يذهب بنا في عجائب ما أبدعه بديع السموات والأرض من بديع إلى أبدع: على نماذج سامية من الجمال الطبيعي، أو كأنما يقرأ بنا سطوراً من آيات الجمال ناطقة بجلال الله وقدرته فمن روضة غناء، إلى غيضة لفاء، إلى نهر جميل، ومن جبال موشحه بحلل مزركشة من الأعشاب، إلى أودية سحيقة فسيحة تكسوها حلل سندسية مما نسجته أيدي السحاب، يبهرك انخفاضها بجانب ما يتجلى حولها من مناظر الهضاب المريعة.

وكان الطقس جميلاً والجو صافياً فكان ذلك مساعداً أقوى على زيادة التمتع بما يعرض حولنا من نماذج الحسن، لا سيما حينما طلعت الشمس وأرسلت لعابها الذهبي على تلك المجالي التي:

بدت من سندس خضراء لكن شعاع الشمس حولها نضارا

ومع بعد المسافة وطول الجلوس على مقاعد القطار فلم يعرض لنا ما يعرض في مثل ذلك عادة من السآمة والملل، لتنوع ما يعنّ للعين من مباهج الطبيعة ولتطلع النفس لما سيعرض لها من مناظر جديدة فمما يثير الدهشة والإعجاب أن القطار يقطع بين بتافيا وسورابايا نحواً من ثمانمائة كيلومتر، وكأنما يجري في مزرعة واحدة متصلة :

فما انبرى من موقع مخصب يجتازه إلا إلى أخصب

وما مضى عن منظر معجب إلا تعداه إلى أعجب

ولا أنسى شعوري عند ما كان يجتاز السهل الفسيح عند اقترابنا من محاذاة

(مقلاغ) وهو ينتهب الأرض انتهاباً بين أشباك من الحقول تمتد إلى منتهى البصر، إذ يمثل أمامنا بين تلك السهول الخصيبة الأرجاء جبل مقلاغ وعلى رأسه البركان يرمي بدخانه الفضاء، فكان ذلك منظراً رهيباً رائعاً يملئ بالروعة قلب الأديب.

ولقد قطعنا سحابة هذا اليوم على ظهر القطار في نزهة عجيبة ولم نقف إلا في سبعة مواضع فقط، وما حلت الساعة السادسة والربع مغرباً إلا وقد ألقى بنا القطار عصا ترحاله في محطة مدينة سورابايا عاصمة جاوا الشرقية.

سورابايا Seorabaia

تعتبر سورابايا عاصمة جاوا الشرقية، وتقع على الشاطئ الشمالي منها، وهي مدينة عظيمة عامرة، ذات أهمية تجارية بلغت قيمة صادراتها ١٩٣٠م (٣٦٥ مليون روبية)، وكانت قبل تحتل المكان الأول في التجارة قبل بتافيا، وبقيت كذلك إلى عهد متأخر إذ غدت بتافيا تزاحمها في الميدان، ذلك لأن –السبب في أهمية سورابايا التجارية يرجع إلى قربها من مصانع السكر في شرق جاوا إذ كانت منطقتها من أهم المناطق لإنتاجه في العالم ولما سقطت تجارة السكر نقصت أهميتها التجارية بعض النقص.

وبهذه المدينة كثير من المعامل عدا ما تقدم للمطاط والكحول والصابون وغير ذلك، وفيها دور لصناعة السفن كما يوجد بجوارها مصانع كبيرة لتكرير البترول وغير ذلك. وفيها مباني عجيبة تعد نهاية في الفخامة بالنسبة لتلك البلاد كما أنها تحتوي على فنادق جميلة وملاهي عديدة ومتنزهات ونواد ومطاعم ومتاحف ودور للكتب إلى غير ذلك.

أما ميناؤها فحسن. وهو قاعدة الأسطول الهولندي في الشرق الأقصى. ويبلغ عدد سكانها ٣٣٧ ألف نسمة.

وشوارعها جميلة وفسيحة تناسب فخامة مبانيها على أن أغلب مبانيها يتركب من دور واحد شأن سائر بلدان جاوا.

وتمتاز عن بتافيا بكونها مجتمعة الأجزاء في حين كانت بتافيا متباعدة، كأنها مجموعة من القرى تقارب بعضها إلى بعض، وللعرب بسورابايا حي متميز عن غيره يحتوي على الألوف وكان للحضارم بها ماض عظيم إذ كانوا بها في التجارة أرباب الصولة والدولة إلى أن زاحمهم الصينيون بالأكتاف حتى دفعوهم إلى آخر الميدان.

دخلت إليها عام ١٣٤٦هـ إذ وافيتها ليلاً في القطار الآتي من باندوغ، ونزلت ضيفا على الشيخ/ حسن بارجاء فاكرم مثواي وحاطني بحسن أخلاقه وكرم ضيافته، وغرضي الأكبر من تلك الزيارة رؤية خالتي شقيقة والدتي، فكانت أول مرة رأيتها فيها في العمر أما المرة الثانية فكانت عام ١٣٥٠هـ.

العائلة في المهاجر

ومن بواعث الحزن الممض في العادات الحضرمية الحياة العائلية في المهاجر. فمن المعلوم أن الحضارم لم يهاجروا بعائلاتهم من حضرموت -أعني في دورهم التجاري وأصروا على هذا الديدن من عهد قديم إلى اليوم، فيستحيل أن تجد أحداً منهم أسعفه الحظ بالاصطحاب بأهله إلى تلك البلاد. لأنهم يعدون هذا الشأن عاراً عظيماً.

ومن المعروف أن الحضرمي لا يستطيع الصبر على العزوب وأن يبقى عليها مدة طويلة، لأنه محتاج إلى مساعد في نظام حياته وترتيب منزله، فهو مضطر إلى ذلك مهما كلف الأمر، فيلجأ إلى التزوج، ويتحمل محتاراً تبعات الزواج التي من أهمها الأولاد. وبذلك يصير رب عائلة في الشرق الأقصى كما انه رب عائلة في جزيرة العرب ومن العجب انه من حين يولد له طفل لا يفنأ يفكر في نقل عائلته إلى الوطن بأية حيلة أو وسيلة، وإذا كان قادراً على ذلك فلا يزال يدير الفكرة ويعمل الأساليب حتى يوفق إلى ذلك، أو على الأقل إلى نقل البعض والميسور لا يسقط بالمعسور.

وليس المحزن ترحيل الذكور إذ من الممكن عودهم ولكن المحزن جداً هو نقل الإناث اللاتي لا يملكن حولا ولا قوة، والتفريق بينهن وبين أقربائهن وأحبابهن، فكثير منهن من ترحل صغيرة وتبقى عشرات السنين بعيدة عن أمها أو جدتها أو

غيرها. تبقى كذلك حتى تفارق إحداهما الدنيا. فوداع أولئك لتلك البلاد بقطع النظر عن كونهن صغاراً أو كباراً يعتبر كالموت معناه الوداع الأخير، غير أن وجده وحزنه أشد وطأً وأطول أمداً إذ لا يزال يتجدد مع الأيام والسنين مادام القلب يتذكر أن له حبيباً نائياً عنه في قيد الحياة.

وإذا حاول أحد الذين تعودوا الهجرة إلى تلك الجزائر الرحيل بأهله وجد له -وما أكثر ما يجد- من يستنكر منه هذا الرحيل بأهله وجد له ساخراً بالمثل الحضرمي: ما حد يرد اللخم إلى سيحوت، قلت للزعيم الكبير فضيلة العلامة/ علوي بن طاهر مفتي جهور: كيف لو قدر الله الحضارم من بادئ ذي بدء تعود السفر بنسائهم، وقلت له أرى أنهم لوتعودوا ذلك لسلموا من مآسي الفراق المؤلمة، وتبعات التفريق بين الأمهات وأفلاذ أكبادهن، ولتفادوا أن يعيش الواحد منهم مقسم القلب بين شرق الأرض وغربه، فقال لي: وشيء آخر لو قضى الله ذلك لأصبحت جاوا كلها عربية، وهذه الكلمة تبدو غريبة ضخمة ولكن إذا أمعن الناظر الفكر وجدها صحيحة لا شية فيها.

الشيخ حسن بن محمد بارجاء

والشيخ/ حسن بارجاء المذكور آنفاً هو الشيخ/ حسن بن محمد بارجاء شيخ كبير السن عالم فقيه ناسك كثير الخشوع والبكاء لاسيما في آخر عمره وكان محباً لآل البيت الطاهر حتى كان يقبل يد أصغر ولد منهم ويغضب إذا أراد أحد الذين يقرءون عليه الامتناع عن ذلك، وكان محباً للعلم ويجلس غالباً من الظهر إلى المغرب ولا يتعب لذلك من الجلوس الطويل، وكان محباً للضيوف ولطلاب العلم منهم بوجه أخص.

كانت له بوالدي صداقه متينة توثقت عراها من عهد قديم حيث كانا يتجران في تلك الجهة أنواع التجارة، فحين عرفني هش لي وشرح لي صداقته مع والدي -رحمه الله- وسألني كيف لم يعزم والدي (وكان إذ ذاك بسنقافوره) على زيارة جاوا للسياحة ولذكري العهود السابقة، وقد اعتاد صباح كل يوم القراءة مع بعض أسباطه

في بعض الكتب فحين بدأ في القراءة وتكلم في مسألة نحوية التفت إلي سائلاً هل سبق لي معرفة بهذا الفن فأجبته بالإيجاب وعند ذلك جرأت على المشاركة فحين عرف إلمامي بهذا الفن- اعني النحو- سر كثير قائلاً وطالب علم أيضا، وصار دأبه كلما أراد التعريف بيني وبين أحد أن يقول وهو طالب عالم منتقع، وإذا حصل بيني وبينه خلاف في رأي أو مسألة يقول لي -لك الهداية- كعاداته،في تكرير هذه الكلمة.

وكان له مع بعض الشيوخ مجلس يقرءون فيه كتاب الإحياء للغزالي فحين عرّفهم بي في اليوم الأول وقال لهم أني طالب عالم رأيت من بعضهم عدم الاكتراث، فلصغر سني حين أتت نوبته في القراءة أوسعته تغليطاً وتخطئه وكلما أراد المراجعة بينت له المعنى الموافق لما قلت فجعل الشيخ حسن يبتسم إلي قائلاً -لك الهداية- فرأيت ذلك الرجل عاد إلى رشده والتفت إلي وجعل يحترمني بعد ذلك وهو أحد الشيوخ الصلحاء، وقد تولى الشيخ/ حسن القضاء بسورابايا كما كانت له ثروة عظيمة إلا أنها انهارت في آخر الأيام بسبب سقوط التجارة وأثمان العقارات كما سرى إليها الانحلال بأسباب عائلية أخرى -فيما يقال - أصبحت بها تتفسخ وتتلاشى ولم يمت إلا وقد صارت أو أوشكت أن تصير أثراً بعد عين. توفي في ليلة الجمعة ١٩ رمضان من عام ١٣٥٥هـ بعد زكام وحمى لم تدم أكثر من يومين - رحمه الله تعالى- ولم يخلف من الأولاد سوى البنات،ومن أسباطه الأستاذان الأديبان عمر بن أحمد بارجاء (شربون) ومحمد بن سالم بارجاء.

صاحب عمفيل

ويوجد بسورابايا ضريح (صاحب عمفيل) وهو مولانا علي رحمه الله بن إبراهيم صاحب كمبوجا (الهند الصينية) أبن جمال الدين الحسين أول من نزل جاوا من آل عظمت خان ابن أحمد شاه بن عبدالله عظمت خان بن عبدالملك المهاجر من قسم ابن علوي عم الفقيه بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم ابن علوى ابن محمد بن علوي بن عبيداللاه ابن المهاجر احمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين

العابدين بن الإمام الحسين السبط بن الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم– ورد إلى جاوا من كمبوجا بعد وفاة جده جمال الدين الحسين بصحبة العالم المجاهد أبو هريرة بن ملك جمفا بكمبوجا. وكان نزوله عمفيل في حدود سنة ٧٥١هـ وفي أيامه كانت الحرب بين دمك Demak المملكة الإسلامية، وبين ماجافاهيت الوثنية كما تقدم ذكر ذلك.

السيد الصالح شيخ بن أحمد بافقيه

وممن قبر بهذه المدينة من الأعيان الإمام العارف بالله الصوفي السيد/ شيخ بن أحمد بن عبدالله بن شيخ بافقيه العلوي سيد ذو جاه وشرف وجود نادر صالح متصوف بلغ من حاله أنه يملي القصائد الطويلة بحسب ما يلقيه الوارد ارتجالاً من غير ترو ولا إمهال وأحواله عجيبة غريبة حتى لقد غلب عليه حال البسط والأنس بسماع الأغاني والألحان الشجية ولميله إلى الطرب فربما أقام طول الليل على رنات الأوتار وله كثير من المطربين منهم اخوة السيدا محمد بن أحمد الذي كان يسمى عودة أنس السامعين وبالجملة فله حال يسلم لأمثاله كما قال الأمام الحداد وسلم لأهل الله في كل مشكل....الخ.

وقد امتدحه الشيخ الفاضل ا أحمد بن عمر باذيب بقصائد كثيرة منها قصيدته العينية التي منها قوله :

يا لائمي في حب آل محمد ... أني بهم ما عشت صب والع

نفسي لهم رق بلا ثمن وأن ... يرضوا بها مني فاني بائع

ارجو يدا بيضاء بهاعند الذي ... يوم النشور هو الوجيه الشافع

ومن مكارمه الكثيرة أنه وجد عربياً باكياً ضاعت عليه ورقه مالية في خمسمائة فأعطاه كيساً فيه القدر المذكور بعد أن هدأ خاطره وله مائدة يغشاها كل من أراد الطعام توفي سنة ١٢٨٩هـ ودفن بسورابايا وعلى قبره قبة مشهورة – رضي الله عنه.

الإمام محمد بن احمد المحضار

وممن قبر بسورابايا ممن عاصرناه الإمام العظيم فضيلة السيد محمد بن احمد المحضار العلوي، كان عالماً متفننا خطيبا شديد التأثير، ذا جاه عريض وشهرة طبقت الآفاق، تدير بند ووسو فازدهرت به أيما ازدهار وهفت إليه النفوس ورحلت إليه لجلالة قدره،وسعة علمه. وكان نادرة في الحفظ شديد الذاكرة. قلما يمر بمجلسه ذكر أحد الرواة أو العلماء إلا وينبري لترجمته مستوفياً لها كل الاستيفاء كما لا يخوض في موضوع إلا ويوفيه حقه. وقد جاء لزيارته الوفود من كل النواحي كما راسله كثير من أعلام الإسلام والملوك وفي طليعتهم إمام اليمن يحيى بن حميد الدين كما تبادلا بينهما القصائد. وأسلوبه في كتبه هو الأسلوب المحضاري مسجّع في بلاغة وخفه تنم عن سليقة وذوق سليم.

وكان ذا هيبة عظيمة فلا تتخيل فيه إلا هيبة الخلفاء الراشدين أو أئمة أهل البيت. ولم تكن مقصورة على العرب فحسب بل كانت حتى عند الوطنيين بل تعدى احترامه المسلمين إلى سواهم من أجانب وغيرهم.

أما في الكرم فما أظن أحداً في العصر بلغ رتبته فيه حتى لقد كان منزله ملجأ الرواد وكعبة القصاد وأنا أحمد الله تعالى إذ أتاح لي إن كنت أحد الذين كتبوا إليه وامتدحوه.

توفي بمدينة سورابايا في ٢٠ من شهر شوال سنة ١٣٤٤ه بعد ألم في إذنه انتقل من أجله إلى مستشفى سورابايا فأجريت له عملية جراحية وتوفي بعدها –رحمه الله تعالى ورضي عنه.

وقد أقيمت له بسيؤن حضرموت حفلة ختم وتأبين كنت أنا أحد المشاركين فيها فألقيت مرثية أولها :–

أسائلكم بالله ماذا نعي الناعي؟ فقد قيل قول هدّ ما بين أضلاعي
حديث يكاد اللسن يخرس دونه وتصطك إذ تصغي له أذن الواعي

فلو نابني خطب يطــاق احتملتــه ولكنــه خطــب" يضيــق بــه بــاعي
لقد نال ريب الدهــر ذروة هاشــم وأوقــع فــي عليائــها شــرّ ايقــاع
عدا صرفه فاغتال شــائد مجدهــا وعالمها الداعي وسائســـها الراعــي
فتى العلم والتقوى أب البر والنـدى ثمال اليتامى مدرك الصــارخ الداعــي
فتى صاغه الباري منــاراً لهديــة فــابدع فــي تصويــره أي ابـــداع
سعى للعلا طبعــاً فــأدرك غايــة من المجد لم يبلغ لــها قبلــه ســاعي
فمــا مــاجد إلا أقـــر بفضلـــه فكان فتـــى المجـد الوحيـد باجمــاع
قضى عمره في طاعة الله وحـــده فلما دعـــاه قـــال لبيـك مـــن داعــي

إلى أن قلت

فيا راحلاً أضرمت في القلب لوعـة فمن لي بمن يشفي همومي وأوجـاعي
وما كنت إلا البـــدر خــر فعــاذر إذا شمتت في قاعــها حصــب القــاع

وختامها

رثيت ولو حاولت من مقولي وفــا بحقــك مــا فــاه اللســان بمصــراع
فنــم هانئــاً جــاراً لطــه وألـــه فمــا أنــت إلا بيــن أهــل وأشـــياع

وقد خلف من الأولاد الذكور خمسة وهم السادة/ عبدالله وعلوي وصالح وحسين ومحضار وقد تقدم ذكر السيد/ علوي.

عود إلى الرحلة

بلغت إلى محطة سورابايا الساعة السادسة (الثانية عشر) وربع مســاء الأحــد ٧ شعبان عام ١٣٥٤هـ موافق ٣ نوفمبر ١٩٣٥م.

وما كادت القاطرة تلقى عصا سيرها حتى هجم عليها جمع الحمالين صــائحين : سورابايا، سورابايا. عند ذلك أشرت إلى أحدهم وأرشدته إلى حقائبي فأخذها وهبــط وهبطت وراءه حتى وضعها -أعني الحقائب- في إحدى سيارات الأجرة المصفوفــة

حول المحطة وهناك نفحته أجرته وعلوت السيارة وأخبرت السائق أني أريد الحي العربي، فاتجهنا حتى بلغ هناك واستمر ماراً أمام منازل العرب حتى حاذينا منزل السيد/ عبدالقادر ابن عيدروس ابن عقيل أمرته بالوقوف.

حينئذ نزلت على هذا السيد حيث لقيت منه كل تجلة واحترام وبعد تناول طعام العشاء خرجت لزيارة بعض الأقارب ثم عجت على منزل الأستاذ السيد/ أحمد بن غالب الحامد وحضر ابنه الأستاذ/ حامد كما حضر الأستاذ/ قيدان السقاف وكان سمر غير طويل. ورجعت يصحبني السيدان/ قيدان السقاف وحامد حتى أوصلاني إلى دار السيد/ عبدالقادر بن عيدروس حيث أويت إلى الفراش واستسلمت لسلطان الكرى إلى الصباح.

السيد عبدالقادر بن عيدروس

والسيد/ عبدالقادر بن عيدروس هو أحد السادة آل عقيل بن سالم العلويين سكان عينات بحضرموت. وهو سيد شهم كريم النفس محب للضيوف. فداره لا تبرح مأوى للنزلاء. عرفته في رحلتي الأولى عام ١٣٤٦ه إذ شهدت في منزله مجلساً من أمتع ما شهدت من المجالس. أذكر ممن حضره السادة/ علوي المحضار والمرحوم/ محمد بن علي الحبيد والمرحوم/ المنصب حسن بن سالم العطاس والأستاذ/ عبدالقادر بلفقيه والسيد/ عقيل الجفري وسواهم. وهو أول تعارف بيني وبين هؤلاء السادة، وكان السيد/ عقيل الجفري شيعياً بكل معنى الكلمة فاشتبك في جدال مع السيد/ حسن بن سالم العطاس وكان السيد/ محمد الحبيد مؤيداً في بعض الأمور للسيد عقيل، أما السيدان/ علوي المحضار وعبدالقادر بلفقيه فقد اتخذا موقف الحياد، فتدخلت في المعمعة سالكاً طريقاً وسطاً بين الجانبين.

فتطرق الكلام إلى ذكر بعض نواصب الرواة أذكر منهم حريز بن عثمان وثور الكلاعي والجوزجاني ثم سواهم من المسمين أهل الحديث كالذهبي وابن تيميه، وممن جرى ذكرهم من الرواة شهر بن حوشب وهشام بن عروة وسواهما، حتى أفضى الكلام إلى ذكر السيد العلامة/ أبي بكر بن شهاب فذكرت حكايتي مع عمر حمدان

العالم المغربي الأصل الذي زار حضرموت من الحجاز بعد أن دخل الوهابية إليها، ذكرت تلك الحكاية لمناسبة ذكر السيد/ ابن شهاب.

وملخصها :-

أنني اجتمعت بهذا الشيخ في خدر من خدور شعب هود ومعي ديوان السيد/ أبي بكر بن شهاب، فسألني قائلاً : ما هذا الكتاب ؟ فقلت أنه ديوان ابن شهاب. فقال أن فيه بدعاً فاحذروه. فلم ارتح لهذه المفاجأة. فقلت أرجو أن تبينوا لنا ما هي البدع وأين موضعها منه. فقال إنها كثيرة، وأبى من بيانها فاهماً أن هذا مني استدراج للجدال في مسائل لا يريد المناقشة فيها، ثم قال : لو لم يكن له إلا دعوى أن جميع الفرق الإسلامية تدخل الجنة لكفى، فقلت له : لعلك تريد قوله :

وحديث تفترق النصارى واليهو　　د وأمتي فرقاً روى الطبراني
لكن زيادة كلها في النار إلا　　فرقة لم يخل من طعان
بل كلهم في جنة وعدوا بها　　بالنص في أي من القرآن
وكذا أحاديث الرسول تضافرت　　أن الموحد في حمى الرحمن
وإذا أردت بيان ما أوردته　　فانظر فتاوى الحافظ ألشوكاني
الخ...

فقال: نعم. فقلت : هل هذا إلا شرحاً لقوله ﷺ من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: إن هذا يزعم أن القدرية والمعتزلة والشيعة يدخلون الجنة. قلت : هذا منكم تحجير لكرم الله وجودة غاية ما في أهل تلك الفرق أنهم اجتهدوا فاخطأوا والمجتهد المخطئ له أجر عند الأشاعره. فغضب وزمجر واتهمني بالدفاع عن آراء ابن شهاب.

استمر الجدال وطالت شعبه بحيث يستغرق صفحات عديدة، ومن شعبه أنه أثنى على الحافظ ابن حجر وحط من مقام العلامة العيني، فقلت له: أوافقكم على إجلال الحافظ ابن حجر ولكن لا إلى حد الحط من مقام منافسه العيني. وتقلب النقاش في مواضع شتى. وحين اشتدت المقاومة من جانبي قال ستعلمون من المحق يوم يكشف عن ساق. فقلت: ارجوا أن توفقوا للصواب قبل أن تبلغ الروح التراق.أنتهى الكلام

بأن تمثل بقول الشاعر: **نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف**

فقلت : نهايتكم هذه هي بدايتي فهذا ما كنت أريده منك وانتهى النقاش بسلام.

ذكرت هذه الحكاية في ذلك المجلس بطولها ورأيت السيد/ عقيل تهلل قليلاً بعد امتعاضه من حدة ردي عليه في أول الأمر.

السيد محمد بن علي الحبيد

أما السيد/ محمد الحبيد فهو السيد/ محمد بن علي بن عمر أحد آل الحسين بن الشيخ أبي بكر العلويين وهو شيخ من شيوخهم كان ذكيا صافي الذهن قوى الحجة مع استقلال في الرأي يميزه عن سواه، ومع عدم اشتهاره بالعلم له تأليف اختصر فيه نيل الأوطار للشوكاني إلا أنه بلغ فيه إلى الجنائز ووقف إلى أن مات وكان يقول لا أدري كيف وقف بي القلم في الجنائز وما أظنه إلا لقرب المنية، وله مجموعة في تاريخ حضرموت أخذت منه بعض المعلومات لتاريخي عن حضرموت.

كان سيداً خفيف الروح فكها حلو الحديث محبوباً لدى مشائخ عصره السابقين كالإمام السيد/ أحمد بن حسن العطاس ثم من بعدهم كالإمام محمد المحضار السالف الذكر، وقد كان صديقاً للسيد العلامة المرحوم/ محمد بن عقيل فرحل معه إلى العراق وزار النجف الأشرف وكربلاء وسواهما.

ومن حكاياته قال: زرت مع أبن عقيل أحد علماء الشيعة ولم يحضرني أنا الآن أسمه – قال وبعد الجلوس مع ذلك الشيخ أردت تعريفه بالسيد ابن عقيل، فطفقت أذكر له صفات ابن عقيل ومما قلت أنه ألف كتاباً أسماه (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) وأخذت أصف له ما تضمنه. فرأيت الشيخ لم يسر بما قلت بل قال لي ولماذا يتعب هذا السيد نفسه فيمن عرف الناس خروجه عن الملة، هذا مسلّم لا يحتاج إلى أفراد –بالتصنيف. فهل له غير هذا ففهمت ما أراد. وعند خروجنا قلت لأبن عقيل أوقعت نفسك في عداوة السنية والشيعة خرجت من صف هؤلاء ولم تبلغ صف أولئك وبقيت غير مرضي عند الفريقين، عد إلى ما خرجت منه أو زد خطوة إلى

الإمام وكن خالصاً لأحد المذهبين فضحك أبن عقيل وسكت، الحكاية بمعناها.

ومما قال : عدنا بعد رجوعنا من العراق إلى حضرموت – فحين زرنا نبي الله هود –عليه السلام – أحببنا أن نكتشف بئر برهوت، وحين شاع خبر دخولنا إليها انطلقت الألسن بالإنكار علينا في المجالس بتريم وغيرها وأتفق أن ذكرنا في مجلس فقيل انظروا إلى هؤلاء يعنونني وابن عقيل يزورون برهوت فقال أحدهم (زاروا كربلاء معاد إلا برهوت) أي زاروا كربلاء فما بالكم ببرهوت كأنه يرى أن كربلاء احط قدرا من برهوت فلا عجب من زيارتهم برهوت بعدها أي أن زيارة برهوت أصغر جرماً من زيارة كربلاء، فهل كان لا يدري أن تربة كربلاء ضمت جسد بضعة رسول الله ﷺ واحد سيدي شباب أهل الجنة الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

أنا لا أدري من أين تسربت لعلوية حضرموت هذه النزعة أعني نزعة الاستنكاف من ذكر مشهد الحسين والنجف الأشرف مع تعلقهم الزائد بالمشاهد العظيمة سواهما حتى التي بمصر والعراق والحجاز واليمن. وهي دسيسة اباضية لا أدري من أين سرت إلى أذهانهم ولله الأمر من قبل ومن بعد.

آب من جزيرة جاوا إلى وطنه حضرموت عام ١٣٥٣هـ وتوفي بوطنه عينات في عام ١٣٥٦ه – رحمه الله تعالى–.

من سورابايا إلى بندووسو

في صباح الاثنين ٨ شعبان ٤ نوفمبر أخبرت السيد عبدالقادر بن عيدروس بأنني قررت أن أسافر هذا اليوم إلى بندووسو. وعند ذلك لممت متاعي وأخذت حقائبي وقصدت المحطة، ثم علوت القطار الذاهب شرقاً صوب بندووسو بشرق جاوا، وما هي إلا دقائق حتى صاح وتحرك ثم انساب – كما قال حافظ – انسياب الرقطاء فوق الرغام. على أراض زراعية بهيجة لا تنقص جمالاً عما سبق لنا وصفه من قبل. فقد خلعت الأنواء على هذه الجزيرة رداء سندسيا جللها من أقصاها إلى أقصاها فلا تقع العين إلا على منظر يشرح الخاطر ويبهج الناظر. حتى بلغ بنا محطة بروبو

يولينقو وهنا نزلت عن القطار وتحولت إلى إحدى سيارات البيس للأجرة، فتحركت بنا حينا ثم مالت إلى طريق ساحلي بديع حيث انزلقت معه تطوى الفضاء طياً. حتى بلغت بنا بلدة (بسوكي) وهناك عندما دنونا من بسوكي غدوت أرى السمرة القاتمة قد صارت مجللة أكثر الوجوه التي تعرض لي كما بدأت أرى الخناجر الطويلة متدلية على جنوب بعض الرجال وصرت لا أسمع إلا اللغة المدورية بنبراتها ذات الصدى المكبوت بحيث يعلم المشاهد أنه أصبح في منطقة مدورية.

بلغت إلى بسوكي وكانت غاية رحلة السيارة التي أنا فيها فحين تصايح الحمالون بسوكي، بسوكي، أنزلت حقائبي وغادرت هذه السيارة إلى سيارة أخرى كانت على أهبة السير إلى بندووسو التي لم يبق حائلاً بيننا وبينها سوى جبال (الارك أرك) Arakarak الشم الجميلة.

جرت تلك السيارة بنا صاعدة في ذلك الطريق الذي أحكم المهندسون به اختلاس صعود ذلك الارتفاع الشاهق والارك ارك مجموعة من الجبال متراص بعضها إلى بعض تشغل تقريباً مساحة ما بين بسوكي الساحلية وبندووسو وقد جمعت إلى جمالها الطبيعي نفسها حسن موقعها المساعد على التمتع بجمال البحر والساحل من جهة والتنزة بالإشراف على السهول المطرزة بالمزارع والحقول من جهة ثانية.صعدت بنا السيارة تتلوى كما يتلوى الأفعوان الهائج على هضاب موشحة بحلل خضر مما نسجته أيدي السحائب بين غابات وأودية وتلال تبعث في النفس نشوة السرور والمرح وتملأ القلب بهجة وغبطه.

ومن سوء الحظ لا بل من حسنه أن كانت مطيتنا البخارية عجوزاً من اللاتي قد أكل الدهر عليها وشرب فهي بين آن وآخر غدت تتوقف ولا تستأنف السير ألا بعد راحة وعلاج فيلجئنا ذلك إلى الانتظار لكن في غير سآمة ولا ملل. وما زلت أمتع النفس بتلك الرحلة التي هي رغم تعاريجها والتوائها غير شاقة ولا مضنية ورغم ارتفاعها الهائل المخيف المرعب عادة فهي غير مخيفة ولا مرعبة لما يشغل القلب والناظر حولها من مظاهر الجمال الخلاب.

أجل.. مازلت أمتع النفس بما أرى حولي من مظاهر الطبيعة، وما استنشقه من أنفاس النسيم المعطرة بأعراف الأعشاب والأزهار حتى بدأنا ننحدر نحو بندووسو الحبيبة، وما هي إلا دقائق حتى ألقت بنا السيارة مراسيها -إن صح هذا التعبير- أمام سوقها العامر وهناك اخترت إحدى العربات المصطفة أمامه وعلوتها إلى الحي العربي معرجاً على منزلي السيدين/ سالم بن أحمد السقاف وحامد بن علوي المحضار سائلاً عن كل منهما فلم أجده. فمضيت تواً إلى دار السيد الفاضل حسن بن حفيظ وهناك ألقيت عصا الترحال. وبعد أن أمضيت برهة اغتسلت وأبدلت ملابسي فيها، اقبل جميع الأصدقاء والإخوان زرافات للتهنئة، وبعد تناول الغداء تحولت إلى منزل إقامتي.

بندووسو Bandowoso

تقع بندووسو في الناحية الشمالية من شرق جاوا تفصلها عن ميناء بسوكي جبال الأرك أرك Arakarak المتجمعة وتحيط بها سهول خصيبة يزرع بها الأرز والتمبلك وغير ذلك. وهي كثيرة البرد بحيث لا يكاد يعرف بها الحر في جميع فصول السنة إلا نادراً وذلك راجع لارتفاعها عن سطح البحر البالغ ٢٥٠٦ قدم وسكانها مع باروكان ٦٧٨١٦٧ نسمة.

ومع كونها غير معدودة في المدن الكبيرة فهي تعد عاصمة مقاطعة بسوكي إذ يسكنها حاكمها العام إلى عهد قريب، وقد نقصت أهميتها حين تحولت عناية الحكومة إلى بلدة (جمبر) المجاورة، وعدا هذا فعدد العرب بها كبير بالنسبة لعدد سكانها وسعتها وأكثرهم من آل الشيخ أبي بكر العلويين، ولقد كانت في وقت من الأوقات المتأخرة مثاباً لوفود العرب من كافة أنحاء هذه الجزيرة وذلك أيام فضيلة الإمام/ محمد بن أحمد المحضار الذي كان مقيماً بها.

وفي هذه البلدة سكن والدي أيام تجارته وبنى بها مسجده المعروف المسمى مسجد (النور) أو (المسجد القبلي)، إلا أنه حين أزمع الرحيل إلى الوطن أخذ جميع أهله وأولاده ومن تعلق به، وبذلك قطع كل علاقة له بهذه الجزيرة -رحمه الله-

ولعل ذلك من دواعي استرواحي بهذه البلدة وأنسي بأهلها.

وقد جئتها في عام ١٣٤٦هـ في جمادى الآخرة منه. فنزلت على السيد/ النبيل علوي المحضار المتقدم ذكره ولم أقم بها طويلاً، ثم زرتها عام ١٣٥٠هـ في رحلتي الثانية إليها ومكثت بها أربعين يوماً وكنت قررت بها الإقامة شهوراً لولا أنه أتى ما ليس في الانتظار إذ وردت علي برقية مشعره بقدوم أخوي عيدروس وسالم إلى سنقافوره ومستحثة أياي بالوصول سريعاً فلم تسعني إلا الإجابة على مضض وكره. إذ كان القلب قد استروح -نسمات الأنس والهناء في ربوعها وتشبع بروح السرور والاغتباط في سوحها، وكان ذلك شافعاً لي في الإقامة لولا أن للضرورات حالاً لا تشفعه.

عود إلى الرحلة

قلت أنني قدمت بندوسو في هذه الرحلة (أعني الثالثة) يوم ٨ شعبان. وقد مكثت من ذلك اليوم إلى ١١ من شعبان في هناء وغبطة حتى لقد أحسست أنني في أسعد أيام حياتي وأهنئها ونسيت كل المشاغل والهموم التي كنت منغمساً فيها إلى ذقني. كأنما كرّ بي الزمن راجعاً بي إلى سن العاشرة من أيام الصبا وعهود اللهو. حين أصبحت تنهال علي دعوات الضيافة من كثير من سلالة عدنان. وفي طليعتهم السادة الكرام/ حسن بن حفيظ وسالم بن أحمد السقاف وصالح بن محمد المحضار وعلي بن مصطفى وحامد بن علوي المحضار وحسن الحامد وعبدالله بن شيخ السقاف وغيرهم من أبناء الضاد.

لولا ما كدر الصفو بعد ذلك إذ زارتني أم ملدم (الحمى) الزائرة الثقيلة غير المحبوبة:

بذلت لها المطارف والحشايا — فعافتها وباتت في عظامي
إذا ما فارقتني غسّلتني — كأنا عاكفان على حرام

وكأنما كانت مقدمة لمصيبة أفدح وخطب أطم، إذ فاجأني الدهر حينئذ بنبأ وفاة

أخي الأكبر/ أحمد بن علي مصطدماً بسيارة في سنقافوره غير أن البرقية كانت باعثة على التشكك في الأمر حتى حملنا ذلك على الاستفهام برقياً عن صحة النبأ وهناك تحقق الخبر. فشفع السقم بالحزن :

ما أسوأ الحزن والحمى إذا اجتمعا ... ذا في الفؤاد وذي في العظم والجسد

ناران هاتيك لا ينفك لافحها ... يصلي العظام وذي تغلي بها كبدي

أواه من زائرين استنفذا حيلي ... لديهما خار صبري وانتهى جلدي

السيد أحمد بن علي الحامد – أخو المؤلف –

ولد أخي السيد/ أحمد بن علي الحامد عام ١٣٠٩هـ ببلدة بندووسو. وحينما رحل والدي إلى وطنه حضرموت أصحبه معه. وبعد ختمه القرآن الكريم قرأ على بعض الشيوخ وعندما ذهب الوالد للحج رحل معه وقد استمرت رحلتهما إلى سنقافورة ثم عادا إلى الوطن. وقد رحل ثانياً إلى سنقافورة لتولي شئون الوالد بسنقافورة. ومكث بها أكثر من عامين ثم عاد إلى الوطن. وبقي إلى وفاة الوالد – رحمه الله-. وبعدها رحل عام ١٣٥٣ه هذه الرحلة إلى سنقافورة فكانت الأخيرة. وخلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم شيخ وثابت (الملقب عطاس) وعبدالقادر ومن الإناث خمساً.

وعندما نقهت من الحمى في بندووسو أقمت عليه قراءة وتهليلاً كالمعتاد في المسجد الشرقي ببندووسو حضره الكثير من أهالي بندووسو واستمر ثلاث ليال ابتداءً من يوم ٢٢ شعبان موافق ١٨ نوفمبر وكانت وفاته صباح يوم الجمعة المبارك ١٢ شعبان المعظم من عام ١٣٥٤ه وقد حزنت لفقده أشد الحزن سيما وقد صادف ذلك كوني بحالة مرض، وعند وصول البرقية لي بوفاته وكنت -كما سبق- ببندووسو رثيته بقصيدة مطلعها :

ماذا تخّبر يا أثير ... وافيت بالنبأ المثير

شكك عسى في الشك تـخ ... فيف لفاجعك الكبير

بيـــن الأضـــــالع خـــــافق ... واه فرفقـــــاً لا يطـــــير
أردفـــت ســـــقمي حرقـــة ... يضوى بـها القلـب الكسـير
وصنعـــت بالاحشـــاء مـــا ... لا يصنـع الرمـح الطريـــر

إلى أن قلت مخاطباً الفقيد

أكرهـــت اتعـــاب المشـــي ... ب ورعشـة الشـيخ الكبـير
وانفـــت مـــن خلـــع الصبـــا ... وغضـارة العيـش النضـير
فمضيـــت فـــي ركـــب الشـــبا ... ب وقـد تجـهز للمسـير
فرميـــت أعبـــاء الحيـــا ... ة ونمـت ذا طـرف قريـر
كنـــا وكنـــت... ولا أطـــي ... ل فلوعـة الذكـرى تضـير
فتوافـــق، وتخـــالف ... والـود بـاق فـي الضمـير
ود الأخـــوة ثـــابت ... ووشـاية الواشـي تطـير

إلى سورابايا

وفي يوم الخميس ٢٥ شعبان ٢١ نوفمبر اتجهت إلى سورابايا سالكاً الطريق الذي جئت به وفضلت في هذه المرة الاستمرار على ركوب البيس طول هذه الرحلة حتى سورابايا رغبة في النزهة في طريق جديد. فبلغت إليها الساعة الثالثة (التاسعة ع) واخترت النزول في (كماجوان هوتيل) فأقمت برهة اغتسلت فيها وأزلت ما عراني من وعثاء السفر، ثم قصدت أحد المطاعم العربية التي كانت على مقربة من الهوتيل. فتناولت وجبة شهية كانت كافية عن الغداء والعشاء إذ أقبلت عليها بنهمة غير اعتيادية، فما أشهى الطعام على الجوع، وأفضله للصحة.

وذهبت للأستاذ/ أحمد بن غالب لزيارته وحضر ابنه الأستاذ/ حامد ثم الأستاذ/ قيدان السقاف، وكانت جلسة استمرت حتى بعد المغرب ثم استأذنت وخرجت يصحبني السيدان قيدان وحامد قاصدين السيد الداعية/ سالم بن جندان واستقبلنا بسرور حيث رحب بنا إلى مكتبته التي يسميها (المكتبة الفخرية) بمنزله وحضر الأستاذ/ أحمد الجفري أحد أساتذة مدرسة (عنوان الفلاح) ببتافيا وكان جاء إلى جاوا

الشرقية لقضاء إجازته السنوية بين ظهراني أهله بقرسيء وقد استغرق المجلس تصفحنا بعض الكتب العزيزة والمذاكرة في بعض المسائل. وهكذا ابتدأ المجلس جدياً ولكنه تحول أخيراً إلى مزاح ما زال يشتد حتى صار أو كاد يصير إلى مصارعة – وأحمد الله تعالى– على أن موقفي في ذلك كان موقف تفرج وحياد تام. وخرجنا الحادية عشرة (الخامسة ع) ليلاً.

ابن جندان – الداعية المعروف

وابن جندان هذا هو السيد/ سالم بن أحمد ابن جندان أحد آل الشيخ أبي بكر العلويين. شاب تخرج بالمدرسة الخيرية ولازم المنزل بعد ذلك للمطالعة وساعده الذكاء الفطري وقوة الفهم على اهتضام ما يقرأ وظهرت مواهبه عندما ابتدأ يتخذ مهنة الوعظ والتذكير. فكان يقف الساعات الطوال خطيباً مرتجلاً في براعة وتدفق حتى أدهش الناس، فطار ذكره واشتهر أمره في جزائر الهند الشرقية حتى كاتبه الناس من شتى النواحي.

وكان موفقاً للتغلب على مخاصميه لسعة حفظه وحسن بديهته، وله مواقف دفاعية أرغم بها انف المخالف ورفع بها رأس الموافق. وهو من الذين يؤمنون بكرامات الأولياء. واتفق أن تصدى له جماعة من منكريها ليقيموا عليه الحجة بزعمهم ويحرجوا موقفه بسؤاله عن حكايتين تتضمن إحداهما أن بعض الأولياء اسمع صوته من كان على بعد مئات الأميال منه، قالوا فهل كان هناك راديو أو تلفون لاسلكي؟ والثانية تقتضي أن بعضهم نقل منزلاً بأكمله من موضع إلى آخر. وقالوا إن هذا أيضاً غير معقول فهل حمل على طيارة أو على قطار حديدي وقالوا لا يجوز قبول مثل هذا إلا بدليل من القرآن أو الروايات الثابتة عن النبي وخلفائه الأربعة أما سوى ذلك فلا. فقال لهم: هل تستسلمون للدليل إذا جاء على هذا الشرط أم تعودون للمقاومة والمراوغة. قالوا: بل نسلم. فقال: أما الجواب عن الحكاية الأولى فإن لها مثالاً عن سيدنا عمر بن الخطاب وهو ما روي بالأسانيد التي لا مغمز فيها عن عمر رضي الله عنه من أنه نطق في أثناء خطبته يقول: ياسارية

الجبل الجبل. فلم يفهم السامعون، وكان سارية أميراً لعمر في بعض مغازيه فلما عاد أخبر أنه سمع صوت عمر وقد كاد يحيط به الأعداء – بقوله: يا سارية الجبل، الجبل، وإنه لجأ إلى الجبل فكان ذلك سبباً للنجاة والنصر، ولا شك أن عمر لم يكن لديه يومئذ راديو ولا تلفون لا سلكي. وأما الثانية فينص على جوازها الكتاب العزيز في حكاية سليمان مع بلقيس حيث قال: أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، والقول الراجح عن المفسرين أن الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برحيا وليس لديه طيارة ولا قطار حديدي وليس نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً ولكنه من صالحي أمه سليمان وصالحوا أمة محمد بن عبدالله ﷺ أفضل من صالحي غيرها، فجواز مثل هذا في حقهم أحرى بالقبول، فأعجب الحاضرون لجوابه وكأنما ألقم المعترضين حجراً.

وإذا نسب بعض الناس إلى ابن جندان شيئاً من النزق وعدم التروي فقد يرجع لحداثة سنه والشباب فطنه ذلك، وقد يتوسل البعض لنقده بغلطة في بعض الآيات مع الدرج الذي هو نتيجة مولده ونشأته في بلد غير عربية ولا ينقص هذا الشاب الداعية شيء إلا التضلع من النحو الذي معلوماته والحق يقال ضئيلة فيه. ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها. والكمال لله وحده.

ولما قدم إلى سنقافورة أقام له النادي العربي بالاشتراك مع جمعية مواليد العرب بسنقافورة حفلة تكريمية شاركت فيها فألقيت قصيدة ضمنتها ديواني (نسمات الربيع) مطلعها :

بك اهتز شرق الهند قاصية والداني وحياك رمزاً للعلا يا ابن جندان

ومنها :

ترجى حياة المرء مادام نفعه فإن لم يكن فالعيش والموت سيّان
حياة الفتي تفنى ويبقى فخاره فذاك الذي من بعده ليس بالفاني
وكم في غمار الناس حي كميت على الأرض يمشي في ثياب كأكفان

هو العلم لم يجعله شعب ذريعة ومنها إلى مجده إلا علا فوق كيوان
وفي العلم للأرواح دنيا رغيبة تعيش بها ما بين زهر وأفنان
وذو الجهل في الدنيا شقي بجهلة وإن خيل في ظل من العيش فينان
وما قدر لذات الغرائز في السورى إذا المرء فيها والبهيمة مثلان

بني الضاد إن المجد علم وقوّة ومنها فما مجد شعب لم يدعمّه هذان
وكل بلاد سادها الجهل قفرة وإن ظهرت مأهولة ذات عمران
وما فضل أرض مستعار جمالها كوجه دميم (بالتواليت) مزدان
أتانا زمان سخر العلم كاشفاً خوارق لم تخطر على بال إنسان
وهبت شعوب الغرب والشرق للعلا تبارى لنيل المجد في كل ميدان
ونحن بحكم الجهل عشنا بمعزل كأنا بهذا العصر في عالم ثاني

وفي يوم ٢٦ شعبان ٢٢ نوفمبر ذهبت إلى السيد/ عبدالقادر بن عيدروس ثم اتجهت إلى بعض المحلات التجارية القريبة فابتعت بعض الحاجيات، فلقيت الأستاذ/ قيدان وذهبنا معاً لزيارة الشيخ/ حسن بارجاء المتقدم ذكره وكان قد تحول عن منزله السابق وسر بنا هذا الشيخ ورحب بقدومنا ولما كانت النفس تحدثنا بالذهاب إلى بلدة (قرسيك) القريبة هذا اليوم فقد كانت هذه الزيارة لماماً وعلى عجل. فبعد مجلس خفيف ذهبنا إلى مكتبة ابن نبهان لصاحبها الشيخ/ سالم ابن سعد ابن نبهان وهناك لقيت حامد بن أحمد بن غالب فعقدنا العزم على الخروج إلى بلدة (قرسيك) المجاورة لسورابايا فعند ذلك علونا إحدى بنات البخار إليها.

قرسي أو قرسيك Gresik

وقرسي بلدة شاطئية على مقربة من سورابايا شماليها وقد زرتها في رحلتي الأولى وفيها ضريح مولانا إبراهيم الملقب (كاكيء بنتل) ابن بدر الدين بن محمد بن

إبراهيم ابن نور العالم عبدالله ابن جمال الدين الحسين السابق الذكر، توفي ١٢ ربيع الأول عام ٨٢٢هـ وقد تقدم ذكر نشره للإسلام في قرية ليران.

ومما امتازت به هذه البلدة كثرة طيور – الصاراغ – Sarang Borong المعروفة ولها لعاب يبتاعه الصينيون بأثمان باهظة يستعملونه دواء مقوياً وقد يبلغ الرطل منه أربعين روبية جاوية فيتمنى السكان هذه الطيور في مساكنهم إذ يعدون حلولها في منزل الواحد معناه حلول الثروة. فلا يدخل هذا الطائر منزل إلا ويجمع صاحبه أمتعته ويقوض خيامه إلى منزل آخر رغبة في ترغيب هذا الطائر في الإقامة. فتراه يذهب يفتش له عن منزل آخر ويترك عن قصد وطيبة خاطر منزله لهذا الطائر المبارك المحبوب.

وصلنا إلى قرسيء حيث قصدنا منزل السيد الشهم هاشم بن شيخان حيث أضافنا هذا السيد ضيافة كريمة بعد أن قابلنا بوجه طافح البشر. وتمتعنا جداً بمطالعة بعض الكتب الغريبة والنفيسة في مكتبته الحافلة.

وتمتاز هذه المكتبة باحتوائها على كثير من كتب فقه الشيعة ونفائس كتب الحديث وهو –أعني السيد/ هاشم بن شيخان– سيد فهم ناسك غيور شيعي النزعة مع وقار وسكينة وحسن سمت. وخرجنا من عنده مشيعين بكل تجله واحترام واتجهنا قاصدين منزل السيد/ أحمد الجفري ولم نطل الجلسة فخرجنا إلى حيث ركبنا إحدى السيارات إلى سورابايا.

وفي صباح يوم ٢٧ شعبان ذهبت مع الأستاذ/ حامد الحامد إلى مكتبة ابن نبهان حيث سألت عن بعض الكتب، ثم زرت بعض الأقارب، وعدت فزرت زيارة خفيفة الشيخ/ سليمان مرعي وكانت جلسة لطيفة، تحدثنا فيها عن بعض الشئون، وذكر حالة عائلات العرب في المهاجر. فقال إن هنا بعض عائلات قد انقطعت عن كل إيراد وأية غلة. فصاروا بحالة يرثى لها، وقال أنه قد تمكن بعد جهد إلى إسداء معاونه جدية ومعروف كبير إلى بعض العائلات المنقطعة، وذلك بان توسط إلى البلدية شارحاً لها حال أولئك المنقطعين وكونهم لهم حق في مساعدة الحكومة

وعطفها، وبذلك سمحت البلدية بإعطائهم مرتباً شهرياً ساداً لعوزهم، وكان الذين تسببت في عطف البلدية عليهم عائلتين ولا تزال تصرف عليهم إلى اليوم.

فأعربت له عن شكري لهذا الصنع الجميل من جهته كما أبديت إعجابي بعواطف بلدية سورابايا وعملها الإنساني المجيد نحو هاتين العائلتين. الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن في بعض المستعمرين قلوباً ترق وتنبض بالعاطفة وإن قال الشاعر العربي المتحمس:

وللمستعمرين وإن ألانوا قلوب كالحجارة لا ترق

خرجنا من عند هذا المحترم. وكنت قد أبديت نيتي زيارة الأستاذ/ عبدالقادر بلفقيه فقال لي الصديق/ حامد أن الفرصة سانحة الآن فذهبنا إليه وعنده لقينا الأستاذ/ عبدالله بلفقيه القادم من حضرموت من عهد قريب وارتحنا بمحادثتهم برهة غير أن الوقت ضاق عن أن تكون جلسة طويلة، فكانت الزيارة لماما ثم عدت إلى (الهوتيل) ولم نمكث طويلاً وذهبنا لساعتنا إلى منزل السيد الكريم احمد بن غالب الحامد حيث تناولنا طعام الغذاء الشهي الدسم على مائدته الكريمة.

وبعد أداء فريضة الظهر خرجنا آمين السيد/ محسن باعقيل لزيارته وقد حضر مجلسنا السيدان/ عبدالله المحضار (خمور) والمطرب المحبوب/ شيخ البار، وعدت إلى الهوتيل.

وفي العشية جاء الصديقان حامد وقيدان، وبعد أداء المغرب خرجنا للتنزه ونتمشى حول (باساربهارو) السوق الجديد للتفرج على الأماكن التجارية وبعد عودتنا ذهبنا إلى أبن جندان برهة من الزمن. وكنت واعدت الصديق اللطيف السيد/ عبدالرحمن الحداد لزيارته. فانتظم لنا هناك مجلس سمر حضره السيد/ شيخ البار استمر إلى الثانية عشرة (السادسة ع) ليلاً فعدت إلى الفندق.

أما يوم الأحد ٢٨ شعبان ٢٤ نوفمبر فقد جاء الأستاذ/ حامد الحامد وخرجنا إلى مكتبة ابن نبهان حيث اشتريت هناك نسخة فوتوغرافية من كتاب "الأنساب" للسمعاني وذهبنا معاً إلى دار والده الأستاذ/ أحمد بن غالب الحامد فلم نلبث كثيراً حتى قدم

علينا فضيلة العلامة السيد/ عبدالله ابن محمد المحضار من جاوا الغربية مع نجله السيد/ احمد وبعد تناول الغداء على مائدة السيد الكريم/ ابن غالب الفخمة ذهبنا لشهود جنازة قرينة السيد/ عبدالله بن صادق البار العلوي المتوفاة هذا اليوم رحمها الله تعالى. وهنا أتيح لنا زيارة ضريح الإمام/ محمد المحضار السابق الذكر وذهبنا مع الأستاذ/ عبدالله المحضار لزيارة الأستاذ/ قيدان، وبعد ذلك اتجهت يصحبني الأستاذ/ قيدان إلى ابن جندان وهناك سلمنا للسيد/ ابن جندان كتاب "الأنساب" طوعا لطلبه مقابل بعض الكتب النفيسة. وبعد المغرب زرنا الشيخ سالم بن نبهان وكانت جلسة مختصره وعدنا بعدها إلى منزل الأستاذ/ ابن غالب المنزل الذي صار لنا دار ضيافة مدة الإقامة بسربايا تقريباً فتناولنا العشاء عنده ثم ذهبنا للسمر عند السيد/ عبدالقادر بن عيدروس ولم نطل الجلسة، فعدنا وأتممنا سمرنا في الفندق ثم آويت إلى غرفتي حيث استسلمت لسلطان الكرى إلى الصباح.

فضيلة السيد عبدالله المحضار

والسيد/ عبدالله المحضار هو فضيلة العلامة/ عبدالله بن محمد بن أحمد المحضار العلوي المقيم ببندووسو حيث يقيم أكثر أفراد هذه الأسرة، سيد فاضل، عالم متفنن، ذو اطلاع وفهم ثاقب لا تخلو مجالسه من مذاكرات العلم وهو نجل الإمام الكبير محمد المحضار السابق الذكر، عرفته قديماً وازدادت معرفتي به في هذه الرحلة وتأكدت بيننا أواصر الصداقة والود، وله مكتبة حافلة جميلة متنوعة في أشتات الفنون وهو أحد الذين حاطوني بإكرامهم وأدوا نحوي فوق ما يجب.

وله في محل إقامته ببندووسو كل ليلة جلسة للقراءة كثيراً ما كنت أحضرها وتجري فيها مباحثات لغوية ونحوية وغير ذلك. أما في رمضان المعظم فلا تنفض هذه الجلسة إلا بعد الإفطار وأداء فريضة المغرب. وقد تقدم ذكر والده وأخيه وسيتكرر في هذه الرحلة كما سترى.

وفي ضحى الاثنين ٢٩ شعبان ٢٥ نوفمبر مررت على محل ابن نبهان حيث ابتعت منه بعض الكتب الحديثة وزرت مع السيد/ عبدالله المحضار السيد/ سالم بن

جندان وقال لي السيد/ عبدالله المحضار أنه قرر السفر هذه الليلة إلى بندووسو. فقلت له أن رحلتي ستكون على أثره غداً.

السادة: حسن بن حفيظ وسالم السقاف وعبدالرحمن الحداد والشيخ ابن نبهان

وفي يوم الثلاثاء ٣٠ شعبان ٢٦ نوفمبر اعتزمت الرجوع إلى بندووسو فامتطيت إحدى السيارات سالكاً طريق جمبر –إحدى بلدان شرق جاوا في منطقة بندووسو إلا إنها صارت الآن هي المهمة بدلاً من بندووسو – فوصلت إلى بندووسو الساعة الثانية عشرة (السادسة ع) ظهراً.

وقد أقمت ببندووسو العزيزة ثمانية أيام في هناء وحبور محفوفاً من أهاليها العرب بكل لطف وعناية. وقد تفضل بزيارتي في اليوم الأول من شهر رمضان المعظم فضيلة العلامة/ عبدالله محمد المحضار الذي تقدم قريباً ذكره وأنه قدم أخيراً من جاوا الغربية ومن جملة الذين ينبغي الإشارة إلى ما أسدوه نحوي من الجميل وحسن الرعاية ولطف الأخلاق وما أبدوا إلى من العواطف السامية غير هذا السيد السادة الأفاضل/ حسن بن حفيظ وسالم بن أحمد السقاف أما الأول فقد لقيت منه كل تجلة واحترام وأما الثاني فقد أباح منزله لي متى شئت وكم كنت ازجي به أوقات فراغي حيث أتروح بشهود بعض الأخوان على طاولة بعض الألعاب المسلية في أكثر الأوقات، وغيرهما ممن يطول تعدادهم.

ولم يزعجني إلا طرؤ بعض الأشغال المرتبطة بأحد المحامين بسورابايا. إذ ورد علي كتاب من سنقافورا يستحثني على الإسراع في الإنجاز في الحال فلم يسعني إلا الرجوع إليها ثانياً بعد إقامة تسعة أيام ببندووسو.

ففي صباح اليوم التاسع من رمضان المعظم عام ١٣٥٣ه ركبت إحدى السيارات قاصداً مدينة سورابايا ولم أصل إليها إلا الساعة الثالثة والنصف عصراً. فألقيت حقيبتي في الفندق وذهبت على عجل الي الصديق السيد/ عبدالرحمن الحداد

حيث ذهبنا معاً إلى المحامي. وذلك للمهمة التي قدمت إلى سورابايا من أجلها. وهنا قررنا مع المحامي موعداً إلى الغد.

ومع ذلك فقد اقتضت هذه المهمة إقامتي في هذه المدينة خمسة أيام لقيت فيها من حفاوة الأصدقاء والخلان ما يبعث على الإعجاب بهم. وقدر ما تمثله أخلاقهم من الخلال العربية الكريمة. فقد اضافني أولاً السيد المفضال/ عبدالرحمن بن أحمد الحداد العلوي. وهو سيد حسن الأخلاق جداً لطيف في حديثه وطباعة بلغ سن الكهولة بشوش الوجه لا تكاد تراه إلا ضاحكاً مستبشراً. وهو صديق لي لقيت من مساعدته وصحبته ما يستحق به مني جزيل الشكر، عرفته من عهد زيارتي الأولى لهذه البلاد واستحكمت الصداقة بعد زيارتي الثانية وقدومه هو إلى سنقافورة مع الصديق/ شيخ البار.

وممن تكرم بضيافتي في هذه المرة الصديق الشيخ/ سالم بن نبهان، وهذا رجل حسن الأخلاق أيضاً عرفته في قدمتي الأولى والثانية وهو أخو العلامة الشيخ/ سعيد بن سعد بن نبهان. ولنا بآل نبهان صلة قرابة من حيث الخوؤلة. أما شغله فهو التجارة مع أخيه أحمد في الكتب العلمية المطبوعة ومنها جمع ثروته. ومحله أشهر محل لبيع الكتب في جزائر الهند الشرقية على الإطلاق وأكبره. قال لي أنه بعض الأحيان قد يبيع أربعين صندوقاً من الكتب في يوم واحد.

السيد أحمد كريسان

وممن عرفته وتكرر اجتماعي به بسورابايا السيد/ أحمد كريسان السقاف. وهو رجل من أكبر المثرين العرب بسورابايا اكتسب ثروته بنفسه إلا أنه كان غريباً في شئونه وأحواله. مبالغاً في الاقتصاد إلى حد التقتير حتى ضرب به المثل، على أنه كان موسعاً على أولاده البعيدين عنه وكان أرسلهم من صغرهم إلى حضرموت ويقول خير لأولادي بعدهم عني لأني لا أرضي برفاهيتهم وتبسطهم أمام عيني. وأشهر أولاده هو صديقنا السيد/ محمد بن أحمد من نبهاء الطلبة واحد أعضاء مجلس القضاء الشرعي بسيؤن سابقاً.

اجتمعت به – أعني السيد/ أحمد – بسورابايا عام ١٣٤٦هـ وهو أول اجتماع به. فرأيته لطيفاً دمث الأخلاق إلى حد بعيد متواضعاً. وفهمت منه أنه يعد التقشف وعدم التبسط في المعيشة تواضعاً وكسراً للنفس. وكان خفيف الروح يميل إلى الأدب نوعاً ما فكان مغرماً أشد الغرام بمقامات الحريري. وفي ظني أنه يحفظها جميعها فقد سرد لي بعض المقامات برمتها متلذذاً بقراءتها ويقف عند بعض الفقرات معبراً عن إعجابه ببلاغتها، سردها عليَّ في غير تلجلج كأنما يقرأ سورة الفاتحة وحين قلت له أن ابنه محمداً من خيرة الطلبة قال: هل يقرأ المقامات فقلت: نعم قرأها حتى على شيخه امتثالاً لأمركم. فحمد الله.

ومن لطفه وحكمته أيضاً، أنه جلس إليّ محدقاً إلى وجهي يوماً. ثم أنكر علي بعض الأشياء فحينما تهيأت للرد عليه قاطعني قائلاً ما معناه : لا أريد جدالك وقد تغلبني فيما ستقول. وأنا مخطئ لو كنت أنكر مثل هذا على كل إنسان. وما مثالي معك دون سائر الشبان إلا كما يحكى من أن رجلاً كان له ولدان أحدهما أعمى والآخر بصير. فأصيبا بالجدري فكان دائماً ينصح البصير بأن لا يعرك عينيه خوفاً عليهما فيقول له كلما أراد أن يعرك: لا تعرك، فقال الأعمى منهما: وأنا. أعرك ؟ فقال له: أما أنت أعرك.

قال: فمن كان طالب علم مثلك ننصحه بملازمة ما يليق بطلبة العلم وننكر عليه خلاف ذلك، وأما سواه فنقول له: أما أنت فأعرك. توفي هذا السيد عام ١٣٥٧هـ.

وفي ليلة الأحد ١٢ رمضان قررت مع الأستاذ/ حامد زيارة الأستاذ/ عيدروس المشهور محرر جريدة (حضرموت) التي كانت تصدر بسورابايا، وفي طريقنا إليه لقينا الأستاذ/ محمد الهاشمي التونسي ومعه الأستاذ/ قيدان. وكان قدم من (صولو) محل إقامته فوقفنا على حافة الطريق برهة. ثم افترقنا واتجهت أنا والأخ/ حامد إلى منزل الأستاذ/ عيدروس المشهور، وقد سر بقدومنا حيث وجدنا عنده بعض لطفاء الإخوان. وكان مجلس تقلب في افانين من الحديث في جو ملطف بروح هذا الصحافي الخفيف الروح حتى مضى هزيع من الليل. فاستأذنا وعدنا إلى الفندق.

السيد عيدروس المشهور

والأستاذ/ عيدروس المشهور كاتب مشهور كاسمه، فلا شيء في هذا العصر اسطع وأذيع من أسماء الصحفيين وأسلوبه في الكتابة سهل طلي. مع سلامة ذوق في اختيار المواضيع ولهذا كانت جريدة (حضرموت) اشهر الصحف الحضرمية في تلك الأيام. ولم يكن الفضل له وحده في إنشائها فمع كونه هو المساعد على إنشائها وأنه أصبح فيما بعد صاحبها الوحيد فيرجع الفضل الأكبر في إيجادها لمنشئها الأستاذ/ محمد بن هاشم الكاتب الوطني المعروف.

وفوق كون السيد/ عيدروس المشهور يعتبر كاتباً من الدرجة الأولى بين الحضارم. فهو أيضاً خطيب مصقع لا في العربية فحسب ولكن فيها وفي الملايوية أيضاً. وأسف إن حظي من سماع خطابته كان حين قدومي الأول إلى سورابايا عام ١٣٤٦هـ فقط في اجتماع عام في دار المدرسة الخيرية عقدة بعض رجال الرابطة لعموم السادة العلويين لإسماعهم مقاصد الرابطة وأمالها فقراها السيد عيدروس فاقترح عليه بعض الحاضرين ترجمتها إلى الماليزية. فانبرى يترجمها في غير تلجلج حتى أتى عليها وكان ذلك أول معرفتي به وبعد ذلك أسعفني الحظ بالاصطحاب مع بعض عليّة السادة العلويين وهو فيهم إلى (باتو) حيث كان يقيم السيد/ محسن باعقيل قضينا بها ثلاثة أيام قصر الأنس والابتهاج طولها كأنما استعيرت من الخلد. حيث كنا في راحة وانس تفيض قلوبنا بهجة وتطفح وجوهنا سروراً وبشراً.

وكان مع ذلك محادثاً حلو الحديث قلما يجلس إليه أحد إلا ويرتاح إلى كلامه ويستخف روحه وهو من المعروفين بسلامة الذوق ورقة الطبع مع معرفة بالأدب العربي، قال لي بعض الإخوان: كان بعض الأدباء يمشي مع الأستاذ/ عيدروس المشهور فرأيا شيئاً فقال ذلك الأديب: ياغادة في قاعة الفندق فقال له عيدروس: تصطاد بالقوس وبالبندق قلت له –أي الشخص المخبر: لو كان الصدر: **هل غادة في قاعة الفندق** لكان المعنى أسلم في العجز

الأستاذ الهاشمي التونسي

أما الأستاذ/ محمد الهاشمي التونسي، فهو أستاذ أديب نزح إلى جاوا منذ نحو قرن تقريباً وأصدر في جاوا صحيفته التي سماها (بوروبودور) على اسم معبد بوروبودور الأثري القديم أصدرها باللغة العربية الفصحى إلا أنه خصص بعض صفحاتها للعامية الحضرمية الدارجة. وقد تنقل أستاذاً في مدارس شتى حتى استقر به الأمر إلى التوظف أخيراً في المدرسة العربية الهولندية التي أنشأها النقيب/ عوض شحبل بمساعدة الحكومة بالصولو.

ومعرفتي بهذا الأستاذ ترجع إلى عام ١٣٥٠ه عند زيارتي الثانية حين زرت مدينة الصولو وأتيح لي مع بعض الأصدقاء زيارته في منزله اللطيف الجميل فلاقاني بكل حفاوة وإكرام واخبرنا على سبيل الفكاهة. أن يونس بحري الذي يسمي نفسه السائح العراقي وكان مقيماً يومذاك ببوقور كتب له مخبراً بعقده العزم على بناء قصر فخم سيصرف عليه عشرات الألوف قال: أعني الأستاذ/ التونسي – فأجبته بأن اقترحت عليه أن يزيد في هذا القصر -الخيالي ولا شك- جناحاً يكون خاصاً بي عندما أفد إليه مع أولادي التسعة.

وقد اعتزم هذا الأستاذ تأليف تاريخ حافل للحركات العربية بجاوا بعنوان: ثلاث وعشرون سنة بين الحضارم، إلا إن ذلك لم يتحقق بالرغم من نشرة بعض المنشورات التي كانت داعية لنجاحه لو قدر الله

مكتبة الحاج الجاوي بقرسي

وفي يوم الأحد نفسه ذكرت لي مكتبة كانت مملوكة لبعض العرب كنت عرفتها من قبل- بيعت بالمزاد العلني لبعض الحجاج في بلدة قرسيء فاعتزمت الخروج لرؤيتها مع الأستاذ/ حامد فقصدنا السيد/ هاشم بن شيخان السالف الذكر ولكنا وجدناه في دار أحد السادة آل عيديد فجلسنا معهم. ثم تحولنا إلى منزله -أعني السيد/ هاشم- حيث رحب بنا بسرور وعند خروجنا من عنده أهدى إلي كتاب (كشف الارتياب)

للعلامة/ محسن العاملي.

خرجنا من عنده قاصدين منزل الجاوي الذي قالوا أنه يمتلك المكتبة بلغنا المنزل فرحبّ بنا. واطلعنا على الكتب وبعد التفتيش لاحظت أن بعض نفائسها قد أصبحت غير موجودة وحين سألناه قال أنه هكذا اشتراها. فساومنا في بعضها فقالوا أنه لا يريد بيعها إلا جملة ولابد من خطاب ابنه أيضاً. الذي بان لنا أنه لا يزال في تلك الساعة نائماً وانهم لا يرغبون في إيقاظه فلا بد من الانتظار. ولما كانت رغبتنا مقصورة على بعضها فلم نر في انتظار هذا النائم عصراً فائدة. وفضلنا الرجوع وأن كان بخفي حنين فعدنا أدراجنا إلى سورابايا.

ذهابي إلى بندووسو وتعجلي للعودة منها

وفي سحر يوم ١٥ رمضان، جاءني قبيل الفجر الأستاذان/ حامد وقيدان وما حلت الساعة الخامسة والنصف (الحادية عشرة ع) إلا وأخذت حقيبتي وقصدت القطار الذاهب إلى برونولينقو فعلوته إليها ومنها ركبت البيس إلى بندووسو حيث وصلت إليها ظهراً.

وفي هذا اليوم دعاني فضيلة السيد/ عبدالله المحضار للفطور والعشاء في منزله الزاهر ولسوء الحظ أني لم أمكث في بندووسو غير يومين فقط حتى وافاني البريد الطيار بكتاب من سنقافورة يتضمن أن المهمة التي ظننا أننا أنجزناها بسورابايا لم يكن عملنا فيها كافياً بموجب قانون سنقافورة فلابد من الرجوع ثانياً. واتفق وجود السيد/ عبدالله الحداد شقيق السيد/ عبدالرحمن الحداد السالف الذكر ببندووسو فاتفقنا على الذهاب معاً في سيارته إلى سورابايا.

وضحى ذلك اليوم استعددت للسفر وهيأت ما أريد إصحابه معي. وما حلت الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً إلا وقد وقف هذا السيد أمام المنزل بسيارته مع بعض الرفقاء فخرجت حينئذ واتجهنا سالكين طريق (الأرك) الجميلة حين انسابت بنا تلك السيارة –الفخمة تنهب الأرض نهباً حتى تسنمت ذرى تلك الجبال البديعة وأشرفت على الشاطئ الشمالي فراقنا ما يلوح أمامنا من المجالي البهيجة. ترجلنا

للتمتع بتلك المناظر ولنملأ صدورنا من أنفاس النسيم العليل. ونروح النفس بالجمال في شتى النواحي ومن بينها منظر البحر وأمواجه الضاربة على تلك الشواطئ الخصيبة المتباعدة ولبثنا حيناً ثم استأنفنا السير فانحدرنا إلى بسوكي. وأطلق السائق لسيارته العنان قاصداً بنا (باسروان) حيث نزل بعض الرفقاء ثم قصدنا بلدة بانقيل ولم نلبث إلا قليلا في منزل السيد/ شيخ بن أحمد السقاف. واستقلت بنا السيارة إلى سورابايا وهناك قصدت الفندق أعنى (كماجوان هوتيل) الذي اعتدت النزول به. ودعاني هذه الليلة السيد/ عبدالله الحداد إلى منزله للعشاء.

حضرت وقت الإفطار إلى منزل هذا السيد الكريم كما حضر السيد/ سالم بن جندان ومدت المائدة بعد قليل. فتحولنا إليها بنهمة. وما أشد شره الصائم ونهمته إلى الطعام لاسيما إذا كان فاخراً متنوعا محتويا على لذائذ الفطائر والفواكه. وبعد قيامنا من قاعة الطعام إلى محل الاستقبال قدمت لنا بعض الأشربة المثلجة. ثم استأذنت فزرت الأستاذ الوقور/ احمد بن غالب ورجعت إلى الأوتيل يشيعني ابنه الأستاذ/ حامد. ثم آويت إلى الفراش.

انتبهت يوم الأحد ١٩رمضان ١٥ ديسمبر الساعة الثامنة (الثانيه ع) الأربع وخرجت إلى محل ابن نبهان كالمعتاد ولم اعد إلا ظهراً. ثم أكببت على بعض أشغالي الكتابية. فجاء الأستاذ/ حامد وعلى إثره أتى الأستاذ/ قيدان وكان الوقت حينئذ عصرا فلبثنا نتحدث حتى دنا المغرب وما اشد شوقنا إليه، فالمغرب هي الكلمة التي يطرب الصائم لذكرها ويخفق لها فوأده فرحا وسرورا.

عند ذلك غادرنا الفندق للاشتغال بالتمشي حتى نستهلك ما بقي من يوم ١٩رمضان الذي هو على وشك الوداع. وعند ذلك لقينا الأستاذ/ عيدروس المشهور حيث ضربنا موعدا للذهاب هذه الليلة للتفرج على السينما.

وكنت مدعوا عند السيد/ ابن جندان فعندما سقطت الشمس في مغربها وقفت من السير مع أصحابي ورفعت كلتا يدي مودعاً إياهم قائلاً : إلى الملتقى بعد ساعتين، وانصرفت خافاً إلى منزل ابن جندان المبارك. فرحب بي ثم تناولنا الطعام على

مائدته غير مبكر. وجلسنا في هدوء وطمأنينة وكأن الأستاذ/ ابن جندان لم يرتح لهذا السكون ولم يرقه هذا الهدوء السائد على الجلسة. إذ كانت نفسه ميالة للحركة والصراع ولكنه يعلم أني لا أطاوعه على ذلك فعدل إلى طريق الجدال فأثار الخلاف في بعض مسائل لا أريد ذكرها الآن فعند ذلك احتدم الجدل ولحقت حرب وائل عن حيال. فاشتد النقاش وارتفعت الأصوات وبحّت حتى كادت تنشق لها الحناجر. وحتى كاد الأمر يتحول إلى المضاربة واللطام لولا تغلب الحلم وانتهاء ذلك بسلام.

والحقيقة أن ذلك ساعد كثيراً على الهضم وتحليل التخمة التي تعرو الصائم عادة بعد فطوره. فقد خرجت وكأنما سقاني دواء هاضماً لطعامه الشهي اللذيذ.

عدت إلى الفندق فوجدت السيد/ عيدروس بن عبدالرحمن الحبشي أحد سكان شبام المقيم يومذاك بجزيرة (بالي) -وسيأتي ذكره في رحلة بالي ولمبوك- حضر للاجتماع بي إذ كانت سبقت لي به معرفة من عهدي بحضرموت وحضر أيضاً السيد/ حسن الحداد بعد الصديق قيدان وخرج الأولان ثم حضر الأستاذ/ عيدروس المشهور وحامد الحامد وذلك لميعاد الذهاب لرؤية رواية عصفور الجنة السينمائية. وعند ذلك تركنا الفندق واتجهنا إلى محل السينما فوجدنا المحل غاصاً بالمتفرجين وعندما أخذنا مجلسنا ساد الظلام ثم عرضت الرواية. ولا يتسع المقام لشرح الرواية ورأيي الخاص فيها. وتكفي الإشارة إلى أنها جميلة وأنها كانت مدعاة لتسليتنا تلك الليلة إلى حد بعيد.

وفي صباح يوم ٢٠ رمضان ١٦ ديسمبر غادرت الهوتيل عازماً الذهاب للسيد/ عبدالرحمن الحداد لنذهب معاً إلى المحامي (هسنبرخ) لقضاء مهمتي الخاصة ودفعت له الأوراق فأرشدنا إلى وجوب إحضار شاهدين فأتيت بهما. وكنت مدعوا هذه الليلة عند الأستاذ الوقور السيد/ أحمد بن غالب الحامد فذهبت للإفطار عنده وللعشاء ثم عدت إلى الهوتيل حيث كتبت بعض الرسائل الخاصة المهمة وحضر بعض الأصحاب ولم نسمر طويلاً.

إلى بندووسو

ولما كانت مهمتي مع المحامي بسورابايا قد انقضت تماماً فقد قررت السفر غدا إلى بندووسو وفي السحر حضر الصديقان قيدان السقاف وحامد الحامد لتوديعي. ولكني عذرتهما في الانتظار إلى ساعة السفر لان ذلك يفوت عليهما إغفاءة الصباح اللذيذة التي تعودها الصوّام أيام رمضان عوضاً عن نوم الليل.

وما كاد يذرّ قرن الغزالة وتلقي الشمس رداءها الذهبي على تلك الجزيرة الخضراء فيكسوها منظرا رائعاً إلا وقد أخذت مقعدي من القطار الذي زحف بي بعد دقائق زحف الأفعى آخذاً نحو الشرق على تلك السهول الخصيبة والروابي الزمردية حتى قذف بي في محطة بروبولينقو.

وعندما تصايح بائعو الفواكه أشرت إليهم بأني صائم ومن خصوصيات هذه البلدة وجود فاكهة العنب بها التي لا تكاد توجد بجاوا إلا مستوردة من الخارج على صلاحية هذه الجزيرة لسائر أنواع الفاكهة تقريباً إلا أنه -أعني العنب- هنا كان من النوع غير الجيد إذ كانت حموضته زائدة، ولما كنت صائماً يومئذ لم يمكنني اختباره فاشتريت منه قدراً صالحاً ولم اعلم بخسارة الصفقة إلا عندما بعدت الشقة وفاتت الفرصة في بندووسو بعد المغرب.

ومن هنا – أعني من بروبولينقو – علوت سيارة البيس قاصداً بسوكي وهناك حولت متاعي إلى سيارة البيس الصاعدة إلى بندووسو وما كادت الشمس تزول من أوجها إلا وقد ألقيت العصا بمنزلي ببندووسو العامرة حيث لزمت المنزل إلى اليوم الثاني.

روحانية رمضان

مكثت في هذه البلدة قبل أن يحل العيد تسعة من أيام رمضان المعظم لم أبارحها فيها إلا إلى بلدة جمبر القريبة حيث اشتريت بعض أدوات الرسوم الفوتوغرافية مع السيد/ محمد بن علي بن عيدروس، وعدنا في نفس اليوم.

ولا أستطيع الآن شرح انسي وهنائي بهذه البلدة ولاما لقيت من كرم أهلها وحسن عواطفهم نحوي إذ ذلك يستدعي صفحات عديدة.

وما أستطيع أن أقوله أن أيام رمضان مضت في هناء والحياة في أيام رمضان تكون أكثر تنظيماً منها في غيرها فالنهار هناك كما هو هنا في حضرموت موزع توزيعاً تاماً بين النوم والقراءة والسلوى بالتفسح في العشايا أو تزجية الوقت أحياناً ببعض المسليات حتى يحين المغرب وإن كان النوم نهاراً هناك أقل بكثير مما يكون بحضرموت لان السمر في ليالي رمضان ببندووسو لا يستغرق الليل كله عكس الحال بحضرموت.

ولرمضان كما يعرف الناس لذة روحية عميقة الأثر في النفس يرى بها الصائم الانقلاب فجاءة من جو الفطر إلى جو الصيام، ويحس بالخروج من كثافة ذلك وماديته إلى لطافة هذا وروحانيته والروح دائماً تغالب الجسم في الميول والنزعات فقد يتغلب هذا أو ذاك. ولما كان الصيام يفطم الجسم عن غذائه وقتاً وبذلك ينقطع عن إمداده الجيوي ويترتب على ذلك ضعف النزعات الجسمية بقدر ما يحرم الجسم عن إمداده. فيقتضي ذلك أن تتغلب الروح مع الصيام بحيث تصير غالباً هي ربة الصولة والدولة. فلذلك يكثر في الصائمين الميل إلى الخير والابتعاد عن الشر. وما ذاك إلا أن النزعة الروحية قد غدت هي السائدة على أنفسهم.

والشاعر من أشد الناس انقياداً للنزعات المتجاذبة من الناحيتين. ولذلك يكون مظهراً من مظاهر هذا التجاذب فقد تتغلب عليه روحانيته فترفعه إلى مصاف الملائكة. كما قد تسيطر عليه الجسمانية فتنحدر به إلى مستوى الشياطين أو البهائم، فالشاعر دائماً لا يكون إلا مظهراً تتجلى عليه روح هذا التنازع لأنه سريع التأثر بما يتغلب عليه من خير أو شر. روحانية أو شهوانية. فسرعان ما تنطبع آثار ذلك عليه وتظهر واضحة جلية على شعره بصورة ناصعة مكبرة كأضعاف أضعاف حقيقتها بنسبة ما لدية من شدة الإحساس وسعة الخيال والقدرة على اقتناص المعاني. وهذه هي وظيفة الشاعر. خطر لي هذا بمناسبة ذكر روحانية رمضان وما أسبغت على روحي ونفسي بحيث كان لذلك أثر بالغ يعلم الله مبلغه. وعندئذ قلت قصيدتي الشاعر:

دعوه، جـهلتم شـأنه وهـو شـاعر — تراه وديعاً وهو في الكـون سـائح
يعيش علـى الغـبراء جسـماً وأنـه — على ذروة الجوزاء غـاد ورائـح
فخلوا فـؤاداً مـاج بالشـعر صدره — أيخشى ظلاماً وهو في النور سـابح
إذا ضـاقت الدنيـا عليـه تفتحـت — لديـه بأفـاق الخيـال المسـارح
تحـيرت الألبـاب فيـه ومـا درت — يجد بمـا يبديـه أو هـو مـازح
فحينا يبارى مارد الجن فـي الـثرى — وطوراً لا ملاك الصفيـح يصـافح
إذا سرّهش الكـون بشـراً وأن بكـى — بكـت حزنـاً اشـفاقه والابـاطح
ولولا قروحٌ تبعـثُ الـهم والشـجى — لمـا نتجـت بالخـالدات القرائـح

أجل لقد مكثت تسعة أيام من رمضان لم أبارح فيها بلدة بندووسو وها هو ذا قـد أقبل العيد. وهذه هي تباشيره. فقد أصبحت الأسـواق مكتضَّـة برائـدي الحاجـات والملابس وغدت التجارة في حركة غير اعتيادية وغـدا النـاس يـأخذون أهبتـهم لاستقبال العيد السعيد بما يعدون من ملابس وما يتخذون لأنفسهم وعيالهم ومنازلـهم من مظاهر الزينة والفرح.

لقد غدا رمضان على وشك الوداع إلى عام قابل ولا يدري أمـرؤ هـل يعـود لاستقباله مرة أخرى. أو ينتهي به الأجل فيكون –آخر رمضان له. لا تـدري نفـس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس بأي أرض تموت.

أجل ودَّع شهر رمضان شهر الصيام والقيام الشهر الذي لا ترى الشـمس فيـه مسلماً تام الإسلام إلا وهو ممسك عن طعامه وشرابه امتثالاً لأمر الله ورغبـة فـي ثوابه وخشية من أليم عقابه. إلا من عذر الله.

ودَّع شهر رمضان الشهر الذي تحرم به النفس بعض شهواتها حيناً من الزمـن ترويضاً لها وكبحاً لجماحها وتعريفاً لها بما يلاقيه ذوو البؤس والفقر من آثار الفاقـة وشقاء المعيشة.

ودَّع شهر رمضان الشهر الذي تصقل به النفس المؤمنة عن صدأ المـلدة وأدران

الشهوانية فلا يحرم الجسم بعض غذائه فيه. إلا بقدر ما تؤتي الروح من لذاتها المعنوية غذاء دسماً تنشط به من عقال المادة بحيث تغدو طليقة سابحة في أمانيها وآمالها لدى الله وفيما أعده لها في الأخرى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فالسلام عليك يا شهر التراويح، السلام عليك يا شهر المفاتيح. السلام عليك يا شهر البركات والغفران. والتنزلات والرضوان، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

ووداعاً أيها الشهر العظيم وداعاً. ولكن إلى الملتقى إلى الملتقى يا رمضان في عام مقبل بل في عشرات الأعوام المقبلة إن شاء الله، أنا لا أتمنى إلا أن تكثر علينا أوباتك أيهذا الشهر وعلينا أن نستقبلك ونحن بك فرحون ولك صائمون وبما نطيق القيام به من حقك قائمون.

يوم العيد

وأتى يوم ٢٧ ديسمبر وفي فجره ابتسم صباح العيد السعيد عيد الوفاء بواجب الصيام واستئناف الفطر، والتمتع بما انعم الله من طيبات ما أحل من الطعام والشراب.

ما أجمل العيد، وما أبهجه، وما أشد روعته، فهل امتاز بشيء دون سائر الأيام أم كان على نمط سائر أيام العام؟ حقاً إنه يخيل إليّ أنه فريد في كل شيء حتى في ساعاته ونظامه وآماله وأحلامه وأشعته وظلاله.

هاهي ذي الوجوه طافحة بالبشر، والصدور فائضة بالهناء فلا ترى أينما التفت إلا ثغوراً باسمة وقلوباً مرحه ومنازل تكاد تطير بأهلها لما عراها من مظاهر الزينة وعمها من إمارات الفرح والابتهاج.

وهاهو ذا الصباح الذي كان بالأمس هادئاً يسوده السكون والركود. غدا اليوم صاخباً تشمله الحركة وتغمره موجات السرور والمرح.

وهاهم أولاء أصحاب الأشغال والوظائف أصبحوا -بدلاً من مغادرتهم المنازل إلى الإدارات والأسواق- ملازمين منازلهم ناعمين فرحين بين عيالهم ونسائهم عاكفين على أنسهم ولذاتهم تلوح على قسماتهم إمارات الهناء وسيما السعادة.

وكيف لا وقد أعد كل مسلم كل ما يملك من مظاهر الزينة لهذا اليوم السعيد. وغدا كل رجل مرتدياً أعز ما لديه من ملابس الحشمة والجمال وأصبحت ذوات الحجال يمرحن جذلاً رافلات في نفائس الحلي وحبرات الوشي وافواف الحرير ممتلئات غبطة وحبوراً. بعد أن انهمكن جهدهن في إحضار كل ما استطعن إعداده من لذائذ الأطعمة وشهي المآكل، وأصبح الصبيان يلهون ويمرحون. مختالين بما عليهم من جديد الثياب، فرحين بما اعد لهم من شهي المطاعم مبتهجين بما يحيط بهم من زينات العيد.

فمرحباً بك أيها العيد، مرحباً. لقد أنرت صدورنا بالآمال وأفعمت قلوبنا بالأفراح وعمرتها بذكريات مجيدة من عهد النبوة وعظمة الإسلام.

طلعت يوحي وخلعت على الآفاق رداءها الذهبي البهيج وظهرت به الأرض في مرأى عجيب. وبدأت الأزهار ترتفع من ركوعها بعد أن طأطأت لما ناءت بحمله من أنداء السحر عندما ابتدأت قطرات الطل تتبخر تحت أشعة الشمس الوهاجة، شمس العيد الوضيئة المؤذنة بنورها الزاهر بأنها طلعت علينا في هذا اليوم بسعد السعود، فتجلت بها المزارع والرياض في منظر بهيج رائع. كأنما تبرجت في زينتها لتشاركنا في الاحتفال بهذا العيد الإسلامي العظيم.

وما هي إلا دقائق حتى تداعى الجيران للخروج لصلاة العيد. وارتدى كل أثمن ما لديه من نفيس الثياب، فلبست ثيابي وخرجت قاصداً المسجد مكبراً الله حامده على نعمة الإسلام وعلى العود لهذا العيد السعيد.

وبعد أداء الصلاة وسماع الخطبة أخذ الناس يتبادلون المصافحة وتهاني العيد ثم خرجوا وخرجت مع الجمع في موكب حافل قاصدين منزل السيد النبيل/ علوي المحضار – الذي كان غائباً إذ ذاك بوطنه حضرموت- في رجز وطني (زامل)

عجيب ذكرنا عهود الأوطان، تساجل فيه بعض الشعراء حتى بلغنا المنزل المقصود.

وما هي إلا برهة غير طويلة أنشدت فيها بعض القصائد حتى انفض الناس وتفرقوا أيادي سبا كل إلى منزله.

عاد كل إلى منزله فرحاً مسروراً حيث استقبله أهله بتهاني العيد وابتسام الفرح وهرعوا يقدمون ما هيئوا من لذيذ الطعام ليتناولوا معاً أول وجبه في نهار الفطر الوجبة النهارية التي طال العهد بها منذ شهر.

عاد كل إلى منزله فرحاً مسروراً ليقضيه ناعماً بين أهله ممتلئ الصدر غبطة وحبوراً. وما أحلى العيد وأهنأه بين الأحباب. فقرب الحبيب نعمة ومشاركته في أفراحه نعمة أخرى وكون ذلك في يوم العيد الأغر نعمة أعظم بكثير. وكيف لا يجدر بمن هذا شأنه أن يقول:

هنا رشفت كؤوس الحب صافية — مع من أحب وعين الله ترعانا
في هالة من شعاع الطهر قد جمعت — منى الهوى والصبا اللاهي وإيانا
لا ينطق الأنس إلا من اسرتنا — ولا يرى البشر إلا من ثنايانا
فالناس يحيون في دنيا همومهم — ونحن في معزل عنهم بدنيانا
نعيش كالطير وثاباً بروضته — يميت ساعاته حباً والحانا

أما مع بعد الأحباب. فما هو العيد وما أثره؟ ستكون النتيجة معكوسة بلا شك فبدلاً من أن يكون العيد مصدراً للفرح قد يكون باعثاً للترح. بما يوقظ في النفس من ذكريات مشجية تستخرج الآهات الحزينة من أقاصي الصدور..

ولله در القائل :

قالوا أتى العيد والأيام مشرقةً — وأنت باك وكل الناس مسرور
فقلت إن واصل الأحباب كان لنا — عيداً وإلا فهذا اليوم عاشور

وقد تمكنت هذا اليوم من الذهاب مع السيد/ محمد بن علي بن عيدروس إلى

بعض الرسامين حيث عرجنا على بعض أماكن (الآيس كريم). ثم عدت إلى المنزل.

ومع كون هذا اليوم يوم عيد يقتضي الإقامة بالمنزل والعكوف على الأنس بالأهل والتروح معهم فقد اعتاد الناس بجاوا مزاورة – بعضهم بعضاً للمعايدة خلافاً لما كان عليه الناس بحضرموت حيث كانوا يؤخرون زيارات المعايدة إلى اليوم الثاني وما بعده لذلك فقد زارني هذا اليوم كثير من أفاضل هذه البلدة كما زرت بعض فضلائهم أنا أيضاً. ومضى هذا اليوم في هناء وبهجة كأسعد ما تكون الأعياد والحمد لله.

وجاء يوما السبت والأحد ٢و٣ من شوال ٢٨ و ٢٩ من ديسمبر ويعتبر الناس هذين اليومين يومي عيد إذ تعوَّد الناس فيهما العطلة عن الأعمال والراحة عن الأشغال وملابسة زيارات المعايدة المعهودة. فما أتى صباح يوم السبت إلا وقد تهيأ الناس وارتدى كل اجمل ثيابه لذلك واحتشد أبناء الضاد وابتدعوا في برنامجهم طائفين على ديار العرب واحداً فواحداً. حيث يعد لهم كل مزور ما اعتيد من القهوة والبخور ويجلسون برهة يتبادلون الحديث فيها وينشد فيها أحد الحداة قصيدة وتختتم الجلسة بتلاوة الفاتحة. وهكذا دواليك حتى ينتهي البرنامج المحتوى تقريباً على جميع منازل بني العربية هناك وتستمر هذه الزيارات من الصباح إلى منتصف النهار. وقد شهدت هذه الزيارات العيدية في كلا اليومين بكل سرور وفرح وكان حظي منها في اليوم الأول حيث أقبل الحشد على المنزل وقابلتهم بكل اغتباط وترحيب.

وفي ظهر اليوم الأول ذهبت إلى المصور الصيني لإصلاح رسم فوتوغرافي كنت أخذته لمناسبة العيد المبارك. ثم طفت على نواحي السوق للتفرج وعدت راجعاً. ثم شهدت روحة فضيلة العلامة السيد/ عبدالله المحضار في دار السيد/ حسن بن حفيظ وكانت جلسة ممتعة احتوت على قراءة بعض الكتب الحديثة والتصوفية كما تضمنت بعض المباحثات المفيدة.

أما في اليوم الثاني فبعد رجوعي من زيارات المعايدة العمومية لزمت المنزل بعد الظهر ولم أبارحه إلا عشية إلى دار السيد/ سالم السقاف حيث بقيت هناك إلى

العشاء فعدت إلى المنزل فتناولت طعام العشاء وبعد سمر لطيف آويت إلى المخدع واستغرقت في هناء وحبور حتى تجلى وجه الصباح المنير.

إلى فاسيرفوتية

كنت قررت الخروج في نزهة ساحلية إلى (فاسيرفوتيه) الرمل الأبيض للتفرج على ما أبدع الباري من مظاهر الحسن والجمال الطبيعي والصناعي أيضاً في هذه الجزيرة البديعة. فبيَّت النية على ذلك. وما سفر صباح يوم الاثنين المبارك ٤ شوال – ٣٠ ديسمبر إلا وقد هيأت نفسي وأعددت العدة فما بسطت الشمس سلطانها على الآفاق إلا وقد استقلت بنا إحدى بنات البخار من بندووسو آمة بنا ميناء (بنار وكان). ويقع هذا الميناء على الشاطئ الشمالي الشرقي من جزيرة جاوا. بلغنا إلى هذه البلدة حيث نزل بعض من صحبني من الأقارب. ولم ألبث بها كثيراً بل رغبت في استمرار الرحلة إلى (فاسيرفوتيه) المتنزه الساحلي الجميل ولا أريد الآن وصف ما عنّ لي في هذا السبيل من مناظر الجمال التي أصبحت لكثرة ما وصفتها في هذه الرحلة تكاد تكون عادية في نظر القارئ الكريم. وحسبي أن أقول أني كنت في طول هذه الرحلة ممتلئ الصدر غبطة وانشراحاً. وأن نشوة البهجة والمرح كانت مهيمنة على نفسي وقلبي. كمن لعبت بفؤاده أصابع بنت الحان.

بلغت إلى (فاسير فوتيه) وهو الموضع المقصود وعرفت أن المحل كان فارغاً من المتنزهين المزاحمين تماماً فعند ذلك خرجنا نعدو ونستبق حتى ولجنا المتنزه.

وهناك ألقينا بعض معداتنا، وخرجنا على ذلك الشاطئ المنير نلهو حيناً ونمرح تارة ونتجاذب طوراً أطراف الحديث حيث أخذت صور بعض المناظر الطبيعية البهيجة. ذهبنا نتمشى تتكسر حول أقدامنا الأوابي ساجدة. كأنما أخذت تؤدي نحونا واجب التحية إجلالاً وترحيباً إذ لبثنا نملأ الصدور من أنفاس ذلك الهواء المعطر المشبع بأعراف الزهر الباسم وكان الجو بهيجاً. والبحر زهواً منيراً زاهراً يملأ الفؤاد روعة وجلالاً. والمناظر تبدو عن قرب وبعد وعلى الروابي والوهاد حافلة بآيات من بدائع الطبيعة وروائع الجمال :

والنسم يأتي بالندى سجسجاً أشهى من الغمض إلى الساهر
والزهر يهدي طي أنفاسه رسائلاً من عرفه العاطر
كأنما الأفواج من عرفه خواطر الإلهام للشاعر

وما أنس لا أنس تطوافنا بين تلك الضفاف الجميلة. وأغانينا الرنانة المنبعثة من أعماق القلوب تدفعها موجات من الهوى الطاهر والطرب الهزلي والناتجة عن نشوة المرح وسكرة الغرام :

وذاك المراح وحلو المزاح وضحكاتنا العذبة الطاهرة
وتجوالنا بين تلك الربى وحينا على الضفة الساحرة
كأنا وقد شبّ فينا الشباب صبيان لم نبلغ العاشرة

حقا أن من الأيام ما يكون غرة في جبين السنين كما أن منها ما يكون غرة في جبين الحياة كلها وذلك اليوم الذي يخرج بصاحبه عن جميع تكاليف الحياة وقيود المادة وعن التفكير في ذينك جميعاً إلى عالم الروح الطلق فيعدو به كالطفل الغرير الذي لا يرى إلا أن الوجود خلق لسعادته ورفهه وإن كل ما وجد وسيوجد لم يكن إلا وسيلة للعبه وللهوه غير مفكر إلا في نفسه وساعته التي هو فيها.

هذه الفلتة التي يرجع بها الإنسان إلى عالم الطفولة، عزيزة جداً لا تعرض إلا نادراً وعندما تتوفر الوسائل وتلائم الفرص وتساعد الظروف. وانظر إلى الشاعر حيث قال :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

فهل تراه داعياً إلى غير هذا ؟ فمن هو الذي ينسى جميع ماضيه ويذهل عن مستقبله. ولا يهتم إلا بساعته وساعته وحدها؟ هل هو إلا الطفل الغرير المدلل ؟.

وبعد هنيهة قطعناها تنزها وتطوافا على ذلك الشط البديع متمتعين بكل ما يبهج الروح. ويملأ القلب لذة وحبوراً. عدنا إلى الهوتيل المطل على الضفة المنيرة وقعدنا

على مائدة حضرت عليها عند ذلك أكواب من ماء الليمون المبرد وبعض الفواكه الشهية وجلسنا مصوبي الأنظار نحو الخضم وما يحيط به من التلال والجبال التي وشحتها الطبيعة بخير ما نسجت من سنادس الأعشاب.

وقد ظللنا كما شاء الشباب المرح في أنس ولهو. وأحسست إني في تلك الساعة السعيدة واجداً تمام اللذاذة والمتعة بالإحساس بنعمى الحياة الهنيئة التي يقول عنها الشعراء أنها كأنما استعيرت من فردوس الخلود. تلك الساعة السعيدة التي لا أزال أرى أن التعبير يضيق ذرعاً عن وصف شعوري بها ووجداني فيها حتى لقد يمعن لي التفكير حيناً فأعدها من قبيل الأحلام التي ترتفع بالمرء عن مستوى الأمور العادية المألوفة إلى ما وراء العقل والمادة.

فآه لتلك الأيام وسلام على تلك العهود
متى يا قضاء ترى عودها على رغم أيامنا الغادرة؟

وعندما جنحت الشمس وصبغت وجه الأرض بلون الأصيل الذهبي ودعنا هذا الشاطئ وامتطينا السيارة عائدين أدراجنا إلى حيث جئنا فعرجنا على (بناروكان) ثم اتجهنا إلى بندووسو. فبلغنا إليها بعد الساعة الخامسة (الحادية عشرة ع) ولما كان الوقت لا يزال فيه متسع للخروج. فقد ذهبت إلى بعض الصينيين لطبع بعض الرسوم الفوتوغرافية وعدت إلى المنزل. وسمر عندي هذه الليلة السيدان/ حسين بن سالم بن الشيخ أبي بكر ومحمد الحبشي والشيخ/ عبدالله بن طيب إلى ردح من الليل.

أما يوم الثلاثاء ٤ شوال ٣٠ ديسمبر أي آخر يوم من سنة ١٩٣٥م الميلادية فقد جاءني السيد/ محمد بن علي بن عيدروس ثم ذهبنا معاً لزيارة السيد/ابي بكر بن محمد بن عبدالله، وبعد جلسة لطيفة خرجنا من عنده فلقينا السيد الوقور/ حسن بن حفيظ وأخبرناه بأننا ذاهبون إلى السيد/ سالم السقاف فوافق على الاصطحاب بنا. وهناك كانت جلسة طويلة اشتملت على أحاديث شتى حيث تليت علينا في بعض الصحف بعض أخبار الحرب الحبشية الإيطالية. وبعد انفضاض المجلس عدت إلى المنزل حيث أخذت بعض الرسوم وتناولت طعام الغداء. وجاءني السيد/ محمد بن

علي الآنف الذكر. وبعده جاء لزيارتي السيد/ أحمد بن جعفر بن هود السقاف. وفي العشية خرجت مع السيد/ محمد بن على المذكور نحو السوق وأماكن التجارة حيث ابتعت بعض الحاجيات. وبينما كنا هنالك عنّت تباشير المطر ثم درت -أخلاف السحائب فاضطررنا إلى ملازمة بعض الأماكن حتى خفّت وطأة المطر فعدنا إلى المنازل واستمر المطر حتى جاء المغرب ولم يفتر إلا ريثما أديت فريضة المغرب وذهبت إلى السيد/ سالم بن أحمد السقاف وعاد المطر إلى تهطاله المتتابع. وعند هذا السيد لقيت السيد/ عبدالله الحداد الآنف الذكر المقيم بسربايا وكان مجلس حسن قررت فيه الذهاب مع السيد -أعني السيد/ عبدالله – غدا إلى سربايا وعند محاولتي الخروج والرجوع إلى المنزل منعني السيد/ سالم صاحب الدار لاستمرار المطر وأرسل من قبله رسولاً إلى منزلي مخبراً بأني سأتناول العشاء عنده وبعد السهر قليلاً عدت إلى المنزل وغرقت في نوم هنيء إلى الصباح.

وهذا آخر يوم من العام الشمسي. وبه انصرم عام ١٩٣٥م الميلادي. وانطوت صفحة من التاريخ سجل فيها ما سجل من حوادث وأخبار ومجد وصغار وحسنات وسيئات وحياة وممات ووحشة وإيناس ومأتم وأعراس ونعم وآلام وآمال وأحلام ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام.

وانفتحت أمامنا صفحة أخرى لا ندري ماذا سيسجل عليها ولا تدري نفس ماذا تكسب غدا ولكن الآمال متفتحة والأماني منتعشة والى الله عاقبة الأمور.

وما حياة المرء إلا سجل له يثبت عليه ما يريد إثباته من خير أو شر وفخر أو عار. وحظه من خلود الذكر بمقدار ما يخلِّف من آثار حسنة وأعمال مجيدة للأجيال القادمة. وما الحياة إلا صحيفة يضع بها الإنسان ما يستطيع وضعه من أرقام الأعمال فإن شاء جعلها حاوية أكبر رقم قياسي يستحق به الخلود والذكر. وإلا ترك عليها صفراً لا يحمل من معنى إلا لا شيء.

وذو العمر ما لم يبن مجداً بعمره سيمضي كطفل مات وهو رضيع.

الأستاذ رشيد رضا صاحب المنار الأغر

وممن توفي في هذا العام من الأعيان العلامة الكبير محمد رشيد رضا الحسيني صاحب المنار الأغر وذو المصنفات المتعددة التي منها تمام التفسير الكبير المسمى. "تفسير المنار" وتاريخ الأستاذ الإمام والوحي المحمدي ونداء إلى الجنس اللطيف وغير ذلك.

كان علامة عظيم الخطر متبحراً في كافة العلوم الإسلامية لاسيما التفسير والحديث واسع الإطلاع قوى الحجة وهو أحد مشاعل النهضة الإصلاحية في الأقطار الإسلامية. أنشأ المنار من عهد شيخه الأستاذ/ محمد عبده مفتي الديار المصرية ودافع عن شيخه وناضل. كما دافع أيضاً عن شيخ شيخه الأستاذ جمال الدين الأفغاني وله أكبر ضلع في نشر أفكارهما وتأييدها فقد مضى عهد وللمنار صولة ودولة في العالم الإسلامي وبه اشتهر اسم السيد/ رشيد حتى لا يكاد يذكر إلا ويذكر معه المنار في حين كانت تتوارد عليه الأسئلة والاستفتاءات من جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ومن أبرز ما يدعو إليه المنار الاستقلال في الرأي والاجتهاد المطلق في فهم نصوص الكتاب والسنة. ومن أجل هذه النقطة قامت قيامة بعض أهل عصره عليه وعلى شيخه لاعتقادهم وجوب التقليد واستحالة الاجتهاد وانغلاق بابه بزعمهم من قديم. حتى أدى ذلك بعضهم إلى وصمه بالانحلال عن الدين وترك الفرائض الدينية.

ومهما يكن من صحة هذه المزاعم أو عدمها فالذي ينبغي علينا أن نطرح كل هذه التهم جانبا في كل عالم أو مفكر مصلح وننظر إلى ما قال في غاية الدقة وإمعان النظر مع توخي الإنصاف ولسنا بكفلاء على خلاص كل عالم أو مفكر إذ لسنا موكلين بتولي جزائه في الحياة الدنيا بل أمره إلى الله فهو الذي يقابل كلا بما يستحق أن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقد وقع بين الأستاذ/ رشيد والأستاذ/ الدجوي نزاع وبعض خصومه فألف الدجوى في التشنيع عليه رسالة سماها "صواعق من نار في الرد على صاحب

المنار"، ثم تم الصلح بينهما بعد بواسطة بعض الأعيان.

وبعد. فالذي يجب علينا هو إنصاف هذا العلامة فقد كان – والحق يقال – عظيم القدر في علمه وفهمه. وله في النضال عن الإسلام يد بيضاء لا تجحد وفي الكشف عن محاسنه آثار غراء لا تنكر وحسبه أن أقول أني أعتقد كما يعلم الله أن مكانه بعد وفاته بقي فراغاً وهيهات أن يخلفه بعده مثله. وإن عالماً مكث أربعين عاماً يفحم المبشرين والملحدين لحري منا بالإكبار :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

أما آراؤه السياسية فهي داعية إلى الانتقاد فقد كانت مضطربة متقلبة إذ امتدح أشراف مكة حتى كاد يرفعهم إلى مصاف الخلفاء الراشدين. ثم انتقدهم وجرحهم حتى سلبهم كل شيء حتى نسبهم كم تلون رأيه في الأتراك الاتحاديين فمدحهم كثيراً ثم جرحهم أكثر حتى تحول رأيه فيهم ثلاث مرات. وبعض خصومه يجعل ذلك من نتائج حب المادة والشغف بالمال الذي ابتلى به الناس قديماً وحديثاً. والله أعلم بحقيقة الأمر.

ولد في قرية القلمون إحدى قرى لبنان القريبة من طرابلس فتلقى العلم من نشأته طفلاً يافعاً في هذه المدينة. ثم هاجر إلى مصر فدخل الأزهر واتصل بالأستاذ/ محمد عبده اتصالاً وثيقاً وعند ذلك أشار إليه بإصدار المنار التي كانت بعد سجلاً لآراء الأستاذ أيام حياته ثم صارت مسرحاً للدعوة لها بعد وفاته

وقد ساهم السيد/ رشيد في النهضة العربية كما اتصل بجمعياتها السرية من سنة ١٩٠٨م إلى قيام الحرب العظمى. فلما أعلنت الهدنة عاد إلى سوريا حيث انتخب رئيساً للمؤتمر السوري الذي نادى بالأمير فيصل ملكاً على سوريا. وظل في خدمة الدولة العربية الجديدة حتى ثّل عرشها الفرنسيون عام ١٩٢٠م فعاد إلى القاهرة واستمر في تحرير المنار وعالج التأليف فأصدر كتبه المذكورة آنفاً.

توفي فجأة وهو في السيارة عائداً من توديع الأمير سعود في السويس يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٥٤ هـ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٥م، توفي وهو يكتب في التفسير، وكان آخر ما كتبه تفسير قوله تعالى: (رب قد آتيتني من الملك

وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات توفني مسلماً والحقني بالصالحين).

الشاعر العراقي عبدالمحسن الكاظمي

وممن توفي في هذا العام أيضاً الشاعر العراقي الكبير/ عبدالمحسن الكاظمي المشهور، وكان نزح عن العراق إلى مصر منذ خمسة وثلاثين عاماً لاجئاً بكنف الأستاذ/ محمد عبده.

والكاظمي شاعر من الدرجة الأولى بين شعراء العربية من حيث حسن الأسلوب وصفاء الديباجة والانسجام، يرتجل الشعر بصفة مدهشة. وهو أحد أقطاب النهضة الأدبية الشعرية في العصر الحديث

جاء إلى مصر بدافع ضيق المعيشة، كما قال الشاعر الزهاوي في رثائه إياه :

لو كان يحظى في العراق ببلغة ما سار يقصد مصر عبدالمحسن

بلدٍ به – بخلاف ما في غيره– شبع الدخيل واسغب ابن الموطن

فلاذ بالأستاذ/ محمد عبده فأحسن إليه وأكرم مثواه. وكان يتعهده في آخر كل شهر بعشرة جنيهات يودعها غلافاً ثم تسلم إليه في داره من دون أن يشعر بما في الغلاف أحد. وبعد وفاة الشيخ المفتي نكد عيشه وضاق حاله حيث ارتجت أمامه الأبواب لاسيما وقد كان الخديوي عباس واجداً عليه اتصاله بالأستاذ/ عبده.

ولما ألحت عليه الفاقة سأل بعض تجار الدجاج وصف طريقة تفريخها وتغذيتها والقيام عليها ليعتاش من وراء ذلك فحاول أن يجرب ففعل واصبح عنده ألوف من الفراريج، ورغم اجتهاده في العناية بها فلم ينجح بل خسر وقال لم يخطر لي أن الفراريج سريعة العطب رقيقة المزاج إلى حد أنه إذا لم ينتبه أحد لتدبيرها وتغذيتها وتدفئتها لا يبقى من الألف منها سوى بضعة عشر.

والكاظمي ينظم الشعر على طريقة فحول شعراء الجزيرة من حيث متانة الأسلوب وجزالة اللفظ مع الانسجام الذي امتاز به عنهم. ومع ذلك فقد تفوق على

شعراء العصر بأنه يرتجل القصائد ارتجالاً في غاية من السلاسة. ولما أراد منه شاعر النيل المرحوم/ حافظ إبراهيم تقريظاً لديوانه أملى عليه وهو يكتب قصيدة طويلة مثبته في الطبعة الأولى من ديوان حافظ.

وعندما استبدل الصحافي/ سليم سركيس زيه الإفرنجي بالزي البلدي لقي الأستاذ/ الكاظمي عند الأستاذ/ عبدالقادر المغربي في دار المؤيد فعتب عليه عدم تهنئته له بزيه الجديد، فما سمع الكاظمي عتب هذا الصحافي إلا وقال له :

ألق دواتك وأقرب وخذ أداتك واكتب

قال الأستاذ/ المغربي. ثم جعل يرتجل شعراً في مدح سليم ووصف زيه البلدي الجديد. يمليه عليه وهو يكتب. حتى إذا طال نفس القول اعترضته أنا قائلاً : أرى أنه سيكون لهذه القصيدة نبأ عظيم بين أدباء القاهرة فلم لا يكون لي فيها ذكر وأنا ثالثهما وشاهد حادثتهما. فتحول الكاظمي عن سليم وأقبل عليّ وخاطبني ببضعة أبيات من شعره المرتجل على وزنه وقافيته ثم عاد إلى إتمام الكلام في سليم.. الخ.

وقد انعزل في آخر أمره إذ أقعده ضعف القلب وكلال البصر وتقدم السن عن غشيان المجالس والأندية فقبع في منزله مع بنته الشاعرة/ رباب الكاظمي حتى اختاره الله لجواره في يوم الخميس ٢٩من محرم سنة ١٣٥٤ه ٢ مايو ١٩٣٥م وممن رثاه إذ ذاك الشاعر الزهاوي بقصيدة مطلعها:

صدق النعيّ ومات عبدالمحسن ياشعرابنَّه ويانفس أحزني

ومنها

ملأت قصائده القلوب حماسة من بعد ما شغلت جميع الألسن

وختمها بقوله :

يا بلبل الشعراء مالك صامتاً من بعد تغريد بشعرك مشجن
قد سرت قبلي للردى متعجلاً ولعلني بك لا حق ولعلني

وقد صدق قول الشاعر/ الزهاوي فقد لحقه في هذا العام وذلك في آخر يوم من ذي القعدة. رحم الله الجميع.

قلت أنني قررت التوجه غدا مع الصديق الفاضل/ عبدالله بن أحمد الحداد إلى سورابايا ففي صباح الأربعاء ٦ شوال عام ١٣٥٤هـ أول يوم من جنواري سنة ١٩٣٦م أعددت حقيبتي وما احتاج إليه. ثم ذهبت إلى المنزل الذي يقيم به السيد/ عبدالله الحداد ومن هناك علونا السيارة قاصدين سورابايا، وعندما جرت فتحنا زجاجتها المقفلة لنترك منها مجالاً للنسيم اللذيذ ولنتمكن من رؤية المناظر المعجبة تمتعاً تاماً. فعلونا طريق –الأرك أرك– ممتلئ الصدور بهجة وانشراحاً ولا أشهى للنفس في تلك البلاد من السياحة في تلك البقاع الخضر المطرزة بالهضاب والمزارع.

كما قضينا المسافة حديثا في فنون شتى تجارية وغيرها حتى بلغنا سورابايا. فألقيت عصا السير بكماجوان هوتيل المعتاد.

وبعد الاستراحة زرت الأستاذ/ أحمد بن غالب كما تناولت طعام العشاء على مائدته واجتمعت بالصديقين الأستاذين/ حامد وقيدان وعدت إلى الهوتيل فآويت إلى الغرفة واستسلمت لسلطان الكرى إلى أن تجلت غرة الصبح.

السيد أحمد بن غالب الحامد

والأستاذ/ السيد أحمد بن غالب الحامد أحد فضلاء السادة آل الشيخ أبي بكر العلويين، سيد فاضل عالم فقيه. تدير جزيرة عمبون من قديم واشتغل بالتجارة بها. ثم تحول إلى جزيرة جاوا حيث اتخذ سورابايا داراً لإقامته وبيده الآن إدارة المدرسة الخيرية.

وفي شخص هذا السيد تتمثل الخلال العربية إذ لا تزال داره مفتوحة حيث يلقى الضيف بها كل تجلة واحترام ويرى أشهى طعام على مائدته الفاخرة الدسمة.

وقد اتخذت منزل هذا السيد دار ضيافة لي كأنما كان منزلي فقلما يمر يوم إلا وآوى إليه وأتناول ولو وجبة واحدة على مائدة هذا السيد الكريم.

وقد لبثت بسورابايا ثلاثة أيام استغرق أكثرها الزيارات العيدية المعتادة لبعض الأصدقاء والأخوان الذين يطول تعدادهم ويعسر الوفاء بشكرهم، مكثت بسربايا إلى يوم السبت ٩شوال ٤ يناير وفيه قررت التوجه إلى مدينة مالاغ.

وعندما حل الظهر حملت حقيبتي وذهبت قاصداً المحطة يصحبني الصديقان/ حامد وقيدان. ولما لم أتمكن من إدراك القطار الذاهب إلى هناك وكانت الفترة قبل سفر القطار الثاني تستغرق أكثر من نصف ساعة فقد اضطررت إلى ركوب إحدى سيارات الأجرة الصغار ولا أكتم ندمي على هذا الصنع فقد سقط في يدي عندما جرت بي وهي مكتضة بالركاب المزدحمين أشد الازدحام. وما أشد دهشتي وأسفي معاً حين بلغت اللاواغ فاغلق في وجهنا الطريق الرئيسي تمهيداً واستعداداً لمرور القطار الحديدي الذي أبيت من انتظاره واستعجلت السير فسافر بعدنا بأكثر من نصف ساعة من محطة سورابايا وهاهو ذا الآن يمر أمامنا ليصل قبلنا إلى المالاغ.

وعند وقوف هذه السيارة التعسة اغتنمت الفرصة ونزلت عنها وقد بدا أمامي قصر باسويدان على تلك الهضبة الجميلة مطلاً على واد خصيب ففتحت آلتي الفوتوغرافية واستقبلت تلك الربوة التي بني على ظهرها القصر الجميل وأخذت رسمه.

ثم استأنفنا السير مخترقين طريق اللاواغ البديع واستمر بنا السير حتى بلغنا المالاغ آخر العشية حيث نزلت في كراتون هوتيل القريب من المحطة.

مالاغ Malang

ومالاغ... مدينة جديدة جميلة ذات مباني فخمة وطرق واسعة حسنة خصها الله بجمال الطقس وحسن الموقع. وهي بلدة باردة. ويرجع ذلك إلى ارتفاعها البالغ ٤٤٥ متراً عن سطح البحر. وبها مدارس متعددة ومن أهمها المدرسة الزراعية. وتزرع في ضواحيها أشجار الليمون بكثرة كما يزرع – بالقرب منها قصب السكر – وفيها معامل له متعددة، وبالقرب من المالاغ منتزهات جميلة، كما يقع قريباً منها حمام الماء الساخن الطبيعي في سنقريتي، كما يوجد بجوارها مستحمات منظمة تحيط بها متنزهات بهيجة ويبلغ عدد سكانها بموجب إحصاء سنة ١٩٣٠م ٨٦٥٦٧ نسمة.

جئت إليها في رحلتي الأولى عام ١٣٤٦هـ حيث نزلت ضيفاً على السيد الفاضل/ محمد بن علي مولى الدويلة العلوي. وكان شيخاً كبيراً ذا ثروة طائلة بهذه المدينة اكتسبها بنفسه وعرق جبينه وهو رجل صالح خفيف الروح. إلا أنه نموذج من قدماء الحضارمة الذين يعدون الرفاهة والتبسط في النعم والعيش ضرباً من السفه ونقصاً في الرجولة. ومع ذلك فهو شيخ محب للخير وتصلني به وشيجة مصاهرة. توفي في شهر ذي الحجة ١٣٤٩هـ. رحمه الله تعالى.

ثم جئتها في تلك المرة ثانياً مع بعض الأعيان حيث زرنا بعض المتنزهات ومنها بركة الاستحمام البديعة. فوجدنا بها بعض أبناء المدارس وكان ذلك يقضي عدم السماح لنا بالدخول. لولا أن الموكل بسدانتها أذن لنا إجلالاً للأعيان الذين صحبناهم. وقد أعجبنا بها جداً ولولا وجود هؤلاء التلاميذ لتسنى لنا الاستحمام بها، فمكثنا ثم خرجنا.

ثم زرت المالاغ في رحلتي الثانية إلى هذه الجزيرة وذلك عام ١٣٥٠ه فنزلت على السيد المفضال/ علي بن محمد مولى الدويلة نجل السيد محمد السابق الذكر، وكان والده إذ ذاك قد توفي. نزلت على هذا السيد فلقيت منه كل ترحيب وإكرام. واتفق أن وجدت عنده أحد الهنود واسمه حسين. وهذا الرجل الهندي يمتلك سيارة يديرها هو بنفسه ولذلك تسنى لنا زيارة كثير من المتنزهات ومن أهمها (توسارى) التي سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى، كما زرنا بعض مصانع السكر هناك. ثم تكررت زيارتي لها في ذلك الحين.

عود على بدء

وصلت إلى المالاغ آخر عشية السبت الآنف الذكر فقصدت أحد الهوتيلات المتوسطة فاخترت إحدى غرف الدرجة الأولى حيث ألقيت أمتعتي هناك واغتسلت ثم خرجت قاصداً الحي العربي فسألت عن السيد/ علي مولى الدويلة فلم أجده فقصدت المحترم حسن باجبير إلى منزلة الذي عرفته سابقاً مقيماً به فدعوت فلم يلبني أحد، إلا أنه قيل لي أنه قد تحول إلى منزل آخر فرجعت أدراجي وقصدت السوق للتفرج وعند

ذلك لقيت السيد الفاضل/ محسن بن حيدرة الحامد. وبعد التعارف دعاني هذه الليلة لضيافته ولم يقبل لي عذراً عن ذلك ولم يدعني حتى أكدت له أنني لن أتأخر عن الحضور. وبينما أنا في تطوافي إذا بالسيد/ عمر بن محمد بن شيخ السقاف أحد السادة آل السقاف سكان سيؤن وهو كهل خفيف الروح لطيف مائل إلى التشيّع كان مقيماً بسورابايا وجاء إلى هذه المدينة للاستشفاء. فتطوع بصحبتي حينا. ثم افترقنا بعد أن تواعدنا إلى الغد، ثم ذهبت إلى السيد/ محسن الحامد حيث انتظم لنا في منزله مجلس لطيف. وقدمت لنا مائدة العشاء وبعد ذلك عدت إلى الهوتيل ونمت بهناء.

وانتبهت صباح الأحد ١٠ شوال ٥ جنواري وبعد أن اغتسلت وأديت الفريضة تناولت ما تيسر مع القهوة الصباحية. ثم ذهبت إلى السيد/ علي مولى الدويلة وهناك جلست عنده برهة من الزمن واقترح علي أخذ رسم فوتوغرافي له مع أولاده، ثم خرجنا نتمشى معاً. وعلمت أنه ذاهب مع بعض أصحابه إلى بعض الأحياء المجاورة للبلدة. ففارقتهم وذهبت إلى السيد/ عمر مولى الدويلة لزيارته ووجدت عنده بعض آل كثير فكانت لي معهما جلسة غير طويلة وخرجت. وكنت مدعواً هذا اليوم عند السيد/ علوي مولى الدويلة شقيق السيدين اللذين سبق ذكرهما. خرجت عند الاستواء ولما لم أجد هذا السيد موجوداً قصدت منزل السيد/ عبدالقادر بن عيدروس –وكان لهذا السيد منزل بهذه المدينة مع أن محل إقامته بسورابايا– وبعد هنيهة غادرت منزله بعد أن وعدته بالرجوع بعد الظهر –إلى السيد/ علوي مولى الدويلة المشار إليه فوجدت عنده السيد/ عمر بن محمد بن شيخ الذي واعدته البارحة على الاجتماع هنا وكانا في انتظاري. وقد أنست بالجلوس عند هذا السيد ثم قدمت المائدة التي زاد الشهية لها لتأخرها عن موعد الغداء المعتاد وبعد تناول الغداء وما قدم بعده من الفاكهة مع الشاي استأذنت وخرجت قاصداً السيد/ عبدالقادر بن عيدروس وعند خروجي من عند هذا السيد أخذ مني وعداً للحضور للعشاء عنده هذه الليلة فقبلت. ومررت على السيد/ أبي بكر باعقيل فلم أجده فعرجت على المصور الفوتوغرافي لأخذ بعض الرسوم التي سلمتها إليه لطبعها وعدت إلى الفندق فاسترحت قليلاً واغتسلت وأبدلت ملابسي ورجعت إلى السيد/ عبدالقادر ابن عيدروس وهناك كان العشاء والسمر في أحاديث

متنوعة إلى هزيع من الليل وعدت إلى الفندق ولما كنت قد قررت السفر غداً إلى بندووسو فقد أوعزت إلى أحد الخدم بإيقاظي باكراً وآويت إلى سرير النوم.

إلى بندووسو أيضاً

وقبل حلول الساعة الخامسة (الحادية عشرة) صباحاً يوم الاثنين أيقظني الخادم قائلاً أن الوقت حان للتهيىء للسفر فاغتسلت وأديت الفريضة ثم دفعت له أجرة نزولي لليلتين وعلوت عربة إلى السوق وهناك التمست سيارة أسافر عليها إلى بندووسو وبعد لأي وجدت سيارة بيس ذاهبة (برووولينقو) فعلوتها.

ومن هناك تحولت ألي سيارة أخرى أوصلتني إلى بسوكي ثم انتقلت إلى أخرى اتجهت إلى بندووسو فبلغت إليها قبل الظهر في غير تعب ولا نصب والحمد لله، وقد لزمت المنزل إلى العشية ثم خرجت للتروح والاتصال بالأصدقاء في هذه البلدة وعدت وقد دنا الليل.

وقد أمضيت في بندووسو ثلاثة أيام قضيتها في هناء وسعادة محفوفاً من عربها الكرام بكل عناية واحترام وفي اثنا هذه الثلاثة الأيام تعددت مزاورتي الأصدقاء والأخوان. كما أني حظيت بدعوة من السادة آل الهدار سكان (بانيواغي) لوليمة زواج أحد إخوانهم وهو السيد/ حسن بن عبدالله في هذه البلدة.

زواج السيد الهدار

وفي يوم السبت ١٦شوال ١١جنواري أُتيح لي زيارة معرض المرهونات (أي التي غلق رهنها) فشاهدت بها بعض الأحجار النفيسة الالماسية وغيرها وابتعت خاتماً من الألماس وطفت في أنحاء السوق ثم عدت راجعاً إلى المنزل، والحي العربي في زجل بزينة الزواج وعلائم الفرح. وحينما حلت الساعة التاسعة (الثالثة ع) ليلاً ابتدأت أصوات الطبول والأغاني، فعند ذلك ارتديت لباسي وذهبت لحضور حفلة إعلان الزواج فرحب بي أولئك السادة حيث كانت رحبة الدار غاصة بالحاضرين وكانت الساحة مزدانة بالأنوار الساطعة المتضاعفة. حتى لكاد يخيل إلينا

أننا في أوان الظهيرة. وبعد استمرار المجلس والسمر قدم من سورابايا حضرات السادة المطرب الشهير شيخ البار يصحبه السادة/ عبدالرحمن وعبدالله آل الحداد. واستمرت الحفلة على دقات الطبول والأغاني على الشبابة على الأسلوب الحضرمي المعروف في الأعراس مع الزفين. وبعد أنتها هذا الدور اتجهت الأنظار إلى المطرب شيخ البار وزملائه وأحضرت بعض الآلات وشرعوا في دور جديد من السمر. وأخذت نشوة الطرب تدفع إلى ساحة الزفين أفراداً من السامرين حيث يأتون مثنى مثنى لأخذ حظهم من الزفين الحضرمي في طرب ونشوة متزايدين وعندما أحسست بالرغبة إلى النوم إذ أخذت موجات من النعاس تطفح على الدماغ انسللت إلى المنزل وألقيت بنفسي في غمرة من النوم الهنيء إلى الصباح.

وأتى يوم الأحد ١٧ شوال ١٢ جنواري وبي أثر حمى خفيفة. وأنضم إلى ذلك أن أصبحت السماء ملبدة بالغيوم هاطلة بمطر لم يكن شديد الانهمار ولكنه مستمر. فلهذا وذاك لم أستطع مبارحة المنزل بالرغم من رغبتي الشديدة في حضور حفلات الزواج كلها. اللهم إلا إلى منزل الحبيب/ محمد المحضار حيث قيل لي أن السيد/ علي بن سالم الحامد المقيم بمالاغ قد وصل مع أهله في تلك الساعة.

ومع ذلك فعندما حان وقت الزف أمكنني أن أتحامل للذهاب مع العريس في زفه المعتاد إلى منزل أهل العروس ثم اتجه الناس بعدأن تجمعوا في منزل السيد/عبدالله بن شيخ السقاف في موكب جميل له رجل بأصوات الدفوف والأناشيد تتخللها أصوات الصواريخ حتى بلغوا منزل العروس، وهناك انتظم مجلس سمر زاهر مطرب تشنفت فيه الآذان بالأغاني المشجية ورنات الآلات المختلفة حتى انتصف الليل عدت إلى المنزل وآويت إلى الفراش واستسلمت لسلطان الكرى.

مأدبة أنجال السيد علوي المحضار

وفي صباح الاثنين ١٨ شوال ١٣ جنواري قررت دعوة الوافدين من سورابايا وهم حضرات السادة/ عبدالرحمن وعبدالله آل الحداد وشيخ البار وأبو بكر المحضار فقدمت إليهم الدعوة فقبلوا. وبعد اجتماعي بهم عدت إلى المنزل. فجاءني السيد

الوقور/ حسن بن حفيظ قائلاً أن لديه الليلة مأدبة عشاء احتفالاً بالعريسين المشار إليهما وأنة دعا حضرات السادة القادمين من سورابايا الذين ذكرت أني دعوتهم الليلة. وأنهم اعتذروا بسبق دعوتي لهم ويتوقف الأمر على أذني. وتضرع إلي أن آذن لهم في الحضور عنده وأن أؤخر دعوتي وقال إن ذلك برغبتهم فلم استطع إلا تلبية طلبه والنزول على إرادته موافقة لرغبته الملحة، وقد وعدني هؤلاء السادة بالسمر عندي هذه الليلة وشهدنا المائدة وبعد خروجنا منها عاج هؤلاءالأصدقاء على منزلي ولم يتأخر منهم إلا السيد/ شيخ البار الذي اعتذر عن الحضور لعروض ما حمله على الذهاب إلى بلدة جمبر، وقد استمر السمر إلى الساعة الثانية عشرة (السادسة ع) نصف الليل ثم خرجوا.

أما يوم الثلاثاء ١٩ شوال ١٤ جنواري فقد كنا مدعوين لمأدبة أنجال السيد/ علوي المحضار الآنف الذكر للعروسين. وقد اشتغلت ضحى هذا اليوم ببعض الشئون الخاصة وعندما حان موعد الدعوة الغدائية اتجهت إلى منزل السيد/ علوي المذكور حيث وجدت المدعوين وقد بدأوا يفدون مثنى ووحدانا. وهناك أكدت لحضرات الأصدقاء القادمين من سورابايا دعوتي لهم لمأدبتي غداً فقبلوا واغتنمت الفرصة للعتب على السيد/ شيخ البار في تخلفه عن الموعد البارحة ولكنه توسل لي بأعذار إن لم تكن قوية فهي مما يقبله الكرام.

وعند ذاك قال لي السيد/ عبدالله الحداد وكان له منزل في هذه البلدة انهم سيجتمعون عنده الليلة للمجلس والعشاء وعرض علي أن أحضر وزاد في ترغيبي بان قال أن أخاه السيد/ عبدالرحمن سيقوم بطبخة بالشكشوكة التركية التي قال أنه يتقنها فوعدته بالحضور. وبعد رجوعي من مأدبة أنجال السيد/ علوي المحضار لزمت المنزل إلى الليل أي إلى موعد اجتماع الأصدقاء الأنفي الذكر في منزل السيد/ عبدالله الحداد فهناك ذهبت إليهم فوجدت عنده جماعة منهم السادة سالم السقاف وصالح المحضار وعبدالله بن جديد وكان اجتماع أنيس ثم قدمت المائدة والتففنا حولها حيث تناولنا ما شاء الله من الطعام الشهي ثم عدنا إلى الحديث والسمر ولم يطل ذلك بل عاد كل منا بعد هنيهة إلى منزله.

مأدبتي للقادمين من سورابايا

وما أتى ضحى يوم الأربعاء ٢٠ شوال ١٥ جنواري إلا وأنا متهيئ للقاء ضيوفي الأعزاء الذين دعوتهم هذا اليوم. وحل الموعد وأقبل الضيوف وهم السادة/ عبد الرحمن وعبد الله أبناء أحمد الحداد والسيد/ شيخ البار والسيد/ أبو بكر المحضار.

وبعد تناول الغداء شرعنا في مجلس غنائي مطرب تفنن فيه السيد/ البار في اللعب بأوتار القلوب. وتقلب في أنواع شتى من الأغاني الشجية التي لعبت بأعطاف السامعين لعب النسائم بالأغصان. وما زلنا في أنس وطرب برئي حتى دنا العصر. وهناك استأذن الضيوف وودعتهم بكل حفاوة وقد مكث هؤلاء السادة ببندووسو بعد ذلك ليلة الخميس إذ قرروا الرجوع إلى سورابايا.

ففي صباح يوم الخميس ٢١ شوال ١٦ جنواري مروا عليّ إلى المنزل حيث توجهوا بعد أخذ رسم لي معهم إلى بانيواغي. أما أنا فقد ذهبت مع السيد/ علي بن مصطفى المحضار إلى السيد/ عبد الله بن جديد الحبشي لتهنئته بمولود جديد. وطفنا حول بعض المحلات التجارية وعاد كلانا إلى منزله.

وعند عودنا قال لي الأخ/ علي بن مصطفى بأنه عازم غداً على الذهاب إلى جزيرة (لمبوك) وأنه سيمر بجزيرة (بالي) أيضاً. فقلت له أن نفسي تنازعني السياحة إلى هاتين الجزيرتين وأني أترقب الفرص لذلك فقال لي أن هذه هي الفرصة وزاد في ترغيبي في صحبته بأنه على خبرة بهذه البلاد وأهلها فارتحت إلى ما قال وملت نفسي إلى مرافقته. ولم أعد إلى المنزل إلا وقد عقدت العزم على السفر غداً مرافقاً ولزميله السيد/ أحمد بن حسن الهادي الحبشي فواعدته على ذلك. وفي عشية هذا أعلنت للأحباء وسائر الأصدقاء أني متوجه غداً إلى (بالي) كما شرعت في إعداد ما أحتاج إليه لهذه السياحة.

بالي ولمبوك

بالي ولمبوك جزيرتان صغيرتان من الهند الهولاندية وموقعهما شرقي جاوه،

فتقع بالي شرقيها مباشرة لا يفصلها إلا مضيق بالي الصغير الذي تبلغ مسافة أضيق موضع منه نحو الميل. وتقع لمبوك شرقي بالي مفصولة عنها ببوغاز لمبوك.

وتتكون من هذين الجزيرتين مقاطعة واحدة يحكمها حاكم واحد وعاصمتها (سفاراجا) ببالي، أما مجموع سكانهما فهو مليون وثمانمائة ألف وألفان ومائة وست وأربعون نسمة.

وفي هاتين الجزيرتين يزرع الأرز بقدر زائد على حاجة السكان ولذلك يصدر الجزء الزائد إلى الخارج على أن عناية الباليين بهذه الزراعة أتم وأتقن، ومما أشتهر به هذان الجزيرتان معاً تربية المواشي فيها فلها أهمية كبيرة.

وببالي ولمبوك قمم شامخة منها في بالي جبل أقوغ وجبل تبانن وفي لمبوك رنجاني. وسنذكر الجزيرتين بالتفصيل.

أسبوع في بالي ولمبوك

ابتداء الرحلة

قلت فيما سبق أنني عقدت أمس العزم على السياحة إلى جزيرتي "بالي" و"لمبوك" المجاورتين لجزيرة جاوه. فما طلعت شمس يوم الجمعة ٢٢ شوال ١٣٥٤هـ ١٧ جنواري سنة ١٩٣٦م إلاّ وأنا على أهبة تامة بحيث لم يبقى لي إلا انتظار الزميلين المشار إليهما وهما السيد/ علي بن مصطفى المحضار والسيد/ أحمد بن حسن الهادي الحبشي، وعندما دعيت خففت للخروج مسرعاً حاملاً حقيبتي إلى حيث ألقيتها من ظهر السيارة الذاهبة إلى (سيتوبوندو) واتجهنا معاً، أما الزميل الأول فكان غرضه من الرحلة مزدوجاً للتجارة وللنزهة. وأما الثاني وهو الحبشي فقد كان مقيماً في (جمبرانه) في بالي فهو عائد إلى محل إقامته.

غادرنا بندووسو ضحى متجهين صوب سيتوبوندو وباطوعان كما يقول العرب فكان أول بلدة اجتزنا بها بلدة (اوناساري) المجاورة. ثم ذهبت بنا السيارة تنهب المسافة نهباً حتى بلغنا (سيتوبوندو) بعد أن قطعنا إليها ٣٦ كيلو متراً فوصلنا إليها

نحو الساعة الثانية عشرة (السادسة ع) نصف النهار. وهناك أقمنا في انتظار سيارة البيس الذاهبة إلى بانيواغي رأساً ولسوء الحظ تأخرت هذه السيارة جداً عن موعدها ولم تأتي إلا الساعة الحادية (السابعة ع) ودقائق وسرعان ما خففنا إليها ناقلين إليها الحقائب. فأخذنا مقاعدنا ثم جرت بنا بأذن الله الساعة الحادية وعشرين دقيقة وبعد قطع ٢٦ كيلو متراً مررنا على قرية (اسم باقوس) ولم نقف بل اجتزناها مسرعين فقطعنا ١٢ كيلو متراً آخر ومررنا على قرية (سمبربارو) (أي النبع الجديد). وبعدها دخلنا في غابات غامرة قالوا أنها كانت ولا تزال موطناً للوحوش المفترسة وكانت كثيراً ما توجد بها الأسود، هكذا قال بعض الزملاء قال ولكنها الآن قلّت. ومع ذلك فقد كان طريقنا فيها ١٤ كيلو متراً أو فوقها قليلاً.

وأذكر أني حينما كنا نقطع هذه المسافات أحسست باضطراب في جري السيارة وأنها لا تجري في الطريق باستقامة ورأيت على الركاب أثر ارتباك فحين سألت قالوا لي أنها (فعلت السيلب) أي أنها زلقت ولم تبق تحت تصرف الدفة قلت هذا نذير خطر، قيل ولما ؟ قلت : وأي خطر أكبر من أن تكون في سيارة تجري بإرادة نفسها إن صح التعبير لا بتصريف السائق ونحن في طريق فيه هوات وصخور وأشجار ضخمة والسيارة لا عقل لها ولا تمييز. فلجأنا إلى الدعاء والذكر حتى عادت سيرتها الأولى فحمدنا الله وتكرر هذا مرتين.

ثم وصلنا إلى حي صغير قالوا أن اسمه " بانيوماتي " فظننت أن معناه ماء الموت فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله. لا نزال تحت اثر ورطة السيارة ونقف في حي ماء الموت ظاناً أن هذا ترجمته كما ذكرت ففهمت من بعض الزملاء أن معناه ليس هذا وإنما هو الماء الميت.فقلت هذا أهون. وجرينا باسم الله حيث لم يبق أمامنا إلا مدينة " بانيواغي " فبلغنا إليها الساعة الرابعة (العاشرة ع) والربع حيث نزلنا ضيوفاً مكرمين على السادة الكرام آل الهدار منزل النقيب السيد/ أحمد بن عبد الله الهدار نقيب العرب في تلك البلدة.

بانيواغي

وبانيواغي بلدة على الطرف الشرقي من جاوه على خليج بالي في أقصى نقطة من جاوه تصلها بأهم بمدن جاوه سكة حديدية كما تربطها بسائر البلدان طرق معبدة متعددة.

وهي مركز خط التلغراف ويصدّر منها الموز إلى استراليا ولها منطقة يبلغ عدد سكانها ٤٧٠٩٠٩ نسمة وكانت هذه الزيارة هي أول زيارة لي إلى هذه البلدة.

وصلنا إلى بانيواغي كما ذكرت نزلنا على نقيب العرب بها السيد/ أحمد بن عبد الله الهدار العلوي. فأكرم مثوانا وابتهج بنا. وبعد تناول العشاء حضر للسمر معنا بعض العرب المقيمين بهذه البلدة واستمر السمر إلى هزيع من الليل ثم تهيأنا للنوم ونمنا بهناء.

من جاوه إلى بالي

وفي صباح السبت ١٨ جنواري تهيأنا لاستئناف السير والإبحار إلى جزيرة بالي. وأبى كرم النقيب/ أحمد الهدار إلا التشريف بتشييعنا إلى الشاطئ. وهناك وقفنا برهة متمتعين بمنظر البحر حيث تلوح أمامنا جزيرة بالي الجميلة الخصيبة.

وعندما حلّت الساعة الثامنة (الثانية ع) إلا عشر دقائق ودعنا مشيعينا الكرام وامتطينا الزورق البخاري أو بعبارة أصح الباخرة الصغيرة لقطع الخليج آمين جزيرة بالي. فكانت تلك نزهة بحرية جميلة متعنا النفس فيها باستنشاق هواء البحر والنظر إلى جمالة وجمال ما يكتنفه من الجانبين من شواطئ جزيرتي جاوه وبالي البديعتين. حتى وصلنا ساحل بالي في موضع يسمى (جاندي قسومة) وذلك الساعة الثامنة (الثانية ع) والنصف وخمس دقائق. حيث وضعنا أقدامنا على ثرى تلك الجزيرة البديعة التي خلعت عليها الطبيعة برداً من الجمال موشىً طالما استفز أفئدة الأدباء وطار بخيال الشعراء.

جزيرة بالي

ذكرنا فيما سبق أن بالي ولمبوك جزيرتان شرقي جاوه تتكون منهما مقاطعة واحدة عاصمتها (سفاراجا) في بالي.

أما بالي فهي أكبر الجزيرتين ويبلغ أقصى طول لها مائه ميل أما العرض فخمسون ميلاً ومساحتها ألفا ميل مربع وهي جبلية بها سبعة براكين وبعضها لا يزال ثائراً ومن مرتفعاتها جبل اقوغ "Agoeng" الذي يبلغ ارتفاعه ٣١٤٢ متراً ويليه جبل تبانن "Tabanan" ويبلغ ارتفاعه ٢٢٧٦ متراً.

وقد امتازت هذه الجزيرة بما خصها الله من حسن الطقس وجمال المناظر مع جودة هوائها وكثرة مباهجها وعادياتها فوق ما أعطيت من خصوبة التربة ووفرة المياه، ويمتاز ساحلها الجنوبي بخصوبة أكثر.

ولذلك زارها الجوابون والرحالون من شتى الجهات ومختلف الأجناس فكتب عنها الكتاب ونظم فيها الشعراء ومنهم شاعر الهند (طاغور) الذي زارها سنة ١٩٣٠ م. ومن ميزات هذه الجزيرة أن فيها تعيش النمور الضارية.

وهي في ثروتها النباتية والحيوانية كجاوه تقريباً على أن للمواشي هنا أهمية أكبر جداً مما هناك. فمنها يصدر قدر كبير من الأبقار والخنازير والجاموس الأبيض. وبها من الفواكه الأناناس والمانقوستين والقشدة والموز وغير ذلك. كما تزرع على جبالها الخضروات الغربية كالبطاطس واللفت والفجل والبصل والخس وغيرها.

وللباليين عناية زائدة ومهارة فائقة في إنشاء مزارع الأرز على نمط أحسن وأجدى نفعاً.

وسكانها وحدها مليون ومائة ألف وألف وتسع وعشرون نسمة الوطنيون منهم ١٠٩١٦٥٤ وهم باليون بوذيون. فقد تغلب عليها الهنود منذ ١٢٠٠ عام وانتشرت ديانتهم بها ولهم معابد كثيرة مزوقة وهي مع تزويقها مكشوفة لا سقف لها.

والباليون عراة الظهور والصدور ولا يلبسون غير الإزر ولا سيما النساء فهن يأنفن من ستر أجسامهن حرصاً على التقاليد التي يبالغ الباليون في التعصب على إتباعها بالرغم من قربهم من جاوه. فهم ما زالوا على حالة القرون الوسطى حيث لم تؤثر عليهم المدنية الحديثة بشيء ولا مر ما كانت الحكومة تنشط فيهم هذه الرّجعيّة.

ومن عجائبهم أن مهنة البيع والشراء مع تدبير المنزل محالة إلى النساء أما الرجال فعليهم فلاحة الأرض وزراعتها. وفي الباليين صناع مهرة في نقش الأخشاب وصياغة الذهب والفضة. وهم مولعون بلعب الميسر ومن الصعب على الأجنبي في هذه الجزيرة تملك شيء من الأراضي لأنها كلها مملوكة للأهالي فكل شبر من الأرض متوارث في العائلة الواحدة من أجيال قديمة.

ولا يوجد بهذه الجزيرة سكك حديدية ولكن بها شبكة من طرق السيارات المعبدة، ويقل بها الفنادق على أن للحكومة جملة استراحات للسائحين بنتها في المدن والأماكن التي يرتادها السواح للفرجة.

بلغنا إلى شاطئ جزيرة (بالي) الجميلة،ومكثنا هناك في انتظار سيارة البيس حتى جاءت وحلت الساعة التاسعة (الثالثة ع) فعلونا السيارة متجهين إلى (جمبرانة) قاطعين نحوها ٣٣ كيلو متراً فوصلنا إليها الساعة العاشرة (الرابعة ع) والربع وهنالك نزلنا في منزل زميلنا السيد/ أحمد الحبشي فتناولنا القهوة وبالرغم من شدة رغبة الحاضرين من إخواننا العرب في تلك البلد في إقامتنا لديهم هذا اليوم وبذلهم كل جهد. فقد استطعنا التملص بشتى الأعذار.

وفي الساعة الحادية عشرة (الخامسة ع) وخمس دقائق غادرنا جمبرانة متجهين صوب مدينة (دن فاسر Den Pasar) أو" بادوم" كما يسميها العرب.جرت بنا السيارة في طريق معبد جميل تكتنفه من الجانبين مناظر بديعة، فكانت طريقنا معرضاً للطبيعي المتجلي على الجبال والوهاد في تلك الجزيرة البديعة فإن مما يدهش له الناظر في هذه الجزيرة هو جمالها الطبيعي الممتاز في جبالها وأوديتها مضافاً إلى جمال حقول الأرز الرائعة المنظر بألوانها المتألقة تحت أشعة الشمس

الوهاجة فكنا نرى الحقول على الروابي والتلال كالشباك المنصوبة شاهدة لسكان هذه الجزيرة بإتقان طرق زراعة الأرز بميزة خاصة.

ومما يثير الدهشة بوجه أخص ما يراه الناظر من الأجسام العارية التي لا يوجد فيها المكسو إلا نادراً. ولا سيما النساء اللاتي يأنفن تعصباً للتقاليد من أن يسترن صدورهن المثمرة فأن مما يبعث على الدهشة والخجل لذي الحشمة أن يرى ثمار الصدور مبذولة للأنظار المتفرجة تعرض شمالاً ويميناً. على أن جلها من التي يقول في مثلها الشاعر الحضرمي:

تعبت جاذبية الأرض فيها وأنيطت بها نجوم السماء.

وقد تساءل بعض الركب ماذا يكون الحال لو كان عمر بن أبي ربيعة رأى هذا المنظر وقال لا شك ستنهال علية المعاني الشعرية من كل جانب ولا نضم إلى ديوانه الموجود ديوان آخر، كما لو كان حاضراً لشرق بمعانية وارتج عليه وقال :

تفرقت الضباء على خداش فما يدري خداش ما يصيد

وقد مضى الطريق ونحن في بهجة و انشراح حتى بلغنا (دن فاسر) بعد أن قطعنا إليها مائة وأربعة كيلو مترات.

بلغنا إلى (دن فاسر) الساعة الثالثة عصراً (التاسعة ع) فنزلنا ضيوفاً على الشيخ/ أحمد الجعيدي أحد التجار الحضرميين بهذه البلدة فلاقانا هذا الرجل بترحيب زائد وبعد استراحتنا و إبدالنا بعض الملابس خرجنا للطواف والتروح في تلك المدينة التي تعتبر أحدث مدن بالي.

العارية المترجمة

ومما أثار دهشتنا وإعجابنا معاً أن رأينا فتاة من أولئك العاريات أمام مخزن لبعض البضائع البالية. وهي تتكلم مع فتاة غربية باللغة الإنجليزية كمترجمه بينها وبين الوطني صاحب المخزن وحينما أبديت عجبي من ذلك قال بعض الرفقاء لا تعجب فإن بعض الوطنيين قد يرسلون بناتهم إلى بعض المدارس بجاوه ليتعلمن

فيعدن إلى بلادهن هذه وهن بثقافة لا بأس بها لكنهن لا يكدن يضعن أقدامهن على ثرى هذه الجزيرة إلا ويلقين لباس الحشمة المعتاد ويعدن لحالة العرى كاندادهن كما ترى وبذلك لا يستطيع الناظر التفريق برأي العين بين المتعلمة والجاهلة.

ومن الفكاهة أن جاء إليّ في حين تطوافي في هذه البلدة فتى فحين رآني حاملاً آلة التصوير اسر إلي قائلاً يمكنك أن تصور آنسة بدفع ريال جاوي (الريال الجاوي يساوي روبيتين ونصف) فقط. فقلت له هذا يمكنني من غير دفع ريال فقال أعني أنه يمكنك أن تصورها عارية. فقلت له وهذا أيضاً في مقدوري. وما أكثر العاريات في هذه البلدة فقال : لا. إنما أعني أن تصورها عارية كيوم ولدتها أمها وتأخذ لها رسوماً على هيئات مختلفة كما هي عادة بعض السواح. فقلت له أنا لا آخذ إلا مثل هذه المناظر – وأريته بعض الرسوم الطبيعية –. قال وما الفائدة في هذه ؟ قلت هذا عندي هو الجمال. فهز رأسه وقال: هذا عقلك.

وعندما عدت إلى منزل مضيفنا أخبرته بأننا لا نطيل الإقامة لأننا على عزم السفر إلى جزيرة(لمبوك) في الباخرة العاجلة التي ستبحر من ميناء (بليلين) في الليلة المقبلة. فلهذا يجب أن نفكر في تطوافنا في هذه الجزيرة غداً من الآن. فقال بعض الحاضرين إذا كنتم تريدون التفرج على أهم نواحي بالي غداً فيجب أن تستأجروا لذلك سيارة من الليل فقلت هذا حسن. فبعد تناول العشاء والسمر استأجرنا إحدى السيارات لرحلة غداً ورتبنا البرنامج.

إلى بحيرة فدوقول

قلت أننا استأجرنا سيارة من الليل لنزهة يوم الأحد إلى بحيرة (فدوقول) وغيرها فما أتى صباح هذا اليوم الموافق ٢٤ شوال ١٩ جنواري إلا ونحن متشوقون لهذه الرحلة التي نثق بأنها ستكون جميلة. ولكن السيارة تأخرت ولم تأت إلا الساعة الثامنة (الثانية ع) والنصف فعلوتها أنا وزميلي السيد/ علي بن مصطفى لنمضي في نزهتنا مبتدأين بزيارة بحيرة (فدوقول) العجيبة، فأخذنا سبيلنا إليها ماضين في طريق معبد يخترق مزارع وأودية موشحة بالجمال وكان الجو صاحياً والطقس جميلاً

مساعداً على إجتلاء محاسن تلك الجزيرة البديعة وكان السرور والابتهاج مالئاً جوانحنا لكثرة المباهج حوالينا وطيب الهواء الصحي المدغدغ بالنسيم العليل.

مضينا في ذلك الطريق وكلما أرخى السائق لسيارته العنان أشرت عليه بأن يغضّ منه قليلاً حرصاً على مزيد من التمتع بتلك المباهج المنعشة. حتى بلغنا قريباً من البحيرة بدأت السيارة تعلو في طريق مختلس على جبال سندسية الألوان حتى بلغنا أمام البحيرة المقصودة بعد أن قطعنا ٥٢ كيلو متراً أشار علينا السائق بالنزول قائلاً هاهي هذه البحيرة.

كانت تلك البحيرة واسعة ومستديرة الشكل مرتفعة جداً عن سطح البحر ومساحتها تقارب الميل تحيط بها سلسلة من الجبال المجللة بالأشجار والأعشاب لذلك كان منظرها بهيجاً ورائعاً ويطل عليها فندق جميل مؤلف من ثلاثة منازل حديثه الطراز تربط بينهما شبه سقيفة يصل بينها وبين البحيرة سلالم ودرج.

وعندما نزلنا عن ظهر السيارة وترجلنا مشياً نحو الهوتيل ثم استقبلنا البحيرة وكان منظرها بديعاً باعثاً في نفوسنا روح السرور والابتهاج.

ياحسنها تحت شعاع الضحى تملأ بالسحر فؤاد الأديب
تخالها المرآة مجلوّة لها من النبت إطار ذهيب

ولم نجد هناك -عدا الخدم – إلا ثلاث فتيات غربيات يستحممن بجانب السلم قال لنا الخادم إنهن زوجات لثلاثة كانوا مقيمين هنا للنزهة وانهم في الغابات للتصيد. ثم اخترنا الطواف على ظهر الماء في البحيرة، فنزلنا إلى أحد الزوارق الصغيرة للتجديف والطواف فيها وعند ذلك أخذ لنا الخادم رسما فوتوغرافياً. وبعد برهة عدنا. وجلسنا في برندة الفندق مطلين على البحيرة وما يحيط بها من المجالي البهيجة. حيث تناولت أنا وزميلي فنجاني قهوة ولا ول مرة دفعنا ثمن فنجانين من القهوة ربية جاوية وبعد ساعة استروحت فيه الروح نسيم اللذة والانشراح نهضنا لاستئناف السير لنعود إدراجنا إلى (دن قاسر). فعلونا السيارة وانحدرت بنا عن ذلك المنتزه في

الطريق نفسه إلا أن السير كان على ريث وأناة أكثر مما قبل. كما توقفنا أحياناً لأخذ بعض المناظر البديعة. وماحلت الساعة الثانية عشرة (السادسة ع) إلا ونحن في مدينة (دن قاسر) أمام منزل الشيخ/ أحمد الجعيدي.

عدنا إلى منزل الشيخ/ أحمد الجعيدي فتناولنا طعام الغداء ثم خرجنا لزيارة بعض العرب هناك في طليعتهم.

السيد/ عبدالله بن عمر بن عبدالرحمن العيدروس أحد أهالي حوطة الحزم بحضرموت.وهو رجل صالح ملازم المنزل غالباً وله ولد عرفته من حضرموت اسمه السيد/ مصطفى طلب العلم بمدينة سيئون وقد لاقانا السيد/ عبدالله وأبنه بأجمل الترحيب والاحترام كما دعانا هذا السيد إلى منزله الليلة للمجلس والعشاء إلا أننا اعتذرنا له بأننا مصممون على السفر هذه الليلة.

ثم زرنا السيد/ حسين بن محمد مولى خيلة بصحبة صهره السيد: عيدروس الحبشي الآتي ذكره مكثنا عنده برهة ثم جاءنا من يذكرنا بأن قد أزفت ساعة السفر إلى (كينتاماني) ثم (بليلين) أما الأولى فكانت متنزها يقصده المتفرجون والجوالون وأما الثانية ففي مينائها توجد الباخرة التي سنبحر عليها الليلة إلى جزيرة (لمبوك).

كينتاماني Kintamani

عدنا مسرعين فودعنا مضيفنا الشيخ/ أحمد الجعيدي ثم امتطينا السيارة أنا وزميلي ورافقنا بها أيضاً عربيان آخران أحدهما السيد/ عيدروس بن عبدالرحمن الحبشي وهو شاب عرفته من حضرموت حيث كان مقيماً بشبام وهو الآن يقيم في هذه البلدة (أعني دن قاسر) وكان رجلاً ذكياً إلا أنه أصيب بعد بالصمم وقصده السفر معنا إلى (لمبوك)، أما الثاني فهو الشيخ/ عوض الجعيدي أحد رجال قبيلة الجعده الحضارم – ومنهم مضيفنا السابق الذكر –. وعوض هذاأحد الذين يتعاطون التجارة في هذه البلاد وهو يريد معنا الذهاب إلى مدينة (بليلين) فقط.

ومضت بنا السيارة في طريقنا إلى (كينتاماني) وفي طريقنا إليها زرنا بلدة

(جيأنجر) Giangar وكانت هذه عاصمة البالي قديماً وتبتعد عن (دن قاسر) بسبعة وعشرين كيلومترا فنزلنا بها ريثما شاهدنا بعض المعابد البوذية الوطنية، ثم استأنفنا السير صوب (كينتاماني) ولم نذهب بعيداً حتى بدأت السيارة تصعد بنا إليها وكان المطر منهمراً شديداً.ثم أوغلت السيارة صاعدة في ذلك الارتفاع حتى دخلنا في أثناء السحاب وذهبنا صاعدين حتى مرقنا منه إلى حيث لا غيم ولا مطر ولكن برد قارص شديد. وتجاوزنا القرية نحو الاوتيل المتربع على صهوة ذلك الجبل الأخضر.ومن هناك أطللنا على جبل البركان العظيم.إذ يشاهد أسود كالفحمه والدخان متصاعد منه إلى حيث يختلط بالسحب.

ومن العجيب أن هذا الجبل الناري (كما يقول الجاويون) الأسود تحيط به جبال خضر زمردية معجبة و إلى جانبه بحيرة جميلة وسبحان الجامع بين الأضداد وهنالك تمكنا من أخذ بعض المناظر. وكان وصولنا إلى الفندق العلوي بعد الساعة الرابعة (العاشرة ع)، ويبتعد هذا الموضع عن (دن قاسر) باثنين وخمسين كيلومتر. فعند ذلك ترجلنا للطواف حول هذا الفندق وللتمتع بالهواء الجميل والمجالي البديعة الرائعة الماثلة حولنا على الروابي والوهاد.

وقد راق لنا أن نمكث برهة اغتناما لهذه المتعة والبهجة ولكن أحد الزملاء وهو السيد/ عيدروس الحبشي لم يكن من الصحة وقوة البنية بالمكانة التي تجعله مطيقاً لمثل هذا البرد القارص فجعل يرتعد وتصطك أسنانه من شدّة البرد،وقال أن مكثتم نصف ساعة فما أظن إلا أن تزهق روحي من شدة هذا البرد. فأشفقنا أن أبطأنا أن تتحول حالته إلى مأساة فضحينا بإرادتنا مراعاةً له وعلونا السيارة منحدرين نحو (بليليغ).

وقد كانت حالنا عند النزول عن هذه البقعة كحالنا عند الصعود إليها فنزلنا إلى السحاب ثم إلى المطر الذي فاتنا بسببه كثير من التمتع بما يعرض حولنا من الجمال الطبيعي في طريقنا وقطعنا إلى بليليغ أثنين وخمسين كيلومتر بلغنا إليها وقد بقي جزء من وقت العصر.

بليليغ Beleleng

وبليليغ مدينة ساحلية تقع على الشاطئ الشمالي من جزيرة بـالي،وتعتـبر أهـم مواني بالي على الإطلاق كما أنها الميناء الخـاص لمدينـة (سـيغاراجا) عاصمـة المقاطعة (بالي ولمبوك) ومنها يصدر الأرز والمواشي التي أهمها البقر والخنـازير والجاموس الأبيض.

وحرصنا – حين بلغنا إليها – على أن نصلي فريضة العصر فـي دار بعـض العرب المقيمين بهذه البلدة ولسوء الحظ لم يمكنا ذلك إذ كان أحـد الذيـن قصدنـاهم مريضاً والآخر لم يكن موجوداً في منزله إذ ذاك وهناك آخرون لقيناهم فلـم تسـمح لهم نفوسهم بالترحيب بنا ولعل عذرهم كونهم لم يعرفونا شخصياً. فقصدنـا المسـجد الجامع فصلينا ثم أخذنا طريقنا إلى الميناء حيث علونا أحد الزوارق إلى الباخرة التـي كانت تنتظرنا وودعنا زميلنا الجعيدي.

وعند ذلك ودعنا جزيرة بالي البديعة تلك الجزيرة التي خصها الباري بقسم وافـر من الخصب والرخاء والجمال الطبيعي،مؤملين أن يتيح الله لنا معاودة زيـارة هـذه الجزيرة في فرصة أوسع وأيام أسعد أن شاء الله تعالى،وعلونا ظهر الباخرة المتجهـة إلى جزيرة لمبوك بعد ساعات.

وبينما كنا جلوساً على ظهر الباخرة إذا بضجة بلهجة عربية فتبيناها فإذا السـيد/ عمر بن زين بن سميط يعتب علينا ويوبخنا بملء صوته لأننا لم نزره وكـان مقيمـا ببليليغ قائلاً .

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكمُ عليَّ إذاً حرام

جاء إلينا داعيا لنا في العودة إلى بليليغ وقال الطلي (الجدي) مربوط لضيـافتكم. فقلنا له: أما العودة فقد أردت شططا (وقلنا على سبيل المزاح) وأما الطلي فيمكنـك أن تدخره إلى عودنا من لمبوك وإذا لم يمكنا النزول إلى هذا الميناء عند العود فيمكنـك إرساله إلى (بندووسو) بجاوا وسنقيم به هناك مأدبة باسمك، وجلس معنا ساعة نفـس

علينا فيها بخفه روحه ثم استأذن وشكرناه وعاد.

السيد/عمر بن زين ابن سميط ووالده

والسيد/ عمر بن زين هذا أحد السادة آل سميط العلويين الحضارم. كهل خفيف الروح جدا حاضر الجواب.

عرفته من حضرموت إذ كان يجئ إلى والدي. ومع كونه مليح الفكاهة فهو كثيرا ماكان يذكر بعض أخبار والده زين بن سميط وهي تدل حقا على ذكى السيد \ زين وسلامه صدره أو بعبارة أخرى جذبه الذين صار بها محبوبا جداً لدى أهل بلدة شبام. وهم لذلك كثيرا ما يتحرشون به شغفا بجوابه المسكت السريع.

فاتفق أن انقطع المطر ووقع جدب بشبام وغيرها فخرج السيد \ زين بن سميط هذا مستسقيا مع بعض أصحابه. فعند عوده لقيه أحد أذكياء الشباميين فصاح بالسيد \ زين قائلاً (بالعامية) (تريض يا حبيب زين لا تطحس) أي تأنّ في مشيك كي لا تزلق يعني من المطر – قالها كالمستهزئ ولينظر ما الجواب – فأجابه قائلاً : سألنا الله أن يمطركم يا أهل شبام ولكن أبى الله ذلك مادمتم على ما انتم عليه من المعاصي والمنكرات.

تمر السحاب على قريةٍ بماء مهين من المعصرات

تريد النزول فلا تستطيع لما جل فيها من المنكرات

ومن حكاياته التي يرويها ابنه : أنه سافر مرة إلى عدن وكان من عادته أن لا يخالط إلا بني وطنه الشباميين الذين يأنس بهم ويأنسون بمنادرته وأتفق أنه خرج يوماً فرأى شبامياً يعرفه يتضارب مع يهودي، فاستغاث به الشبامي فأغاثه في الحال. ولكن ما نشبت المعركة بين السيد/ زين واليهودي حتى أنسحب الشبامي وتركهما،وأتى البوليس فقبض على السيد/ زين وألقى في السجن حتى يأتي من يضمن عليه،فلبث مترقباً الفرج واثقاً بأن مواطنيه أهل شبام لن يتركوه ولكن خاب الظن واضطر السيد إلى سؤال الحارس عن اعظم شخصيه من ذوى النفوذ في هذه

المدينة فقيل له انه الوجيه/ صالح جعفر،فحين سئل هل تعرف أحداً قال نعم أعرف صالح جعفر وطلب منهم أن يخبروه لكي يضمن عليه،فابلغوا هذا الوجيه خبره وكان لا يعرفه فما عتم حتى جاء إليه وضمن عليه وأنقذه ثم ذهب به إلى منزله حيث أدى إليه كل إكرام وإحسان فصار السيد/ زين بعد تلك المحنة التي تورط فيها في نعمة واغتباط زائدين في كنف هذا الرجل الكريم وخرج السيد/ زين بعد غيبة أيام عند هذا الوجيه،فرآه بعض أهل شبام فدعاه للاجتماع ببعض إخوانه الشباميين، فما رآهم حتى انفجر عليهم توبيخاً وتقريعاً على خذلانه وعدم إبدائهم أية مساعدة في إنقاذه من ورطته التي وقع فيها بسبب أحدهم.

فعند ذلك اعتذروا إليه وطلبوا منه الجلوس معهم فرفض قائلاً بأنه لا يرضى عن صديقه الكريم/ صالح جعفر بديلاً فقالوا له لو تدرى حاله لما جالسته ساعة، قال: ولم؟ أ لم يكن مسلماً ؟ قالوا :مسلم،ولكنه رافضي يبغض الصحابة، فهاله الأمر وقال: إذا أبغض الصحابة،فمن يحب ؟ قالوا : لا يحب إلا النبي وعلياً وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم عليهم السلام،ويبالغ في محبتهم. فقال: إذا هو يحب أهلنا. قالوا: وإذا سب الشيخين أبا بكر وعمر وأمرك بذلك فماذا تصنع؟ فقال: أمر هذا سهل، إذا سب الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، فسأسب الشيخين أبا بكر وعمر الشيخ أبا بكر.......... والشيخ عمر بن......... منكم يا أهل شبام،كلما سبّ شيخيه سببت شيخّي أنا. فضحكوا وتركوه.

عودة إلى الرحلة إلى لمبوك

وبعد أن مضى الهزيع الأول من الليل جرت الباخرة بنا من ميناء (بليليغ) آمة بنا ميناء (امفنان) من جزيرة لمبوك أما نحن فبعد أن ودعنا السيد/عمر بن زين السالف الذكر وتناولنا ما تيسر من الطعام وقد تهيأت الباخرة للإبحار أوى كلٌ منا إلى فراشه ونمنا بهناء،وما بسطت الشمس سلطانها على الآفاق إلا وقد مثلت أمامنا مدينة (امفنان) من جزيرة (لمبوك) وعند ذلك هونت الباخرة من سيرها وجرت رويداً إلى حيث اختارت أن تلقي مراسيها من ذلك المرفأ.

وعند ما حلت الساعة الثامنة (الثانية ع) صباحاً كنا على ظهر أحد الزوارق قاصدين الرصيف الذي لا يبتعد عن مرسى الباخرة بكثير، وما هي إلا دقائق حتى ألقينا أقدامنا على أرض لمبوك. فاختار لنا الأخ الفاضل/ علي بن مصطفى المحضار أن ننزل على الشيخ/ عبد الكبير باقيس أحد العرب المقيمين بهذه البلدة، وحين وصلنا إلى منزله ألفيناه غائباً إذ كان سافر في بعض أشغاله إلى سورابايا (جاوه) على أننا وجدنا من رحب بنا في منزل هذا الشيخ من أبنائهم.

جزيرة لمبوك

تقع لمبوك شرقي بالي مفصولة عنها ببوغاز يسمى بوغاز لمبوك، وهي أصغر من جزيرة بالي. يبلغ عدد سكانها سبعمائة ألف وألف ومائة وسبع عشرة نسمة أما سكانها الأصليون فهم الساسك وهم يدينون بالإسلام والقسم الغربي منها يسكنه الباليون الوثنيون النازحون إلى هذه الجزيرة في الأصل من جزيرة بالي المجاورة، ولتغلب الإسلام على أهل هذه الجزيرة يقل بها عراة الأجسام عكس جارتها بالي وهي تشبه في صادراتها شقيقتها بالي لا سيما في الأرز والأبقار والخنازير، وفيها مرتفعات وأطولها جبل رنجاني Rindjani الذي هو أطول جبل في جزائر الهند الهولندية يبلغ ارتفاعه ٣٧٧٥ متراً، ولا يزيد عليه في الارتفاع إلا جبل كينينبالو Kininbaloe في برنيو التابعة لبريطانيا فهذا يبلغ ٤١٧٥متراً.

وبها منتزهات عديدة فمنها المنتزه الأثرى (آير ماده) وماجورة وسرناري وسويله وغير ذلك.

وليس بها سكك حديدية إلا أنها كشقيقتها بالي تربط بين أجزائها طرق معبدة على أحسن ما تكون طرق السيارات. وفنادقها أقل مما في بالي لقلة وصول السواح إليها على أن فيها من المناظر ما لا يقل بهجةً وجمالاً عما في جارتها بالي.

وفيها جالية من الأجانب وهم هولنديون إلا النادر وعددهم ١٤٦ أما الأسيويون غير الصينيين فعددهم ٩٨٧ وأكثرهم من العرب الحضارم. واشتهرت هذه الجزيرة عند الحضارم (ببالي أمقنان) نسبة لامفنان إحدى مدنها وفيها مدن أخرى مهمة منها

متارم ولابوان حاجي وسيليوغ وغيرها.

وفي سبيل الاستيلاء على هذه الجزيرة قد بذلت الحكومة الهولانديه ثمنا غاليا حيث قاوم الباليون فيها مقاومة كبيره وأراقوا على ثراها سيلا من دماء الهولاندين الغزاة ولهؤلاء الضحايا الهولاندين مقبرة خاصة في امفنان تشهد ببسالة سكان هذه الجزيرة وأنفتهم على ضعفهم وقلة آلتهم مع هولاندا الدولة الأوربية القوية بالنسبة إليهم.

ومع كون أكثرية أهلها كانوا من جنس الساسك المسلمين وهم السكان الأصليون كما قلنا فهناك مذهب غريب لقوم من الساسك المنتسبين إلى الإسلام يسمى مذهب (وقت تيكا) أي الأوقات الثلاثة، وهذا المذهب الزائغ يقتضي عدم وجوب الصلوات الخمس على المسلم في اليوم والليلة وإنما يوجب عليه الصلاة لأسباب أو أوقات ثلاثة وهي الجنازة والجمعة والعيد، وهذا معنى قولهم (وقت تيكا) والخمر عندهم مباحة ومع ذلك فلهم مساجد شاهدت إحداها فرأيت فيه جرةً قيل لي إنها مملوءة بالجعة المتخذة من عصير النارجيل يتناول منها من أراد من أصحاب هذا المذهب عند الحاجة ولا يمنعون الكلاب من دخول مساجدهم بل يتركونها تجوس خلالها داخلةً خارجه،هذا عدا أن لهم في مذهبهم غرائب أخرى.

ويظهر أن سكان هذه الجزيرة سريعو التأثر بكل دعاوه أي انهم يميلون إلى كل ناعق، فقد قيل لي ان حاجا دجالا دعاء الناس إلى مذهب له خاص وزعم نزول الوحي عليه وانه موصل إلى الله بأقرب سبيل. وانه ليس على المرء إلا طهارة الضمير والتحكيم له، ويدعي أن له كرامات عظيمة وله أساليب في الدجل والتلبيس على الناس. فكثيرا ما كان يغمغم بكلام غير مفهوم ويزعم انه لا يفهم هذا الكلام إلا من صار واصلا من مريديه وله عجوز يطنطن معها بهذا الهذيان فتجيبه عليه بمثله ويزعم إنها من الذين بلغوا رتبة فهم هذه الألغاز السماوية والإشارات اللدنية بزعمه. وقد أردت مقابلة هذا الإنسان والاجتماع به. ولكن قيل لي انه صار الآن لا يريد مقابلة أحد من العرب لأنهم لا يجيئون إليه للاستمداد ولكن للانتقاد. والحمد لله الذي كفانا شر مقابلة هذا الزائغ النصاب.

عود إلى الرحلة

كان أول ما فكرت فيه عند بلوغي هذه الجزيرة ترتيب برنامج سياحتي بها وبعد ما ألقيت عصا السير في منزل الشيخ/ عبدالكبير باقيس (بامفنان) قلت لزميلي السيد/علي بن مصطفى وكان قد عرف عرب هذه البلدة تمام المعرفة إذ تكررت زيارته لها مرارا إنني أريد استئجار سياره لسياحتنا من الآن حتى لا تذهب علينا الساعات سدى من دون فائدة. فقال انه سيوعز إلى بعض أصدقائه بتحصيل سياره في اقرب وقت ممكن.

وعند ذلك اقبل بعض عرب هذه البلدة للترحيب بنا وفي مقدمتهم بعض آل باقيس ومنهم الشيخ/ حسن أخو رب المنزل فقال لنا هذا الشيخ أن لديه سياره سيتركها تحت تصرفنا كما انه سيتطوع بسوقها بنفسه فشكرناه مقدما على ذلك وقررنا هذا اليوم زيارة جبل (كينتا باتو).

عندما حلت الساعة الثانية عشره كنا على ظهر السيارة متجهين نحو (كينتا باتو) واتفقنا على المرور أولا على السيد/ جعفر بن محمد مولى خيله الساكن في ضاحية هذه البلدة لنأخذه معنا لهذه النزهة.

السيد جعفر مولى خيله

والسيد/ جعفر بن محمد مولى خيله أحد أفراد السادة آل خيله العلويين الساكنين بقرية الفجير بضواحي سيؤن بحضرموت عرفته وأنا في عهد الصبا قبل رحلته إلى هذه الجزائر وقد نزح إلى هذه البلاد منذ اكثر من خمسه عشر عاما، وهو رجل ذكي طيب القلب خفيف الظل وهو حين اجتماعي الأخير به في أواخر سن الشباب.كان مساعداً لبعض الأطباء فأخذ عنه دروساً طبية عملية حتى آل الأمر إلى أن صار يشارك في الأعمال الجراحية.

ثم أنفصل وجعل له عيادة خاصة.فسُعي عليه عند الحكومة حتى دعي بتهمة أنه ليس أهلاً للطب والمعالجة.ولكنه بعد اختبار وأخذٍ وردٍ أجازت له الحكومة العلاج

وفتح العيادة كسائر الأطباء،وهو يجعل المنة في ذلك للطبيب الهولاندي الذي شهد له في المحكمة ولذلك كان العرب يدعونه بالطبيب العربي.

إلا أن إطلاع هذا السيد على دقائق أسرار العدوى وخفايا المكروبات بسبب الممارسة أثر على عقيدته،وجعله يأخذ لنفسه حذرا فوق اللازم بلغ إلى حد الوسوسة حتى لقد كان يخصص لنفسه طعاماً وشراباً ولا يتناول ذلك إلا في آنية خاصة يتولى تطهيرها بنفسه، ولا يتناول الطعام إلا وبجانبه من يذب عن الطعام بمذبَّه. خوفاً بزعمه من المكروبات الطائرة شاهدت هذا منه بنفسي.

كينتاباتو

خرجنا من أمفنان حتى بلغنا أمام منزل السيد/ جعفر مولى خيلة فنزلنا إليه وبعد التعارف أفهمناه أننا نريد أن يصحبنا في هذه النزهة فطاوع على ذلك بسرور ومضينا صوب (كينتاباتو) في طريق يخترق بقاعاً خصها الباري بما خصها من الخصب والرخاء والمناظر الطبيعية البديعة حتى وصلنا إلى (كينتاباتو) فقصدنا منزل الطبيب الجاوي فوجدناه غائباً ساعتئذ، وكان المنزل جميلاً واقعاً على ظهر تل مطل على شعب خصيب غرست به شتى أنواع الفواكه،ولأول مرة في هذه الجهات رأينا شجر التفاح المعدوم تقريباً من هذه المناطق.

وينساب بهذا الشعب مياه متدفقة من جنب الجبل المشرف عليه ويوزع في سواق بواسطة أنابيب (البامبو)، ويرفع هذا الماء إلى أعلى هذه الهضبة بواسطة آلة حديثة،وأمام منزل الجاوي الجميل بركة بديعة حولها جوسق مرتفع عن الأرض بأعمدة قصيرة. فأوينا إلى هذا الجوسق حيث أحلنا بعض الرفقة على تهيئة ما اعددنا من الطعام، ونزلنا للاستحمام في هذه البركة الجميلة وبعد التروض بالسباحة والطفر إلى تلك البركة آوينا إلى ذلك الجوسق لتناول الطعام وقد صوّتت عصافير البطون من الجوع وعند ذلك قدم الطعام الذي كان أكثره من اللحم والبيض. فهجمنا عليه بنهمة شديدة تفوق التصور وكانت وجبة شهية.

وبعد ذلك دعانا بعض أعوان الجاوي الطبيب إلى منزله حيث أعد أهله لنا مائدة

من الفطائر والكعك والحلاويات الجاوية وقدم الشاي والقهوة.

ثم خرجنا الساعة الرابعة والربع (العاشرة ع) – قاصدين منابع (آيرمادة).

آيرمادة

وآيرمادة هذا موضع جميل،ومنتزه بهيج يحتوي على مجموعة من البرك والمنابع المائية، يبتعد عن مدينة (أمفنان) بخمسة عشر كيلومتر. وهو من العاديات القديمة لا سيما البركة السفلى المطلة على الوادي،وهي بركة عظيمة مشجرة مستطيلة الشكل،ولم تكن على شكل هندسي بل كانت أقرب لأشكال الغدر الطبيعية إذ كان جانب منها أوسع من الآخر، وقد شاهدت الماء ينحدر إليها من مجاري متعددة منها ما كان على صورة الفيل وكان الماء يزخر من فيه ومنها ما هو في هيئة غير ذلك، والى جانب هذه البركة هضبة أشبه بأن تكون صناعية،و إلى جانبها حائط صغير يحتوي على عدد من الميازيب الحجرية متفاوتة في كبرها وقطرها يسيل منها الماء بقوة واندفاع شديد، و إلى أسفل منها ساقية تندفع بشدة متناهية من ثغرة واسعة حتى لا يكاد يقر أمام اندفاعها الرجل إلا متماسكاً ويمتاز ماؤها ببرودة زائدة، وأعلى من هذا بركة استحمام يظهر أنها حديثة البناء والصنعة إذ كانت على الطراز العصري،و إلى جانبها حوض تصب فيه أنبوبة ماء أو ميزاب مبني عليها حائط شاهدناه ملآنا بالأزهار، قيل لنا أن ذلك الباليين يقدسون هذا الماء، وأعلى من هذا وذلك بركة غير عميقة تنبعث من وسطها نافورة جميلة تقذف بالماء إلى علو أكثر من المترين.

وفوق هذا كله إلى الشمال يطل أوتيل حسن وسط في صناعته وأثاثه ومن الجانب الأيمن يشرف المعبد البوذي الضخم وهو في هندسة بنائه كسائر المعابد البالية، ولكنه كان ضخماً وواسعاً كأوسع ما تكون المعابد ويتخلل هذا كله عدد من الأشجار المثمرة وغير المثمرة منظمة بأجمل تنسيق وأبدعه.

وصلنا إلى هذا المنتزه العجيب فارتعنا لحسن منظرة ومنظر المجالي المحيطة به وأخذنا نتطوف على البرك والميازيب وانشرحت أرواحنا جداً لهذا المرآى البهيج، الذي أنفقت الطبيعة والصناعة عليه بسخاء زائد لا سيما في مياهه المتدفقة في جميع

نواحيه، مع اختلافها برودة وفتورا، وزاد من حسن هذا الموضع موقعــه الطبيعــي المتناهي في الحسن على شط ذلك الوادي الخصيب.

مكثنا ساعة في هذا المتنزه متعنّا فيها الأرواح والنواظر بذلك الجمال الطبيعــي الرائع إلى جانب الحسن الصناعي البديع وملأنا صدورنا باسترواح النســيم العليــل المعطر بأعراف الأزاهير وريا الأعشاب ولم نزل كذلك حتى مــالت الشــمس إلــى ناحية الغرب، وصبغت تلك المباهج بلون الأصيل الذهبي اللماع وما هي إلا دقــائق معدودة حتى أخذت ظلال الأشجار تستطيل طولاً صار لا نهائياً، ثم سقطت الشــمس في الغرب فعند ذلك علونا سيارتنا آيبين إلى مدينة (امفنــان) حيــث صلينــا هنــاك المغرب ثم أسرعنا لتلبية الدعوة لمأدبة الشيخ/ حسين باقيس فقدمــت المــائدة،وبعــد تناول العشاء سمرنا إلى هزيع من الليل ثم عدنا الحادية عشرة ونمنا بهناء.

وجاء يوم الثلاثاء ٢٦ شوال ٢١ جنواري فمكثنا إلى وقت الضحى، ثــم أجمعنــا الذهاب إلى السيد/ جعفر مولى خيلة لنأخذه معنا إلى متنزه (آيرمادة) فذهبت يصحبنــي الزميلان/ علي بن مصطفى وعيدروس الحبشي قاصدين منزل مولى خيلة المذكور فــي ضاحية البلدة فوجدناه في محل عيادته ثم تحولنا إلى منزله فحضــر عنــده الســيدان/ علوي بن محسن مولى خيلة واحمد بن جديد الحبشي،ولم نلبث طويــلاً بــل خرجنــا يصحبنا السيد/ جعفر إلى (آيرمادة) الموضع الذي صار الخروج إليه كل يوم عادة لنــا للاغتسال والنزهة فتنزهنا هنالك كما أخذنا بعض المناظر بالآلة الفوتوغرافيــة وطفنــا على البرك ثم دخلت إلى الحائط الذي تصب به ميازيب العيون المائية فاغتســلت ثــم تحولت فيه إلى الساقية أو الميزاب الكبير المندفع ماؤه بشدة زائدة مــن فوهــة واســعة ولعل ذلك لكونه منحدراً من موضع مرتفع بعيد – وكان ماؤه بارداً كــالثلج تقريبــاً – وقفت أمام هذه الثغرة متماسكاً بشدة ضغط الماء وأحسست بلذة ونشــاط زائديــن بعــد ذلك.

وحين أحسست بان الجوع قد أخذ منا مأخذاً. وزاد في صقل شهية الطعام ذلــك الهواء الصحي الجميل والاستحمام بالماء البارد المندفع بشدة تكهرب الدم. آوينا إلــى مطعم صغير وطلبنا من صاحبه أن يقدم لنا شواء وبيضا وشيئا من الأرز. فــأحضر

عددا جما من القضبان التي انتظمت فيها قطع اللحم المسمى عند أهالي تلك الجهات (ساتيه) بعد أن أعطاها كفايتها من عرضها على النار ثم قدم سائر طلبنا على المائدة. وأقبلنا على الطعام بنهمة تفوق التصور وتناولنا وجبة أظنها من ألذ وأشهى ما تناولت في تاريخ حياتي. ثم عدنا إلى المنتزه وقد اشترينا قدرا صالحا من فاكهة (الدوريان والمانقيس) وجلسنا تحت إحدى الدوحات العظيمة ولم ننشب أن أتينا على الفاكهة. وإنما اخترنا هاتين الفاكهتين دون سواهما لأن فاكهة الدوريان شديدة الحرارة والمانقيس كان بارد الطبع فكانت هذه تكسر من حرارة ذلك،ثم عدنا إلى الاغتسال في البركة العلوية الحديثة الطراز. ولم نزل في بهجة وانشراح إلى الساعة الثالثة (التاسعة ع) عصرا فعند ذلك قفلنا راجعين إلى البلدة. وتعجبنا حين رأينا الرايات منكسة في بعض أنحاء البلدة ثم قيل لنا أن ملك الانقليز جورج الخامس توفي في هذا اليوم.

وبعد العصر ذهبنا إلى الشيخ/عبد الله بن صالح بن هرهره اليافعي وأقمنا عنده أكثر من ساعة كما أطلعنا على مكتبته.

عبد الله بن صالح ابن هرهره

والشيخ/عبد الله بن صالح بن هرهره هذا هو أحد شيوخ يافع سكان حضرموت رجل ذكي حسن الأخلاق وكان شيخا ضرير البصر ولكنه لم ينفك مع ذلك عن استعمال النظارة وأدهشني انه مع فقد بصره – الأمر الذي لا يحب الاعتراف به– عندما أطلعنا على مكتبته اللطيفة كان يحضر لنا مانريد من الكتب بنفسه فيسل مانريد منها من خزانته من بين سائرها وهذا يدل على قوة حاسة الذاكرة عنده.وقد مضى زمن له في المهاجر فأقام سنين عديدة بمدينة سورابايا بجاوه ثم تحول إلى (امفنان) في هذه الجزيرة.

وخرجنا من عند هذا الشيخ وقد دنا العشاء قاصدين منزل السيد/ جعفر مولى خيله الطبيب العربي لمأدبته العشائية جئنا إليه وقابلنا بترحيب متزايد ثم تناولنا الطعام على مائدته الكريمة. وبعد السمر عدنا أدراجنا إلى البلدة منزل باقيس حيث

آوينا إلى المضاجع.

المشايخ آل باقيس ومدرستهم

كنت قد قررت من الليل ان ازور مدرسة الاتحاد الإسلامي بهذه البلدة لمؤسسيها المشايخ آل باقيس. ففي صباح الأربعاء ٢٧ شوال ٢٢ جنوارى خرجت يصحبني الزميل الفاضل/ علي بن مصطفى إلى هذه المدرسة. فوجدت التلاميذ مجتمعين صفوفا وهناك اخذ لهم رسم فوتوغرافي أمام المدرسة حيث قاموا بنشيدهم المدرسي ثم قام أفراد منهم بخطب ومن بينهم بنت عربية قامت بخطبه كانت أطول ماقيل. وكانت المدرسة غير مخصصه بذكور ولا إناث بل كانت للنوعين. ثم بعد ذلك طفت على الأقسام واختبرت بعض التلاميذ والتلميذات معجبا باهتمام المشائخ آل باقيس بالتعليم وبذلهم جهودا لابأس بها في سبيل تثقيف الناشئة.

والمشائخ آل باقيس أناس من سكان وادي دوعن طيبون في أخلاقهم وسرائرهم لهم عقيدة في آل البيت عموما وفي الإمام/ احمد بن محمد المحضار العلوي المتوفي سنة١٣٠٤هـ لثمان خلت من شهر ظفر الخير بوجه أخص وقد حضرنا عندهم سماع حضرة هذا الإمام. ولا أكتم ان هؤلاء المشائخ قد أدوا لنا منتهى التكريم والإجلال مدة إقامتنا بهذه الجزيرة الأمر الذي يستحقون به منا خالص الشكر والثناء.

ماجوره

بعد خروجنا من المدرسة عدنا وكنا قد صممنا على زيارة متنزه (الماجوره) فعند ذلك علونا- السيارة أعني سيارة الشيخ/ حسن باقيس التي جعلها كما قلت تحت تصرفنا -فخرجنا من (امفنان) في طريق معبد تحيط به المزارع والحقول ووصلنا إلى بركة (الماجوره) المقصودة بعد أن قطعنا إليها سبعة كيلو مترات فعند ذلك ترجلنا وهناك وجدنا السيدين/ جعفر مولى خيله وعيدروس الحبشي في انتظارنا.

كان هذا المنتزه مؤلفا من بركة عظيمة مربعة الشكل إلا أنها مستطيلة يبلغ طولها نحو مائتي متر إذ كان عرضها لا يزيد على خمسين مترا. فهي لكبرها

وسعتها عبارة عن بحيرة مهندسة. وقد نصبت على طرفها تماثيل باليّة الفن يسيل الماء من أفواهها وفي وسطها بيت عجيب خشبي السقف والأعمدة يصله بشطها جسر خشبي. وكانت البركة على جانب الطريق لا يفصلها عنه إلا حائط من القضبان الحديدية،أما جانبها الأخر فإليه بستان جميل جمع أصنافا من الأشجار المثمرة البهيجة منسقه على أحسن نظام.

فبعد أن نزلنا أمام هذا المنتزه مشينا في طريق عن يمين البركة يذهب بنا إلى داخل البستان البهيج. فطفنا في ذلك الروض الاريض. ثم ملنا حيال البركة. حتى وقفنا قرب التماثيل التي تجري الماء من أفواهها وأخذنا رسما فوتوغرافيا لهذه البركة ووقفنا نتأمل هذا المنظر المنعش.

وما أبدعه منظرا أخذاً بمجامع القلوب منظر تلك البركة وقد انعكست عليها أشعة الشمس وظلال الأدواح المتبرجة بحللها السندسية وأي مرأى أبهج للنفس من مرأى الماء وهو يجري منصبا إلى تلك البركة بل تلك البحيرة الهندسية المتباعدة الاكناف. يزينها ذلك المنزل الذي يرى كأنه طاف على ظهرها تحف به بعض التماثيل والى جانبها ذلك الروض المريع الزاهر.

ثم عدنا إلى الروض الأريض لنأخذ سبيلنا إلى المنزل-المتربع على صدر البركة. فمشينا خطوات على الجسر الصغير حتى بلغنا إلى المنزل. وقيل لنا أنه قد تتخذه الحكومة محكمة قضائية يوما في الأسبوع- وأظنهم قالوا يوم الثلاثاء.

وعندما بلغنا إليه رأينا على جانبيه تمثالين منصوبين- يمثل أحدهما السيد/ ابن عبد الرحيم والثاني يمثل الشيخ/ بامطرف وكانا في الماضي من وزراء ملك هذه الجزيرة السابق وقت غزو الهولانديين إياها. ثم أخذنا مقاعدنا من كراسي هذا البناء الشاعري الجميل وتجرأنا بل وأوغلنا في الجرأة فأرسلنا من أحضر لنا طعاما وفاكهة والتهمناها على طاولة هذه المحكمة التي لا تصلح إلا أن تكون منعزلا لشاعر يستوحي من سمائها ما أدهش وراع من معاني الجمال والجلال السامية. ويطير بخياله الواسع إلى أفاق واسعة من معاني السحر وأخيلة الجمال.

لينسار وقوم وقت تيكا

ثم خرجنا من ماجوره فعلونا سيارتنا قاصدين (لينسار) وهو ماء ينصب إلى غدير مهندس مربع الشكل. وحوله معبد يظهر انه بوذي زعموا انه قوم (وقت تيكا) كانوا يتعهدونه فعندما وصلنا هذا الموضع قصدنا البركة فإذا هي بركة واسعة ينصب إليها الماء من فم تمثال تمساح عظيم وهي تشبه بركه (آيـر مـاده) السفلى ولكنها مربعة الشكل. ويبدو عليها أن الحكومة أهملتها وتركت العناية بها إذ بدا الخراب في بناء حائطها الحجري. وصلنا إلى المعبد وهو معبد بسيط لا يشبه المعابد البالية بحال وإنما هو عبارة عن جوسق خشبي منصوبا في صدره صنم صغير. وجدنا أمامه عجوزا جاثية تهمهم ملوحة بيديها فهمنا أنها راهبة هذا المعبد. والى جانبه مباشرة غدير ماء طبيعي في أثنائه صخور عظيمة يغمرها الماء قيل لنا أن هذا الماء مقدس وأن به أسماكا تقبع في غضون الأحجار وفي ثقوب بجوانبه قالوا وهذه الأسماك لا تصاد وإنما هي محترمة مقدسة عند هؤلاء القوم. وأشير علينا بأنه إذا أردنا ظهورها فما علينا إلا أن نلقي شيئا من بيض الدجاج الناضج فقذفنا شيئا منه فعند ذلك انهالت عليه الأسماك من شتى النواحي لالتهامه بسرعةٍ زائدة.

وبجانب هذا المعبد جوسق أصغر كالمضلة يرتفع عن الأرض بنحو متر فجلست عليه. وجاءت فتاه جلست بجانب العجوز وأوعزت إليها العجوز بإحضار ماء في كوب كان بجانبها وأحضرت وعاء فيه أزهار وشيء من الحشائش الزكية الرائحة فوضع إلى جانب الصنم.

واقبل قوم يزفون ويرقصون في طبل وزمرٍ وعزف بشتى الآلات وأمامهم ثلاث فتيات مزينات بالأزهار ولما بلغوا إلى المعبد اسكتوا آلاتهم ووقفوا من زفهم ورقصهم. وجثوا حول هذه العجوز الدردبيس ومكثوا كذلك برهة أما العجوز فلبثت تهمهم للصنم ثم أخذت الماء والزهر وأمرت من طاف به على هؤلاء ليأخذوا حظهم من هذا الزهر الطيب. وليتناولوا من الماء المقدس عندهم ما يدلكون به أيديهم ووجوههم للتبرك بزعمهم. ثم نهضوا وحملوا آلاتهم وعادوا لزينتهم وزفهم وأمامهم

فتاتان من أولئك الثلاث يرقصان قد جمّلتا بالأزهار كما قلت وجعل لهما منه عصائب ووشح أما الثالثة فاعتزلت الرقص خجلا منا ودلالا بحسنها الذي امتازت به عن صاحبتيها فطافوا حول هذا المعبد ثم خرجوا. أما نحن فبعد ذلك انصرفنا إلى بعض الادواح القريبة لنجلس في ظلها الظليل ونستريح بتجاذب أطراف الحديث عما رأينا وشاهدنا. وابتعنا قدرا كبيرا من فاكهة (الدوريان) و (المانقيس) وكان رخيصا جدا فتناولنا منهما ما أشبعنا وادخرنا الباقي وارتحنا برهة في هذا الموضع.

التمساح الأهلي

وبعد الاستراحة في ذلك الموضع الخصيب قمنا لنستأنف السير إلى حي يقال له (نيور ليمبار) لرؤية التمساح الأهلي وكان هذا الموضع قريبا من لينسار. فحين دنونا منه ترجلنا. ومن العجيب إن من عادة أهل هذه البلاد أن يجعلوا لكل بقره ناقوسا خشبيا معلقا بعنقها ويطلقون البقر للرعي فكنا نرى قطعان الأبقار عن قرب وبعد ونسمع لهذه النواقيس الخشبية قرعا كقرع الطبول على أعناق هذه البقر. وصلنا إلى ذلك الحي الصغير فجسنا خلال بيوته الخشبية الصغيرة حتى بلغنا إلى موضع هذا التمساح وهو في زريبة عليها شبك من الحديد. وعندما شاهدناه لوحنا له من خلال الشبك شئ من الخبز فدنا إلينا والتهمه وظهر لنا أن هذا التمساح كبير السن جدا. والغريب أن هذا التمساح قد مضى له اكثر من ثلاثين عاما وهو انس بالأنس مكتفيا بالحياة البرية لا يعرف الماء إلا لشرابه. وأغرب من هذا أنه يخرج كل يوم للتمرغ حول زريبته ثم يعود إليها. آنسا بأهله وأبنائهم الذين يتعهدون بالطعام كل يوم.

سرنادي

خرجنا من حي (نيورليمبار) واتجهنا نحو (سرنادي) وهو موضع به منبع على جبل اخضر تحيط به مناظر بديعة جدا يبتعد عن (امفنان) بخمس وعشرين كيلومتر. وعندما بلغنا سفح هذا الجبل نزلنا عن السيارة وصعدنا مشيا على الأقدام حتى بلغنا إلى المنبع. وكان في بقعه مستوية مجللة بالحشيش رأينا في وسط هذا الحشيش حفره مربعة غير عميقة تشبه البركة تماما لا يزيد عمقها على الذراع والنصف. وفي

إحدى جهاتها الأربع شقت من الوسط ساقيه في مثل عمق هــذه البركــة إن صــح التعبير يجري منها الماء إلى مسيله إلى اسفل.

شاهدت هذه الحفرة والماء ينبع منها فرايتها كقدر الأرز حين يشــتد غليانــه إذ كان الماء يفور من جميع نواحيها دافعا الرمل إلى فوق فكان منظره عجيبا ومدهشــا جدا. وقد انكببت عليه لأتوضأ منه فإذا هو في بــرودة الثلــج. فتبــارك الله احســن الخالقين. ولم نطل الإقامة هنا بل عدنا أدراجنا وذهبنا (ايرماده) وهناك اغتسلنا فــي مائه الصحي العجيب، ثم ركبنا للعودة إلى البلدة.

الشيخ المعمر

ذكر لنا في هذه الجزيرة معمران مسلمان أما أحدهما فقد فاتت الفرصة للقائــه إذ توفي منذ نحو أربع اشهر فقط، وهذا في ما قالوا بلغ سنه مائه وستين عاما وبلغ عـدد ذريته اكثر من مئتين ولهم حي كامل لا يسكنه أحد غيرهم وفي أيديهم جميع الحــرف الضرورية حيث لا يحتاجون إلى غيرهم. وقد مررت على هذا الحي ورأيــت فيــه بعض الشيوخ فقيل لي أن من أحفاده من بلغ حد الشيخوخة أما أولاد صلبه فلم يبقــى منهم أحد.

أما المعمر الثاني فهو لا يزال حيا يقيم في بلدة متارم وعمره مائه وثلاثون عامـا فحرصت على ان لا تفوتني فرصة الاجتماع به ففي طريقنا هذا اليوم إلى (امفنــان) اخترت ان نعرج عليه انتهازا للفرصة وبلدة متارم هذه تبتعد عن امفنان بــأكثر مــن أربع كيلومترات فعرجنا إليها رغبة في زيارة هذا الشيخ البــالغ مــن العمــر مائــه وثلاثين سنه ففتشنا عن منزله حتى وقفنا عليه فاستأذنا في زيارته فقيل لنا انــه الآن محموم ومع ذلك فلم يمانعوا في الدخول عليه. فدخلنا إليه فوجدنــاه مضطجعــا فــي غرفته فسلمنا فرد السلام. ثم أفهمناه بأننا جئنا لزيارته (والتفاهم بيننا بواسطة اللغــة الملايويه) ثم إني سألته عن اصله فقال انه ملايو من أهالي مدينة (ملاكه) وانــه قــد تدير سنغافوره مده أيضا وحين سألته عما قيل من سنه أشار بصدق ما قيل. وقال انه يذكر عهده بسورابايا–وهو في ذلك الحين يكون قد قارب سن الكــبر–قــال وكــانت

الزوارق ترسوا بجانب عمفيل وأخبرته أنني سأسافر فقال إلى أين؟ فقلت إلى سنغافوره وطلبت منه الدعاء فقال متى ستسافر؟ فقلت من الممكن أن يكون سفري الليلة فرفع يديه بالدعاء لي بالسلامة والعافية خاتما ذلك بكلمة إنشاء الله تعالى. وطلب منّا أحد ذويه أن يرفعه-موافقة لرغبتنا-لأخذ صورته فرضي ووافق على ذلك. وعدنا إلى امفنان بعد هذه الرحلة الشائقة الممتعة التي رأيت فيها شتى الأعاجيب وألوان الجمال في هذا اليوم السعيد المبارك ولله الحمد.

مدرسة دار العلوم بامفنان

وجاء صباح الخميس ٢٨ شوال ٢٣ جنوارى. فزارني مبكرا السيد/ احمد العيدروس و عرض علي أن ازور المدرسة التي أسسها بمعاونة زميله السيد/ عبدالرحمن السقاف المسماة دار العلوم. و هذه هي المدرسة العربية الثانية في هذه المدينة و يديرها الأستاذ السيد/ عبدالرحمن بن سقاف السقاف و هو شاب عرفته من حضرموت حيث كنا طالبين في مدرسة النهضة العلمية بسيؤن وهو من مواليد جاوا و لكن والده أرسله مراهقا إلى حضرموت للتعليم. و عاد بعد ذلك إلى جاوا ثم رحل إلى مصر حيث درس في الأزهر الشريف أعواما و عاد إلى جزائر الهند الشرقية. و شارك في تأسيس هذه المدرسة الصغيرة. هو و زميله السيد/ احمد العيدروس شابان ناهضان حسنا الأخلاق دمثاها نشيطان كما يظهر من أعمالهما.

ذهبت إلى هذه المدرسة فوجدتها مدرسة لا تزال في دور التكوين و مع ذلك فيبدو أنها ستكون مباركة المستقبل. فقد اقبل عليها الأهالي إقبالا حسنا حتى كانت فيما رأينا غاصة بالتلاميذ. فطفت فيها و شكرت هذين الشابين على عملهما و نشاطهما في إنشاء هذه المدرسة و وعدتهما بالزيارة إلى منزليهما. وبعد خروجي من المدرسة عدت إلى منزل الشيخ/ عبد الكبير باقيس و كان المذكور قد عاد من رحلته إلى جاوه.

قروع وجسر لا بوان

وبعد تناول الغداء في منزل الشيخ/ عبدالكبير المذكور ذهبت معه يصحبنا السيد/ علي ابن مصطفى و عوض بن هلابي الجعيدي إلى قرية (قروع) التي تبتعد عن امفنان بثلاثة عشر كيلومتر ولم نقف بها طويلا فذهبنا لتونا في طريق زراعي معبد حتى بلغنا إلى جسر يقال له جسر (لابوان) وهو جسر عجيب إلا أنه قد وقع فيه ترميم وكان النهر الذي مد عليه عاليا إلى حد الفيضان في تلك الساعة.

بلغنا إليه والمطر يهطل رذاذا وزاد عجبنا حين رأينا أن نهرا آخر صغيرا يجري في بطن ذلك الجسر فهو كأنبوبة ضخمه لذلك النهر غير المرئي ليسقي أراضي يفصلها ذلك النهر الكبير المنصوب عليه ذلك الجسر. والى جانب هذا الجسر يقع منزل أحد الحجاج الوطنيين كانت له بالشيخ/ عبدالكبير صداقه، فنزلنا عنده نطل على النهر العظيم وعليه الجسر مشرفة عليه من الجانب الآخر هضبة سندسية تبهج الناظر. مكثنا ماشاء الله حيث تناولنا شراب القهوة في منزل الحاج اللطيف وطفنا حول النهر ثم استأذنا وقطعنا الجسر مشيا على الأقدام إلى حيث استقلت بنا السيارة عائدين إلى (امفنان) بعد هذه النزهه.

إلى سويله ولابوان حاجي

أما يوم الجمعة فقد قررنا ان نجعل سياحتنا فيه إلى (سويله) المتنزه الذي أطرى الواصفون لنا حسن منظره وموقعه الساحلي البهيج ويبتعد هذا الموضع عن (امفنان) بأكثر من سبعين كيلومتر. فما أتت الساعأ التاسعة (الثالثه ع) إلا ونحن على تمام الأهبة ثم امتطينا السيارة من (امفنان) فمررنا على السيد/ جعفر مولى خيله وأخذنا رسم داره ثم عرجنا على (ايرماده) وهناك اغتسلنا كما هي العادة يوميا ثم تناولنا ما تيسر من الطعام في بعض المطاعم القريبة وامتطينا السيارة آمين منتزه (سويله) وكان الطريق إلى هذا الموقع رغم بعد المسافة-معبدا حسنا تحيط به المزارع والأشجار حتى بلغنا إلى سويله فصعدنا إلى اوتيل المتنزه وهو على رابيه مشرفة على البحر المغروسة على شاطئه شتى أنواع الأشجار. فصدمنا أولا إذ وجدنا البركة

فارغة من الماء وزاد الطين بله أن وجدنا الفندق غاصا بالمتنزهين الصينيين إذ وافق هذا اليوم يوم عيدهم فضقنا ذرعا بالبقاء والحالة هذه علاوة على أن هناك أمرا آخر زاد في التنغيص علينا حينئذ لذلك فضلنا مغادرة هذا الموضع لزيارة (لابوان حاجي) وهي مدينة على الطرف الجنوبي لهذه الجزيرة تبتعد خمسة وخمسين كيلومترا عن (امفنان).

فتناولنا ماء الليمون المثلج في (سويله) واستأنفنا الرحلة صوب (لابوان حاجي) مارين بمدينة (سيلوغ) بلغنا إلى لابوان حاجي فلم يرقنا شئ بهذه البلدة بل كان يلوح عليها-فوق كونها من البلدان العتيقة-إنها غير جميلة من بادئ ذي بدء ولم ينشرح الخاطر برؤية هذه البلدة وقصدنا منزل السيد/ محمد بن حسن الحبشي. وهو علوي في سن الشيخوخة كان يقطن بسنغافوره ثم تحول عنها إلى هذه الجزيرة من عهد غير قليل فرحب بنا هذا السيد وقدم لنا شراب الشاي وبعض المربيات. واخترنا بعد ذلك أن نطوف حول الميناء فاستأذنا هذا السيد شاكرين له أخلاقه وخرجنا إلى الشاطئ فلم نرى شيئا يثير الإعجاب ويقتضي طول الوقوف ففضلنا أن نرجع أدراجنا إلى امفنان.

ركبنا السيارة وودعنا (لابوان حاجي) وداع غير الآسف ووعزنا إلى الشيخ/ حسن صاحب السيارة وسائقها إلى ان يطلق لسيارته العنان. فما ذهبنا بعيدا حتى لقينا صاحبنا السيد/ عيدروس الحبشي الذي فارقنا منذ أمس إلى هذه البلدة فحملناه معنا في السيارة فمررنا على بلدة سيلوغ ثانيا وبالقرب منها نفذ الزيت من السيارة فاضطررنا إلى مغادرتها مؤقتا. فوعزنا إلى الخادم أن يذهب بها إلى البلدة ليجهزها بما يكفي من زيت البترول. وبالصدفة كان وقوف السيارة بقرب أحد معامل الأرز فدخلنا إلى هذا المعمل. وهو معمل ضخم لصاحبه الحاج/ حسين البنجري وأخيه حسن. فوجدناهما مع العمال منهمكين في تركيب بعض الآلات فيه. وقوبلنا مقابلة فاترة جدا. ولكن السيارة لم تطل الغيبة بل جاءت سريعة جدا فعلوناها ولم نقف بعد ذلك إلا في قرية (كوفان) انتظارا لبعض الرفقاء وموافقة لرغبة زميلنا السيد/ علي بن مصطفى في الاجتماع بخاله المقيم بهذه القرية. فجاء الرفيق المنتظر ولقي الأخ علي خاله. وبعد ذلك استأنفنا

السير إلى (امفنان). فبلغنا إليها بعد ان حل المغرب فاسترحنا ثم ذهبنا لتلبية دعوة الشيخ/ حسن باقيس لمأدبته العشائية. وهناك تناولنا طعام العشاء وسمرنا إلى هزيع من الليل. ثم عدنا فألقينا بأنفسنا في أحضان الكرى إلى الصباح.

الأوبة إلى جاوا

أصبحت يوم السبت ونفسي تحدثني في ان انهي برنامجي لأنني قررت مبارحة هذه الجزيرة في الباخرة الراسية في الميناء.

التي ستبحر في هذه الليلة إلى بانبواغي ولكن هذا اليوم كان مطيرا مستمر الدجن والمطر فلم استطع مزايلة المنزل حتى ضحى النهار. فعند ذلك ذهبت إلى الرسام الفوتوغرافي لأخذ بعض الرسوم ولكنه قال أنها لم تجف. وكنت مدعوا لمأدبة غداء هذا اليوم عند الشيخ/ عبدالله بن صالح بن هرهره السابق الذكر. فذهبت إليه وهناك تناولت الغداء على مائدته وتحدثنا مليئا في شتى الشؤون ثم استأذنت لنفسي الخروج عاقدا النية على زيارة السيدين/ عبدالرحمن بن سقاف السقاف واحمد العيدروس فذهبت التمس منزليهما فلم أوفق آسفا لذلك فعدت إلى منزل الشيخ عبدالكبير وخرجت في العشية إلى الشاطئ فرأيت البحر هائجا جدا. ومع ذلك فلم تهن عزيمتي على السفر هذه الليلة فعدت أدراجي لأخذ حقيبتي ولم أتمكن إلا بعد المغرب وخرج معي بعض الذين أبا فضلهم إلا تشييعي إلى الرصيف من الأصدقاء.

بلغت إلى الشاطئ فإذا البحر هائج فوق ما رأيت آنفا وارتاع الذين معي حين رأوا الأمواج تثب كالأسوار العالية على رمال الشاطئ. وبذلوا كل جهد في تأخيري عن عزم السفر هذه الليلة والحالة هذه سيئة وكانت الباخرة غير قريبة من الشاطئ. فلم أبه بما قالوا. وحين أردت استئجار أحد الزوارق امتنع عن ذلك جميع أصحابها الموجودين معتذرين بان ذلك غير ممكن لان البحر في حالة غير اعتيادية والخطر في ما زعموا محقق. وعند ذلك عاد الأصدقاء إلى مراجعتهم لي بان أعود إلى البلدة ولكني رفضت. واقتضى الأمر إلى أن امكث إلى أن أتى وقت العشاء. وحينئذ اقبل زورق بخاري يقل وكيل شركة K.P.M. للبواخر عائدا من الباخرة فعند وصوله

رجوت منه الأذن في إيصالي بزورقه الخاص إلى الباخرة فوافق على ذلك وأحال الأمر على رضى الملاح وهذا اعتذر أولا بعطل في المحرك إلا انه داب في معالجته وما لبث أن أصلحه وهذا استغرق وقتا أيضا. وعند نزولي إلى ظهر الزورق لقيت عنتا شديدا وصعوبة زائدة لشدة تدافع الموج الذي صار به الرصيف ونحن عليه يهتز اهتزازا شديدا. وكان الزورق يعلو حينا حتى يرتفع علينا. ثم ينخفض إلى عمق اكثر من قدر القامتين. فكان الحال أن ألقيت بحقيبتي وما معي من متاع فيه. ثم تربصت حتى عاد إلى الارتفاع ودنا مني فرميت بنفسي فيه وانحدر كأنما ذهب بنا في حفرة بعيدة القعر. ثم ارتفع وقد صرنا على بضعة أمتار من الرصيف. فعند ذلك رفعت يدي مشيرا إلى الأصدقاء المشجعين ومنهم الزميل الفاضل/ علي بن مصطفى المحضار الذي بقي هناك قائلا وداعا إلى الملتقى. وبعد دقائق بلغت الباخرة بسلام فقصدت غرفتي حيث ألقيت بنفسي على السرير. ولم تتحرك الباخرة إلا وأنا غارق في نوم عميق.

انتهاء رحلتي إلى جزيرتي بالي ولمبوك

في صباح يوم الأحد اثنين ذي القعدة سبعة وعشرين يناير رفعت رأسي فإذا نحن أمام ميناء (بليلغ) في بالي وبعد أداء الفريضة برزت إلى السطح فضاق صدري بما رأيت من أكداس الخنازير في أقفاصها. وكانت قد شحنت من لمبوك. ولما كانت لم تأخذ الباخرة كفايتها من هناك فقد زادوها عبئا من هذه الحيوانات العفنة من ميناء بليلغ واقتضى ذلك وقوف الباخرة برهة وهنا لقيت صاحبنا ابن هلابي الجعيدي الذي كنا صحبناه في لمبوك.

ولم تبارح الباخرة ميناء بليلغ إلا الساعة التاسعة (الثالثة ع) وقد علا النهار وأحسست بدوار شديد غير مألوف ولعله لسبق صداع اظطرني لأخذ حبوب (باندوغ). وزاد هذا الدوار عندما قطعنا خليج بالي الفاصل بينها وبين جزيرة جاوا. ولقد لقيت بعض الشدة عند نزولي إلى (بانيواغي) من شدة اضطراب الأمواج. إلا انه كان اقل مما كان في ميناء بالي وبعد ذلك وصلنا شاطئ بانيواغي بسلام.

وهنا بعد غيبة أسبوع وزيادة ثبتنا أقدامنا في ثـــرى جـاوا الجميلـة. فـنزلت بانوياغي وحاولت جهدي أن اذهب توا إلى (بندووسو) ولكن لسوء الحظ وجدت نوبـة (البيس) قد انتهت وأعوزني وجود سيارة في الحين وكان ذلك الساعة الثالثة (التاسـعة ع) لذلك اضطررت للنزول مرة ثانية على السادة/ آل هدار حيث لقيت منهم تكريمـا وترحيبا لا ينقصان عما سبق وبقيت ضيفا لهم إلى الصباح.

وما أتى صباح الاثنين إلا وقد استطلت الليل وانتظرت الصبح للرحيـل بفـارغ الصبر. وجاءني في الصباح الأمير صالح بن محمد أحد رجـال الأسـرة الكثيريـة المالكة وحاج وطني آخر. وبعد تناول الفطور خرجت مبادرا لإدراك أول نوبة للبيس ولكني وللأسف لم أدركها. فاضطررت إلى انتظار النوبة الثانية. وهـذه لـم تـأت إلا الساعة العاشرة (الرابعة ع). فعند ذلك ودعت مضيفي الكـرام شـاكراً لـهم حسـن عواطفهم وكرم أخلاقهم وركبت سيارة البيس إلى (سيتوبوندو) وعند مـروري علـى (اسم باقوس) زاملنا عربي بقيت أتحدث معه إلى أن وصلت إلى (سيتوبوندو). وصلنـا إليها والمطر يهطل متتابعا. وتحولت إلى سيارة البيس الذاهبة إلى (بندووسـو) فبلغـت إليها الساعة الثانية (الثامنة ع) فنزلت إليها في رذاذ مستمر وألقيت عصا الرحلة.

وهنا ألقيت العصا من رحلة كنت قررت أن لا تزيد على أسبوع ولكن اقتضـت الأسباب أن تدوم اكثر من عشرة أيام قضيتها متنقلاً بين ربوع بالي ولمبـوك متقلبـاً بين منتزهاتها البهيجة ومناظرها الرائعة. لاقياً من متديريها من بني الضاد كل حفـاوة وإكرام لائقين بالخلق الحضرمي وزكاء الأرومة العربية الأمر الذي يسـتوجب لـهم خالص الشكر وعاطر الثناء واشكر بوجه أخص–أولئك الذين زادوا فقدموا إليَّ كـل مساعده لارتياد تلك المتنزهات وغيرها بسهوله بحيث اصبحوا لـي روادا للوقـوف على آيات الطبيعة والورود على منابع الجمال.

فقد وقفت والحمد لله بفضل مساعدتهم لرؤية ماقصصت من بدائع الفن والطبيعـة وغيره مما لم أقص. ذلك لأني لم أتوخ استقصاء شرح كل ما رأيـت وشـاهدت ولا كل ما سمعت ولابست إذ ذلك يحوج إلى تسويد كراريس عديدة بل لزمت كتابي فـي سائر هذه الرحلة توخي الاختصار والإيجاز في كل شيء حرصا على نشاط القـارئ

الكريم وحذرا أن لا تتسرب إلى نفسه روح السآمة والملل.

عود إلى أيامي بجاوه

وجاء يوم الثلاثاء فاخترت ملازمة المنزل بعد تلك الرحلة الشائقة حبا للهدوء والركود بعد تلك التنقلات والحركة استجماما للقوه وللاستراحة وإزالة ما يعلق عاده من وعثاء السفر.. ولم أغادر المنزل إلا لأخذ بعض الرسوم الفوتوغرافية ولزيارة السيد/ سالم بن احمد السقاف حيث أتيح لي الاجتماع ببعض الأصدقاء بعد نوى دامت اكثر من عشره أيام فجلست معهم برهة قصصت عليهم فيها ملخص رحلتي إجمالا ثم عدت إلى المنزل وبقيت به إلى الليل فنمت بهناء إلى الصباح.

وفي صباح الأربعاء جاءتني دعوه من فضيلة السيد/ عبدالله بن محمد المحضار لمناسبة زواج نجله النجيب/ احمد وكان قد تزوج منذ أيام في بلدة (جمبر) فأقام والده هذه المأدبة احتفالا بقدومه مع عروسه إلى بندووسو. وخرجت مع الأخ اللطيف/ محمد بن هدار للتمشي والطواف حول السوق والأماكن التجارية كما ابتعت بعض الحاجيات ثم عدت إلى المنزل. وعلمت عصرا بقدوم السيد الصالح/ أبى بكر بن محمد السقاف القادم إلى هذه البلدة من محل إقامته (قرسيك) لشهود حفلة قدوم العروسين عند السيد/ عبدالله المحضار.

السيد الصالح أبو بكر بن محمد السقاف

والسيد/ أبو بكر بن محمد السقاف هذا رجل صالح ذو قدم مرضي عند العموم وله مريدون (يقيم بقرسيء) ومجالس مرتبه في أيام الأسبوع يوزعها بين القرى المجاورة لسورابايا يحضرها جمع من بني الجالية العربية وتلوح على وجه هذا السيد سيما الصلاح والتقوى وللناس فيه حسن ظن وعقيدة تامة. أما مجالسه فتحتوي على قراءة بعض كتب التصوف والرقائق وكلام الأسلاف العلويين كما ينشد فيها بعض الحداة شيئا من أشعار الصوفية والمواعظ الشعرية.

وهو من مولودى جاوا على انه سبق له عهد بزيارة وطنه الأصلي حضرموت

من عهد قديم. ولهذا السيد تعلق بصفة خاصة بقراءة الإحياء للإمام الغزالي. واعتاد إن يختمه كل عام و يحتفل بختمه احتفالا عظيما ويصنع لذلك مأدبة يجتمع لها النلس من شتى الأنحاء القريبة و يدعى لها الأعيان من بعض الجهات ولو بعدت والغالب على هذا السيد الصمت في جميع مجالسه.

كان أول اجتماع لي بهذا السيد سنة ١٣٤٦هـ في قد متى الأولى إلى جاوا كما زرته إذ ذاك في منزله بقرسيك و سيأتي ذكر زيارته لي ببندووسو عند اعتزامي وداعها. و هو إلى الآن لم يزل في قيد الحياة متمتعا فيما نعلم بصحة جيدة حفظه الله تعالى.

شهدت جلسة هذا السيد عند السيد/ عبد الله المحضار فتليت صفحات من بعض الكتب الصوفية والرقائق كما سمعنا شيئا من كلام السلف العلويين الحضارمة و مكثت هناك حتى صلينا المغرب فعدت أدراجي إلى المنزل حيث لزمته إلى أن حل أوان الكرى ملت إلى المضجع.

مادبة السيد عبد الله المحضار

و جاء يوم الخميس ٦ ذي القعدة وهو ميعاد مأدبة السيد/ عبدالله المحضار التي أقامها احتفالا بقدوم ابنه العريس مع عروسه، من (جمبر) فلم أبارح المنزل بل بقيت لإتمام استجمامي واستراحتي ولم أتلبس إلا ببعض الأشغال الكتابية.ولما حل موعد الدعوة تهيأت وخرجت فكنت أول القادمين ثم تكامل الناس وهناك علمت بوفاة السيد النابه/ محمد بن صالح ابن عقيل بسورابايا وما انفض نظامنا من حول المائدة حتى اعتزم السيد الصالح/ أبو بكر بن محمد السقاف الآنف الذكر الذهاب إلى سورابايا للصلاة على الفقيد/ محمد صالح المشار إليه، وكان الفقيد أوصى أن يصلي عليه هذا السيد فخرج السيد/ أبو بكر بن محمد إلى منزل السيد/ سالم السقاف وخرجنا معه ومن هناك اعتلى ظهر السيارة متجها صوب سورابايا واعدا بالعود غدا إلى هنا.

ثم عدت إلى المنزل حيث بقيت إلى الليل ولكنه بلغني أن السيد/ عبدالله المحضار سيقيم حفلة زفين هذه الليلة فعندما سمعت قرع الطبول مع الأغاني ذهبت

لحضور هذه الحفلة ومكثت إلى الساعة الثانية عشرة (السادسة ع) نصف الليل فحينئذ عدت إلى المنزل وقد دب النعاس إلى أجفاني. وبدأت طلائع النوم تهاجم الدماغ.

السيد محمد بن صالح ابن عقيل

أما السيد/ محمد بن صالح ابن عقيل المتوفى هذا اليوم فهو أحد السادة آل عقيل بن سالم سكان القرية. رجل نبيه طموح النفس له سابقة في الحركات التطورية بين أبناء الجالية العربية في المهاجر. ويعد أحد الذين ساهموا في تطور الثقافة الحضرمية وصرف التفكير عن مجراه العتيق إلى آفاق جديدة ومع ذلك فهو خطيب في اللغة الملايويه ذرب اللسان ولد بالمهاجر ولكنه رحل إلى الوطن حضرموت حيث أقام مدة (ببلده القرية) وتزوج بها. وتقلد السلاح شان من يأبى الرضوخ لصولة حامليه من المواطنين. ثم عاد إلى جاوا فأقام بمسقط رأسه سورابايا حتى وافته المنية عن عمرا يناهز الستين عاما رحمه الله.

عرفته شخصيا منذ عام ١٣٤٦هـ أما أول ما سمعت اسم هذا السيد فهو أبان الصبا حين رأيت له خريطة سياسية للقارة الأوروبية مزينة برسوم ملوكها ورؤساء جمهورياتها. نشرها مع بعض أصحابه بمناسبة اندلاع نار الحرب العظمى السابقة وقد رأيت لأول مرة صورة هذا الرجل على حاشية تلك الخريطة.

أما يوم الجمعة ٧ ذي القعدة موافق ٣١ جنواري فهو اليوم الذي قررت أن أعود إلى سنغافورة وعينت موعد السفر غدا فأعلنت للأصدقاء ببند ووسو أنني قد عقدت العزم على الترحل عنهم. وأنني سأفارقهم غدا إلى أمد لا ادري مداه وأرجو أن يكون قصيرا.

لذلك فقد لزمت المنزل لتهيئة أسباب السفر وإعداد ما يلزم لذلك. ولم ابارحه إلا بعد تناول الغداء فخرجت قاصدا الجامع حيث وجدت الناس قد اجتمعوا لسماع الخطبة ثم أقيمت الصلاة وبعد الفراغ منها مررت على منزل السيد النبيل/ علوي المحضار إذ سمعت ضجة تبينت فيها صوت الأخ عبدالله الحداد وبعد الجلوس برهة مع هؤلاء السادة عدت إلى المنزل لإكمال إعداد أسباب السفر وهناك وجدت دعوة

من السيد/ سالم بن احمد السقاف لمأدبته العشائية التي أقامها للسيد الصالح/ أبي بكر بن محمد السقاف الذي ينتظر قدومه عصر هذا اليوم.

وعندما دنا المغرب ذهبت لحضور روجة السيد المذكور وكان قد عاد من سورابايا. وهي كسائر مجالسه مشتملة على القراءة في بعض الكتب الصوفية وكلام بعض السلف واستغرق ذلك جميع المجلس أما حضرة السيد فقد كان السكوت كما قلت غالبا عليه في مجالسه. ثم قدمت المائدة الفاخرة وتناولنا العشاء وعدنا لسمر قصير خرجنا بعده عائدين إلى المنازل. وعند ذلك أخبرت فضيلة السيد/عبدالله المحضار بعزمي على السفر فأبدا اسفه لذلك وعدت إلى المنزل حيث أويت إلى مخدع النوم.

مغادرتي بندووسو

جاء يوم السبت ٨ ذي القعدة وهو ميعاد سفري عن بندووسو. فما ألقت الشمس بساطها العسجدي على الآفاق ألا وأنا على تمام الاهبة للرحيل إذ كنت عبأت حقائبي. ورتبت أمتعتي من الليل. وفي الضحى قدم علي السادة الكرام فضيلة السيد/ عبدالله بن محمد المحضار ومعه السيد الصالح/ أبو بكر بن محمد السقاف يقتفيهم حشد من الناس لزيارتي الوداعية ولكثرة هؤلاء الزائرين ضاق المنزل عن البعض فبقوا واقفين على أقدامهم وبعد جلسة خفيفة استأذنوا ورتب السيد/ أبو بكر بن محمد الفاتحة وخرجوا. وجاء بعدهم جماعة من سكان بندووسو اذكر منهم السيد/ أبا بكر بن محمد بن عبدالله وصالح بن عبدالله الحامد.

لقد كان ميعاد السيارة التي أردت السفر عليها الساعة الحادية عشرة (الخامسة ع) ولكن لأمر ما تأخرت عن ميعادها المقرر إلى الساعة الثالثة (التاسعة ع) عصرا فعندما حان الوقت جاءني السيد الكبير السن/ عمر الحامد الملقب السيحوتي والسيدان/ محمد الحبشي وحسن الحامد كما كان حاضرا قبله الأخ الناهض/ محمد بن هدار المحضار أحد نجباء الشبان العلويين الحميدي السيرة الذين أسدوا إلي كل خدمة ومساعدة فهو من أجدرهم مني بالشكر والاعتراف بالجميل أبقاه الله وبلغه آماله.

أما الأول وهو السيد/ عمر فاستأذن وخرج بعد تبادل عبارات التوديع والدعوات المعتادة وبقي الآخرون ثم أبرزت حقائبي وودعت الأحبة والأصدقاء وعند ذلك بذلت دمعة حارة ضمنتها كل معاني الوداع كما عبرت عن كل ما املك من شعور الحب والوفاء حين عيّ اللسان وارتج الموقف على النطق أبواب التعبير وان كنت في تلك الساعة أفيض على النفس بعض السلوى من قول حبيب:

آلفه النحيب كم افتراق أشّت فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الاوبات الا لموقوف على ترح الوداع

ثم استقلت بي وجرت صوب بلدة (بانقيل) التي عقدت النية على المبيت بها هذه الليلة. فبلغت إليها قبيل العشاء فنزلت على السيد/ شيخ بن احمد السقاف.

والسيد/ شيخ بن احمد السقاف هو علوي من سكان سيؤون بلغ سن الشيخوخة له ثروة ولم يزل يتعاطى التجارة. له بوالدي صداقة أيام حياته عرفته من أيام الصبا وهو شقيق السيد/ سالم بن احمد المذكور سابقا المقيم ببندووسو والسيد/ عبدالله بن احمد السقاف المتوفى بوطنه سيؤون حضرموت عام ١٣٥٣هـ.

ولملازمته مع اخوته الإقامة ببانقيل هذه اشتهروا بحضرموت بآل بانقيل وغلب عليهم ذلك إلى اليوم.

بانقيل

تقع بلدة (بانقيل) جنوبي سورابايا تبتعد عنها بنحو خمسين كيلومترا وبها ملتقى خطوط السكك الحديدة فمنها ما يربطها شرقا ببلدة باسروان وباقي بلدان شرق جاوا وجنوبا بلا واغ ومدينة ملاغ وسواهما وشمالا ببلدة سيد ورجو ثم بمدينة سورابايا. وقد دخلت هذه البلدة في رحلتي الأولى ثم تكررت زيارتي لها ونزلت فيها في رحلتي الأولى والثالثة على السيد/ شيخ بن احمد السقاف السابق ذكره.

وممن عرفته بهذه البلدة السيد/ عبدالرحمن بن حسن السقاف سيد ذو شيبة له هيئة وأخلاق حسنة. يظهر عليها الصلاح، وله ثروة لا باس بها.

وهو عم أستاذنا فضيلة السيد العلامة/ محمد بن هادي بن حسن السقاف المقيم بسيؤون – مد الله في عمره –.

فضيلة السيد عبدالله بن علي الحداد

وممن قبر بهذه البلدة من الأعيان فضيلة السيد العالم الصالح الحبيب/عبدالله بن علي ابن حسن الحداد عالم ذو صلاح وتقوى وصلابة في الدين. وله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على احتذاء تقاليد الأسلاف الحضرميين غرائب وعجائب ومع جلالة قدره فلم يمنعه ذلك عن تعاطي الأسباب والأخذ بوسائل الكسب على الأهل والعيال. وللناس في هذا السيد الاعتقاد وحسن ظن زائد. وله مكتبة عظيمة حوت من نفائس الكتب وضنائنها عددا جما. إلا أن أولاده بعده حرصوا على هذه الكتب حرصا خرج عن الحد اللائق حتى منعوا كثيرا عنها ومنهم من ينبغي أن لا يمنع مثله عن الاطلاع عليها.

ولد هذا السيد بتريم سنة ١٢٦١هـ وتوفي ببلدة بانقيل عام ١٣٣١هـ رحمه الله تعالى ورضي عنه.

لقد بتُ هذه الليلة بهذه البلدة و كان نومي فيها بهناء على خلاف ما كنت احسب فقد كانت هذه البلدة معهودة بكثرة البعوض كثرة تميّزها عن غيرها من البلدان في هذه الجزيرة فقد زرتها في المرة السابقة فلم أنم بها إلا غرارا بالرغم من تحصني بالناموسية حتى لقد اعتقدت أن بعوض هذه البلدة يحسن التسلق على قوائم السرير وهو أمر مدهش وقد يرجع السبب لهناء نومي في هذه المرة الأخيرة شدة ما لقيت من التعب هذا اليوم.

وفي الصباح ذهبت لزيارة بعض الأقارب ثم عدت وذهبت برفقة السيد/علي بن عيدروس وهو والد السيد/ محمد بن علي الأستاذ بمدرسة (بندووسو) السابق الذكر،ثم زرت السيد/ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر السقاف في منزله.

ومكثنا ريثما قدم لنا شراب الشاي المعتاد ثم عدت إلى منزل السيد/ شيخ

السقاف.

إلى سورابايا

وعندما حلت الساعة الثالثة (التاسعة ع) قبل العصر علوت السيارة متجها نحو سور ابايا و حين بلغت إليها قصدت الفندق المعتاد (كماجوان اوتيل) فألقيت هناك حقائبي ثم ذهبت إلى الأستاذ/ احمد بن غالب. حيث مكثت لديه إلى أن قدمّت مائدة العشاء و بعد تناول الطعام خرجت يصحبني الأستاذان الصديقان/ حامد وقيدان لحضور التهليل المعتاد على السيد المرحوم/ محمد بن صالح ابن – عقيل المقدم ذكره. فجئنا و قد كاد الجمع ينفض و تمكنا مع ذلك من تعزية أفراد العائلة آل عقيل في الفقيد. و هناك لقيت صديقنا السيد/ عبدالله الحداد فذهبنا معا إلى السيد/ أبي بكر بن هارون وهو من مولودي هذه الجزيرة من العرب وله يد في الحركات الأخيرة لوحدة المواليد. ولم نطل الجلوس عند هذه السيد بل ذهبنا لتونا لمشاهدة رواية (مجنون ليلى) السينمائيه الملايويه وعدت إلى الاوتيل بعد منتصف الليل.

أما يوم الإثنين ١٠/ ذي القعدة ٣ فبراير فقد كنت مدعوا عند السيد/ عبدالله بن احمد الحداد الآنف الذكر لمأدبة غداء خصوصية. فطفت أول النهار في بعض المحلات التجارية وغيرها حتى حان الموعد ذهبت إلى السيد/ عبدالله المذكور ملبيا لدعوته • وحضر اخوة السيد/ عبدالرحمن والسيد/ شيخ البار وكان المجلس رائق وغمر الأنس فيه أفئدة الحاضرين ثم قدم الطعام الذي اجتمع فيه جودة الطبخ مع تعدد الأنواع.وبعد تناول الغداء تحول إلى حيث أحضرت أكواب الشاي مع أصناف من الفواكه الشهية وبعد ذلك انفض المجلس وعدت إلى الاوتيل.

وذهبت بعد برهة إلى السيد/عبد القادر بن عيدروس وكنت مدعوا عنده هذه الليلة.وواعدته على الخروج معه في العشية للتنزه. فحين جئت إليه وجدته على تمام الأهبة للخروج فعند ذلك امتطينا السيارة ومضينا قاصدين بعض الأماكن الجميلة في هذه المدينة وفي ارياضها التي ترتاد للتمشي والنزهة وذهبنا على مطيتنا الوثيرة المقاعد نتمشى في بطئ وأناة طائفين بكثير من الأماكن البديعة المطرزة شتى من

فنون الطبيعة والصناعة ومن بينها حي (درمو).

وما أحلى الطواف بين تلك المباهج في نور الأصيل الرائع. وعندما يبعث لنا المساء بأنفاس نسماته بعد تقلص سلطان الشمس وبعدت عن أن تؤثر عليها بوهجها وحرارتها حتى سقطت الشمس في مغربها عدنا أدراجنا إلى منزله وعند ذاك حضر الأستاذان/ قيدان وحامد أما الأول فلم يطل الجلوس وأما الثاني فمكث ثم تناول طعام العشاء على مائدة هذا السيد الكريم.ثم استأذنا وذهبنا قاصدين الهوتيل حيث سمرنا هنالك في ردهة الاستقبال إلى هزيع من الليل وبعد ان خرج الصديق قيدان قمت إلى سرير النوم.

الأستاذ حامد الحامد

والأستاذ/ حامد هذا هو السيد/ حامد بن احمد بن غالب الحامد نجل السيد/احمد بن غالب السابق الذكر شاب في ريعان شبابه طموح النفس مثقف ثقافة عربيه تامة ولد في جزيرة جاوا والتحق بالمدرسة الخيرية وبعد أن تم دروسه عين أستاذا في مدرسه بانيواغي ثم تحول إلى سورابايا وطُلب أستاذا في مدرسة خير ببتافيا ثم انفصل عنها وعاد إلى سورابايا وتعيّن أستاذا في المدرسة الخيرية بها عرفته في رحلاتي الثلاث إلى هذه الجزيرة ولقيت من صحبته وعنايته الزائدة ما يستحق به مني أجزل الشكر وأتمّه كما تأكدت بيني وبينه أواصر الصداقة علاوة على أواصر النسب.

عرفته أديبا فهما حسن الكتابة والشعر ولاحظت فيه شدة التطلع إلى المعارف وفنون العلم وكونه قادرا على هضم ما يقرأ وتحصيل ما يبحث ومعلوماته وفيرة كان آخر عهدي به وقد دخل العقد الثالث من عمره ومع صغر سنه فقد أعجبت جدا بذكاء عقله وحسن تفكيره واعتدال نزعاته و بالجملة فهو من الشبان الذين يرجى أن تقوم نهضة المستقبل على كواهلهم.

ومع ذلك فله تأليف مدرسي في السيرة كما انه ينوي تأليف كتاب في تاريخ الفاطميين وقد جمع أخيرا بعض الأناشيد المدرسية وسجل معها أنغامها بالنوتة

وطبعها. وقد طلب مني عند عزمه على ذلك ان انظم ثلاثة أناشيد اقترحها فنظمتـــها. واذكر من بينها هذا النشيد :

أناشئة المجد إن المنى تهيب بكـــم مـــن وراء الزمـــن
هلموا فلا حبذا من ونى ولم يفنَ فـــي دينـــه والوطـــن
دعاة السلام وأسد الشرى وفينا الرجاء وفينـــا الخطـــر
فلا حبذا العيش ان لم نرى مثال الكرامـــة بيـــن البشـــر
إذا لم نجد همنا في الثرى نشدناه بين الســـهى والقمـــر
وقمنا نبرهن بين الورى بـــأن الشـــباب حيـــاة البـــلاد
أناشئة المجد......

يقظنا فعفنا حياة الكسل وجئنا المعـــالي بعـــزم الأســـود
فحزنا الفخار ولما نزل إلى الموت نطلب مجـــد الجـــدود
فامّا حياة تنيـــل الأمـــل وامـــا ممـــات ينيـــل الخلـــود
نهلنا من العلم قبل العمل لنبني العـــلا باذخـــات العمـــاد

الأستاذ قيدان

أما الأستاذ/ قيدان فهو السيد/ عبد القادر بن العلامة عبد الرحمن بـــن عبيـــد الله السقاف العلوي وقيدان لقب له. شاب أديب ذكي جدا نشيط تلوح سيما النشـــاط علـــى وجهه فصيح اللسان يلتزم في جميع محادثاته التكلم بـــالفصحى المعربـــة ويتحـــامي الخروج عنها مهما كلف الأمر حتى صار ذلك ديدنا له في غير شدة ولا كلفه. ولـــهذا الصديق نزعه تجديديه يرجع أكثر السبب فيها إلى ولوعه بمطالعـــة كتـــب بعـــض المعاصرين حتى المتطرفين منهم وفي طليعتهم الأستاذ/ طه حسين.

وأسلوب هذا الشاب في الكتابة سهل طلي يعبّر حقـــا بكـــل بيـــان عـــن آرائـــه ونزعاته. فتراه يشف عما تجيش به نفسه الطموح. وينم عما ترمـــي إليـــه نزعتـــه الانتقادية.

ولد بحضرموت ثم رحل مع والده العلامة المفتي/ عبد الرحمن بن عبيد الله إلى جزائر الهند الشرقية. وبقي بها إلى الآن،عرفته بحضرموت ولقيته بهذه الجهات في رحلتي الأولى بستقافوره وهو قادم مع أبيه من حضرموت ثم لقيته في رحلتي الثانية عام ١٣٥٠هـ بمدينة الصولو. وثم لقيته هذه المرة بعد أن حول إقامته إلى سورابايا وتزوج بها فرأيت من حسن صحبته وطيب عشرته ومزيد عنايته مالا يمكنني معه إلا أن أسجل له شهادتي بطيب أخلاقه ودماثتها المتناهية مع حسن وفائه. الأمر الذي يوجب التنويه بفضله على طموح نفسه وحداثة سنه، ومع كل ذلك فلم أر منه ما ينم عن شيء من الغرور واللجاج الذين قد يبتلي بهما بعض الشبان.

في قرسيك رواية صلاح الدين

واتى يوم الثلاثاء ١١ ذي القعدة وكنت مدعو فيه عند السيد/ المطرب شيخ البار إلى بلدة قرسيئ. فجاءني ضحى صديقي الأستاذ/ قيدان السابق الذكر وكان لي معه مجلس لطيف في ردهه-الاوتيل- حتى علت الشمس اوجها عاد إلى منزله.

وعندما حلت الساعة الثانية عشر (السادسة ع) ارتديت ثيابي واستعددت للخروج. ثم اتجهت إلى الأخ/ الصديق عبد الرحمن الحداد وحضر أخوه السيد/ عبدالله الحداد وقررنا الذهاب حالاً إلى قرسيك لدعوة الأخ شيخ البار فلاقانا بتأهيل وترحيب متناهيين وحضر عنده بعض أصهاره ومنهم السيدان/ عبد القادر وسالم أبناء عبد الرحمن الجفري. ثم قدمت المائدة وصف عليها مالذ وطاب من أصناف الطعام وألوان الطبخ ثم التففنا حولها بشره يفوق الوصف وبعد الانتهاء من ذلك قدمت أصناف من الفواكه الشهية تناولناها على أنغام صوت هذا المطرب وألحانه الشجية وأخذنا رسما للمجلس وهو على طبيعته. وبعد ذلك خرجنا للتفسح حول الشاطئ للتمشي والتفرج بمنظر البحر البهيج وأخذنا رسما لنا ونحن على ذلك الشط الجميل. ثم اعتزمنا العودة إلى سورابايا فرجعنا معا يرافقنا السيد/ شيخ صاحب الدعوة ثم تواعدنا على أن نشاهد هذه الليلة رواية صلاح الدين الأيوبي السينمائية،فما حلت الساعة التاسعة(الثالثة ع) ليلا إلا ونحن على باب السينما. شاهدنا تلك الرواية

وكان لها أثر في نفوسنا يعلم الله مبلغه. وهي كما تمثل عظمه الإسلام آنئذٍ وصولة أهله وعزتهم. فهي تعبر أيضا عن أن الغربيين قد يضعون الحقيقة في أعلى مراتبها وينصفوننا معاشر الشرقيين إذا عدمت الأغراض وخلت النفوس عن المرامي الأخرى.

ولم نتناول طعام العشاء إلا بعد عودنا من مشاهدة الرواية حيث لجأنا إلى أحد المطاعم الوطنية، ثم عدت إلى الاوتيل واستسلمت لسلطان الكرى.

وفي صباح الأربعاء ١٢ ذي القعدة زارني المحترم/ محمد باجيده أحد الجيران لنا بسيؤن الذين عرفتهم في الصبا ثم زارني بعده الشيخ/ عبد القادر الزبيدي فالسيد/ محسن بن عمر باعقيل والسيد/ عبد الله المحضار.

أما الشيخ/عبد القادر فهو شيخ مسن كان مقيما بالهند. ثم تحول إلى سورابايا، رجل حسن الأخلاق بشوش الوجه عذب الحديث ترجع معرفتي به إلى عهد إقامتي بسنقافوره.

السيد محسن باعقيل

أما السيد/ محسن بن عمر باعقيل فهو علوي كان أبوه ذا ثروة طائلة وتوفي عن عدة أولاد، ولسوء الحظ أنهم لم يكونوا على اتحاد بل سرت بينهم سعايات السوء فانشقت عصاهم إلى حد الخصام وصار كل يسعى لنكاية الآخر فكان لذلك كبير الأثر على ماليتهم. والسيد/ محسن واحد منهم إلا انه يمتاز عن أخوته بدماثة خلقه ولين جانبه ورحابة صدره مع الناس وجعله منزله مأوى للضيوف والنزلاء وهو خفيف الروح جدا محبوباً حتى عند الشيوخ ويميل إلى المزاح والهزل ولو برواية مالا يكون له حظ من الواقع فلذا قال أحد الشيوخ في حقه: الكذاب المحبوب

وهو مطرب على العود من الدرجة الأولى بين الحضارم واحد المشهورين بإصابة الهدف في الرمي بالبندق. وقد تناول في ذلك الكأس في مباريات متعددة بسورابايا.

أما السيد/ عبدالله المحضار فصديق السيد/ محسن المذكور. وهو أحد سكان (خمور) بحضرموت من آل الشيخ أبي بكر. رجل طيب المعاشرة يبدو عليه النشاط ورقة الطبع إذ كان من هواة الغناء على الآلات المطربة. أما سنه فلا يزال سن الشباب. ولم تسبق لي به معرفة قبل هذه الزيارة لجاوا.

وبعد جلسة غير قصيرة مع هؤلاء الفضلاء تجاذبنا فيها أطراف الحديث في شتى الشؤون خرجوا ما عدا الأستاذ/ قيدان والسيد/ عبدالله المحضار. ثم خرجت مع هذين السيدين واعتزمنا زيارة الأول وهو الأستاذ/قيدان فقصدنا منزله وكانت لنا عنده جلسة خفيفة ثم خرجت فذهبت لدعوة الأخ/ عبدالله الحداد فتناولت معه طعام الغداء. إلا أني لم اطل الجلوس عنده بعد ذلك. بل ذهبت لتوي لميعاد السيد/ محسن باعقيل وكنا واعدناه بالمجيء إليه ظهرا. ولقيت في طريقي إليه الأخ/ قيدان. ولما لم نجد السيد/ محسن المذكور في منزله فقد عرجت على منزل الأخ/ قيدان ثانيا حيث مكثنا برهة. وعند خروجي مررت على منزل الأستاذ/ احمد بن غالب ثم عدت إلى الفندق.

وفي عصر هذا اليوم جاءني الصديق/ قيدان فخرجنا معا إلى بعض المحلات التجارية حيث ابتعنا من هناك بعض الحاجيات وعدنا إلى الاوتيل وعاد الأستاذ/ قيدان إلى منزله. وبعد أن اغتسلت واسترحت ذهبت إلى منزل الأستاذ/ احمد بن غالب سائلا عن الأخ/ حامد فقيل لي انه مع أخيه/ سالم في منزل حمدون وهو أحد أقربائهم من جهة الخؤولة وذهبت إليهم وعدنا معا إلى منزله.

وعند خروجي من منزل الأستاذ احمد بن غالب زرت بعض الأقارب ثم ذهبت قاصدا الأخ/ محسن باعقيل السابق الذكر وفي الطريق لقيت الأستاذ/ حامدا وأخاه محمدا والسيد/ عمر بن علوي الحداد فذهبنا معا إلى السيد/ محسن فسمرنا برهة ثم عدت إلى الاوتيل.

تقريري تأخير السفر عن سورابايا

كنت قد قررت أن لا أقيم بسورابايا بعد سفري من (بندوو سو) إلا ريثما أهيئ

بعض أشغالي الخاصة ثم استأنف السفر إلى بتافيا ومنها إلى سنغافورة لولا أن الرياح-كما قيل-تجري بما لا تشتهي السفن إذ أتى ما ليس في الحساب. فقرر السيد/ احمد بن غالب الحامد زواج ابنته في هذا الشهر. فعزّ علي بعد تعيين موعد الزواج مغادرة سورابايا في إقبال هذا الزواج. لمقدار السيد/ احمد بن غالب عندي ومقامه لدي. فاستقر الأمر أخيرا عندي على البقاء حتى نهاية حفلات هذا الزواج المبارك.

فجاء يوم الخميس ١٣ ذي القعدة. وفي صباحه ذهبت إلى مطعم قريب فتناولت كوبا من اللبن المثلج وشيئا من الخبز وعدت إلى الاوتيل. فجاءني زائراً الشيخ/ عبيد باوزير أحد سكان مدينة سيؤون بحضرموت ومكث معي مدة تجاذبنا بها أطراف الحديث في شؤون مختلفة ثم خرج. وعندما ضحى النهار ذهبت إلى الأستاذ/احمد بن غالب حيث تناولت طعام الغداء على مائدته الكريمة. ثم ذهبت إلى السيد/محسن با عقيل الآنف الذكر. وجلست معه إلى العصر ثم عدت إلى الاوتيل. فجاء الصديق/ حامد الحامد وجلست معه برهة ثم بعد الاستراحة اغتسلت وتهيأت للخروج وذهبت مع الأخ/ حامد إلى صديقنا السيد/ عبدالرحمن الحداد وحضر أخوه السيد اللطيف/ عبدالله الحداد وكان مجلس أنيس ثم استأذنا وذهبنا نتمشى في الطريق الكبرى بين الأحياء العربية. ثم ذهبنا إلى الأستاذ/ احمد بن غالب حيث تناولت طعام العشاء وعدت إلى الفندق يصحبني الأستاذ/ قيدان. وسمرنا إلى ان مضى ردح من الليل ثم خرج الأستاذ/ قيدان وبعده أويت إلى غرفة النوم.

إلى مالاغ

بعد تناول ما تيسر من الصبوح يوم الجمعة ١٤ ذي القعدة لقيت الأستاذ قيدان. وطفت معه على بعض المخازن التجارية لبعض العرب فابتعت منها ما يكفي الحاجة من الأزر ثم عدنا إلى الفندق وحضر عند ذلك الأخ/ شيخ البار ومكث هنيهة وخرج أما الأستاذ/ قيدان فبقي إلى ان اعتزمنا مغادرة الاوتيل فخرجنا معا فذهب عائدا إلى منزله ولما كنت مدعواً هذا اليوم عند الصديق الكريم/ عبدالله بن احمد الحداد لتناول الغداء على مائدته فقد توجهت حينئذ إليه فقابلني بترحيب ووجه طافح البشر كما هو

ديدنه. ثم صعدنا إلى الطابق العلوي في منزله المانوس وحضر أخوه الأخ/ عبدالرحمن ثم السيد/ شيخ البار وبعد برهة دعينا للتحول إلى غرفة أخرى حيث مدت المائدة وصف عليها ما لذّ وطاب من ألوان الطعام وأنواع الادام وأخذت لنا هناك صورة طبيعية ونحن ملتفون حول المائدة.

وبعد ذلك عدنا إلى مجلسنا الأول حيث قدمت لنا أصناف من الفواكه الشهية مع أكواب الشاي وأخذت لنا صورة أخرى ونحن على تلك الحالة وتحدثنا في الرحلة إلى جهة (مالاغ) هذا اليوم لترويح النفس بالتفرج على مباهج الطبيعة ومناظرها الرائعة. ولكن الأخ/ عبدالله بقي مترددا في الأمر. وقمنا شاكرين للسيد عبدالله حسن أخلاقه وعلو مكارمه. وعرجنا على منزل الأخ/ عبدالرحمن الحداد وبينما نحن عنده جاءنا الأخ/ عبدالله قائلا إن العزم جدّ على الرحلة هذه العشية إلى ناحية (مالاغ) فوافقنا على ذلك.

وعند ذلك عدت إلى الفندق وهيأت نفسي لهذه السياحة التي أتخيل أنها ستكون جميلة وممتعة. وجاء الزملاء الكرام فذهبنا إلى المحطة ومن هناك استأجرنا سياره إلى مالاغ فعلوناها قاصدين مقاطعة مالاغ . ومن تلك الساعة بدأنا نستروح أرواح البهجة والانشراح. حينما انبرى النسيم يتابع قبلاته الناعمة على صفحات وجوهنا طافحة بشرا وأفئدتنا ممتلئة غبطا وانشراحا حتى بلغنا مدينة مالاغ بعد أن قطعنا إليها خمسة وتسعين كيلومترا الساعة التاسعة (الثالثة ع) وقد حملنا معنا توصيةً من السيد/ حسين باعقيل إلى الخادم بان ننزل في قصره بتلك البلدة وحين جئنا إليه لم تنشرح خواطرنا بالجلوس في مدينة مالاغ واخترنا الذهاب إلى (دى نويو) حيث يقع منزل السيد/ محمد القادرى المقيم بباسران، و (دى نويو) موضع يبتعد عن مالاغ بنحو ثلاثة كيلومترات فقابلنا هذا السيد بسرور وترحيب، وبتنا هناك.

منتزه سلكتا

كان في برنامجنا أن نزور منتزه (سلكتا) البهيج، وهذا المنتزه لم يسبق لي عهد بزيارته وفضلنا زيارة هذا المنتزه يوم السبت حرصا على أن لا يزاحمنا أحد. وأن تكون نزهتنا في هدوء وطمأنينة قبل يوم الأحد الذي اعتاد الناس تزجية عطلتهم فيه بزيارة المتنزهات الجميلة. وهذا الموضع من خيرها.

فما تبسم صباح السبت إلا وقلوبنا تخفق تشوقا لهذه الرحلة لمشاهدة هذا الموقع الذي أطرى الواصفون لي جمال موقعه وما يحف به من مباهج الطبيعة . فتناولنا ما حضر من طعام الفطور ثم علونا: سيارتنا كما امتطى السيد/ محمد القادري مع أخيه سيارتنا ومضينا قاصدين ذلك المنتزه البهيج في طريق معبد حسن يخترق أراضي وشيت با لحقول والبساتين وفي ذلك الطريق مررنا على(باتو)حتى دنونا من (سلكتا) بدأت السيارة تصعد بنا في طريق مختلس تحيط به من الجانبين مناظر تملاء القلب بهجة وانشراحا

ثم بلغنا سلكتا بعد أن قطعنا نحوا من ستة عشر كيلومترا من (دنيويو) وعندما وصلنا إلى باب المنتزه ترجلنا ودفعنا الرسم المعتاد للدخول ثم دخلنا فولجنا أولا إلى قاعة عجيبة صفت فيها الكراسي على عدد من الطاولات وفهمنا أن هذا مقهى المنتزه ومن هذا الموضع أشرفنا على البركة البديعة. وتحت هذا المقهى طبقه أخرى تتألف من غرف أعدت لتبديل ملابس المستحمين. وعلى جانب آخر تطل على البركة بناية أخرى شبيه منظرها بمنظر الباخرة يمتد من أعلاها إلى البركة منزلق يسيل به الماء أعد للذين يحبون التروض بالانزلاق عليه إلى ظهر الماء وبقربه تصب أنبوبة ضخمه بمائها الفضي إلى البركة، ذكرني منظرها حول تلك البركة قول بعض العلويين يصف (مأجلا) بركة:

يا حسن مأجلنا وحضرة مائه — والنهر يفرغ فيه ماء مزبدا
كاللؤلؤ المنثور إلا انه — لما استقر به استحال زبرجدا
وإذا الشباك سطت على أمواجه — نثرت حبابا فوقهن منضدا

فكأنمــا الفلــك الأثـــير أداره فلكا وضمَّنه النجوم الوقــــدا

والى جانبيه يقع جبلان أخضران تنصب من أعلا أحدهما المياه نسجت عليـــهما السحب حللا من سنادس الأعشاب. وكأنما انشقا عن هذا المنظـــر الزاهـــر انشـــقاق الصدفة عن الدرة الفاخرة. وعند مدخل هذا الموضع غرست أشـــجار مـــن الســـرو الجميل المنظر. وفوق البركة إلى جهة المقهى يقع ملعب للتنس مشرف على البركة.

فمكثنا ما شاء الله وامتلأت خواطرنا بهجة وغبطة لجمال هذا الموضـــع الـــذي تفننت الطبيعة في إبداعه وساعدت الصناعة على إبرازه بهذا المجلى الرائع. كما لـــم يتمالك أكثرنا أن يرمي بنفسه إلى البركة في نشوه من الطرب والسرور تشوقا للـــهو بالتروض بالسباحة وأخذت لنا عدة صور في ذلك الموضع. ثم انحزنا إلـــى المقـــهى للاستراحة فتناولنا أكوابا من القهوة. وما أشهاها

في ذلك الموضع بعد الاغتسال في ذلك الماء الذي يكاد أن يساوى فـــي رقتـــه وصفائه صفاء ورقة الهواء لولا اخضراره شيئا ما الاخضـــرار الـــذي زاده روعـــه وجلالا ولم تطب نفوسنا بمغادرة هذا الموضع إلا وقد دنى العصر اعني بعد الســـاعة الثانية(الثامنة ع) فعند ذلك امتطى كل منا سيارته وانحدرنا عائدين إلى (دى نويـــو) غير أننا عند مرورنا بباتو وقفنا قليلا ريثما اشترينا بعض الفاكهة ثم أكملنـــا رحلتنـــا إلى (دى نويو) منزل السيد القادرى٠

وصلنا هناك وقد حل العصر فجلسنا قليلا للاستراحة والاستحمام ٠ ثم قدم طعـــام العشاء وقد تركتنا تلك الرحلة نتحرق جوعا متشوقين إلى الطعام حين أمست البطـــون افرغ من فؤاد أم موسى. فانقلبنا عليه بنهم ولهفة وتناول كل منا قـــدرا زائـــدا علـــى المعتاد ومكثنا هنالك إلى الليل. وبعد السمر استأذننا السيد/ القـــادرى فـــي أن يعـــود لبعض مهماته الخاصة. أما نحن فقصدنا المضاجع ونمنا بهناء.

باتو

وباتو المار ذكره بلدة تقع على مسافة تقارب العشرين كيلومترا غرب مدينة (مالاغ) داخله في منطقتها وترتفع عن سطح البحر بثمانمائة وثمانين مترا وهي مشهورة بجودة الهواء

وحسن الطقس وبرودته أيضا الناتجة عن ارتفاعها وتحيط بها متنزهات عديدة غزيرة الينابيع. زرتها في رحلتي الأولى إذ كان يقيم بها السيد / محسن باعقيل السابق ذكره في تلك الآونة فجئتها في ركب من كرام السادة العلويين حين بقينا بها عند هذا السيد الكريم ثلاثة أيام وزرنا منها بعض المنتزهات منها متنزه (سبالو) المرتفع المشهور.

أصبحنا يوم الأحد ونحن متحفزون للعود سريعا إلى سورابايا لحضور حفلة زواج السيد / عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم على بنت السيد/ احمد بن غالب الحامد. الزواج الذي أخرت موعد مغادرتي سورابايا للسفر إلى سنغفورا من اجله. فسرعان ما التهمنا طعام الفطور وقمنا إلى السيارة بعد أن أخذت لنا صوره فوتوغرافيه ثم مضينا متجهين صوب سورابايا. وعند بلوغنا إليها قصدنا رأسا إلى منزل صاحب الوليمة السيد/ احمد حينما كان الناس قد تكامل جمعهم وكان المنزل المبارك مزينا بما يميزه من زينات الزواج وعلائم الفرح.

وبعد أن انتهى العقد عدت إلى الفندق حيث بقيت إلى المغرب. ثم رجعت فجئت إلى الأستاذ/ أحمد بن غالب لحضور مأدبة العشاء وهناك صفت الموائد والتف عليها المدعوون وعندما انتهينا من تناول العشاء خرجت للتروح والتمشي حول تلك الأحياء وعدت أيضا إلى منزل السيد وقد التف الناس للسمر المعتاد وانتظمت هناك حفلة طرب رائقة. وبعدها عدت إلى الاوتيل حيث قصدت المضجع وغرقت في نوم لم أفق منه إلا وقد ابتسم ثغر الصباح المنير.

أما يوم الاثنين فكنت مدعوا عند صديقي الأخ/ عبد الرحمن بن احمد الحداد وقد استغرق الجلوس في الاوتيل اكثر الساعات في صدر هذا اليوم. ثم ذهبت لدعوه

الأخ/عبد الرحمن حيث تناولت طعام الغداء على مائدته الكريمة وعدت أدراجي إلى الاوتيل ولم ابارحه إلى المغرب ،فجاء إلي السيد الداعيه/سا لم بن جندان السابق ذكره والشيخ/حسن با قيس أحد المقيمين بجزيرة لمبوك وقد تقدم له ذكر في أيامي هناك فجلسا معي مدة. فجاء السيد/عبد الله الحداد وتقرر أن نذهب معه إلي منزله الثاني الذي يقترب من موضع إدارته فذهبنا وجلسنا هناك برهة ثم تحولنا إلى منزل نجله السيد/ عبد القادر وبعد مجلس أنيس عدنا أدراجنا. وذهبت إلى منزل الأستاذ/ احمد ابن غالب لحضور الزفاف ولكنا – للأسف – وجدناهم عندما انفضوا عن ذلك فاقتصرنا على الجلوس مع السيد/ احمد صاحب الوليمة والتفرج على بعض الزينات التي أعدت لهذا الزفاف المبارك وعدت إلى الاوتيل.

وفي صباح الثلاثاء ١٨/ ذي القعدة ١١ فبراير ذهبت لزيارة الأستاذ/ احمد بن غالب للتهنئة والتبرك بقران العريسين وانقضاء حفلات الزفاف ولم اطل الجلوس بل رجعت إلى الاوتيل وخرجت إلى مكتبة ابن نبهان. ثم لقيت السيد/ سالم بن جندان والشيخ حسن باقيس والسيد/ عيدروس المشهور فقررنا الذهاب معا إلى منزل السيد/ عبدالله الحداد الثاني الذي يقع قريبا من محل إدارته فمضينا متجهين إليه فلاقانا بسرور وترحيب وهناك تناولنا طعام الغداء واخذ لنا رسم فوتغرافي وكان لنا هناك مجلس مغمور بالفرح والانشراح وبعد ذلك عاد كل منا إلى مقره فقصدت الاوتيل حيث مكثت إلى المغرب فجاءني الأستاذان الصديقان/ حامد وقيدان واتفقنا على الخروج بعد المغرب للتروح والفرجة بالطواف إلى السوق الكبير والأماكن التجارية التي تجاوره. واخترنا أن يكون مشينا على الأقدام هذه الليلة فتطوفنا هناك برهة كما ابتعنا بعض الحاجيات ثم عدنا أدراجنا.

ولا بأس أن اذكر أن مرافقتي لهذين الأديبين وساعاتي معهما لا تخلو دائما من الفوائد العلمية والنكات الأدبية. فعند عودتنا من هذا الطواف عرض لنا ما جعل الأخ/ حامد يلتفت ألي قائلا ينبغي أن نذيل على هذا الشطر(أوحت إلي بطرفها) فقلت:

أوحــت إلـــيّ بطرفهـــا شــعرا فترجمــه الضميـــر
ياعــابد اسـجد لــي وقـــدّ س فــيّ ابــداع القديــر
لــم تــدره ان لســت تــد رى الحسن في الكون الكبيـر

ولم أتذكر ما قال الأستاذ/ حامد.

فبلغنا إلى الحي العربي الساعة التاسعة (الثالثة ع) فعجنـا أولا علـى بعـض المطاعم العربية وهناك تناولنا طعام العشاء وافترقنـا علـى موعـد الاجتمـاع غـدا فانصرفت إلى الأخ/ عبد الرحمن الحداد فخرج إليّ وذهبنا معا إلى الفندق الذي أقيم بـه فألفينا الأخ عبدالله الحداد هناك في الانتظار، فسمرنا إلى أن مضى روح من الليل.

تريتس

كنت قد عقدت العزم على زيارة منتزه تريتس أنا والسادة آل الحداد وعينا لذلـك هذا اليوم يوم الأربعاء ١٩ ذي القعدة ١٢ فبراير وصادف ذلك موعد دعوة غدائيـة عند الأستاذ/ احمد بن غالب • فخرجت ضحى إلى الأستاذ/ قيدان فلم ألفـه بمنزلـه فاتجهت إلى الإخوان آل الحداد للمداولة في تعيين ساعة الرحلة فلم أجد أحـدا منـهم ولكنى عند عودتي إلى الفندق لقيت الأخ/ شيخ البار جاء يستوحي عن ميعاد الذهـاب لرحلتنا المشار إليها فتكلمنا بواسطة التلفون مع السيد/ عبدالله الحداد فجاء إلينا وقـال إن الأستاذين/ عيدروس المشهور وحسين باعبوديرغبان في مرافقتنا لـهذه النزهـة وضربنا موعدا للسير الساعة الثانية(الثامنة ع) ظهرا وافترقنا أما أنا فحففـت لتلبيـة السيد المفضال/احمد بن غالب المشار إليه وهناك وجدت جماعه من المدعوين مـن بينهم السادة آل عقيل ثم قدمت المائدة حاويه ما لذّ وطاب من أصناف الطعام الجيـدة الطبخ وبعد ذلك ودعتهم مخبرا أنني ذاهب إلى تريتس لنزهه طبيعيّة ولم ابلـغ بـاب الاوتيل إلا وأفراد رفقتي في انتظاري بفارغ الصبر لان الوقت حان للسير ولم يبـق إلا الأستاذان/ عيدروس المشهور وحسين باعبود عند ذلك علونا السـيارة ومضينـا مارين على السيدين المذكورين أما السيد/ حسين باعبود فاعتذر بـانحراف صحتـه

وأما المشهور فلم يستطع إجابة نداءنا فضلا عن الخروج إذ كان حظه من الحمى كان أوفر. فذهبنا أربعة في سيارة أنا والأخوان/ عبدالرحمن وعبدالله الحداد والأخ المطرب/ شيخ البار. مضينا يملأ صدورنا الغبطة ويغمر قلوبنا الفرح والسرور بهذه النزهة البهيجة في ذلك الطريق الرئيسي الذاهب إلى بانقيل وما وراءها حتى حاذينا جبل تريتس انحرفنا ذات اليمين وقد مثل أمامنا جبل تريتس البهيج موشحا بحله خضراء زان وشيها الطبيعي ما رصعت به من القصور البديعة والمنازل اللطيفة وحين بلغنا سفحه بدأت السيارة تجري صعدا في طريق أشبه بالعقبة لولا ان المهندسين أتقنوا اختلاس علوه. وعندما بلغنا درجه ما في الارتفاع أحسسنا ببرودة الجو ورقة الهواء. حتى بلغنا المتنزه حيث يقع الاوتيل الكبير وحوله قصور بعض رائدي التمتع بالهواء النقي الجميل.

كان هذا الموضع من تريتس منتهى ما تصل إليه السيارة فوقه بركه جميلة تطل على مناظر بديعة من جمال الطبيعة الساحرة حيث تلوح على البطاح والأودية. وتبدو هنا وهناك جبال سندسية توشحها الأعشاب وتعصبها السحب وفوق هذا يقع منابع متعددة وبركة سباحة بديعة الصنع تحيط بها الأشجار يطل عليها اوتيل فخم وفوق ذلك شلال جميل.

وحين نزلنا عن ظهر السيارة ذهبنا نلتمس منزلا نأوي إليه فكان أول ما اهتدينا إليه منزل أحد الحجاج الوطنيين بقرب المسجد الذي بناه المرحوم السيد/ محمد بن صالح بن عقيل الآنف الذكر. وذهبنا نفتش عن منزل آخر يكون على طراز احدث وفي موقع أبدع ولكن لم نجد فرجعنا إلى منزل الحاج إذ لم نجد من ذاك بدا وأوعزنا إلى رب المنزل أن يطبخ لنا طعاما هذه الليلة. وعند ذلك اقبل الأخ/ عبدالرحمن الحداد مبشرا بأنه وجد منزلا آخر فذهبنا لرؤيته فإذا هو منزل وسط في حسنه يطل على ساحة الاوتيل وبه غرف جيده نظيفة فقررنا أن نتعشى أولا في منزل الحاج ثم نتحول للنوم إلى ذلك المنزل.

وقد أحببنا اغتنام الوقت للطواف في هذا الموضع الجميل لولا أن الرذاذ كان مستمرا متتابعا مع البرد القارص فلم نهنأ بذلك. فقبعنا في منزل الحاج وقطعنا الوقت

في حديث ومزاح وحينا على سماع رنات الأغاني من مطربنا شيخ البار حتى حضر العشاء فتناولناه بنهمه شحذها هواء هذا الموضع الصحي وبرده الذي زاد من شدته تهطال المطر وبعد ذلك استغرقنا في سمر استمر إلى أن مضى جنح من الليل ثم ودعنا منزل الحاج إلى المنزل الآخر الذي صممنا على النوم فيه فنمنا بهناء تام.

وفي صباح الخميس ٢٠ القعدة قمنا وقد أحسسنا بلذع البرد فادينا الفريضة. ثم تناولنا ما حضر من الطعام والفاكهة وارتشفنا أكوابا من الشاي. وأوعزنا إلى من حضر لنا خيولا نركبها للطواف والصعود إلى أعالي الجبل. ولم البث أن أحضرت فرغبت في الاغتسال أولا ولكن البرد كان شديدا والماء يكاد يجمد لشده برودته لذلك مكثت برهة في غرفه الاستحمام أراجع النفس في الإقدام على الاغتسال في تلك الساعة ثم أقدمت وكأني مقدم على مغامرة، وعندما انصب الماء على جسمي في بادئ الأمر أحسست كأن جلدي يسلخ من البرد. ثم لذ لي بعد ذلك وسرى النشاط في بعده ولم يعد لي بقسوة البرد أي إحساس، ثم علونا ظهور الخيل فطفنا حينا حول منازل هذا المنتزه ثم صعدنا إلى البركة القريبة واخذ لنا هناك رسم فوتغرافي ثم علونا إلى البركة العليا وعند ذلك ترجلنا وصعدت مع بعض الزملاء لحيث أطللنا على تلك البركة البديعة الصنع والموقع من خلال الأشجار وأخذنا لها صوره ثم عدنا وصعدنا إلى حيث بلغنا الشلال الجميل العلوى. وعند ذلك أحسسنا باللذة والانشراح بذلك الموقع العجيب. فجلسنا حينا واخذ لنا رسم طبيعي ونحن على تلك الحالة حول ذلك الماء الجاري كسبائك الفضة. وبعد برهة عدنا أدراجنا إلى حيث علونا ظهور الخيل. ومضينا عائدين في سبيلنا إلى المنزل في مباهج طبيعية تستفز الروح وتملأ بالروعة فؤاد الناظر فبلغنا هنالك وقد انتصف النهار وتربعت الشمس على عرش علوها. فأوينا إلى المنزل ووجهنا اهتمامنا إلى تحضير طعام الغداء الذي كنا إذ ذاك نترقبه بفارغ الصبر لما ألم بنا من الجوع الناتج عن هملجة الخيول الجاوية حينا وحركة المشي على الأقدام تارة مع حسن الهواء وطيب الطقس ثم قدم الطعام ونحن أشوق ما نكون إليه. وهل أشهى من الطعام على الجوع واحسن منه للصحة ولم يكد يوضع على الخوان حتى شننا الغارة عليه بكل عنف وقسوة حتى انتهينا من ذلك

عدنا إلى سابق حديثنا وطربنا. واقترح عليّ الأخ/ شيخ البار نظم أبيات على نغم من أنغام (الرومبا) فأنشأت هذه الأبيات:

قف معي نشهد جمالا يملأ القلب ازدهاء
أي نبت أي زهر انبت الروض المريع
عجبا في الزهر ألوان كما الفنان شاء
ظهرت شتى وهذى زهرة فيها الجميع
غادة كالبدر حسنا واكتمالا وسناء
زهرة للحسن رفت بين أزهار الربيع
رفعت ذيلا وهمَّت تختفي عنا حياء
علق الغصن بها لا تستري الحسن البديع
واتركي الشاعر يسديك غناء وثناء
ذمة للحسن عند الشعر حاشى أن يضيع

لقد أمضينا سائر يومنا في هناء وبهجة في هذا المتنزه الخصيب إلى أن حل المغرب فعند ذلك تهيأنا للخروج فأدينا فريضة المغرب واستقلت بنا السيارة منحدره نحو سورابايا فقصدت الفندق. ثم اجتمعت بالأخ/ قيدان وذهبنا لمشاهدة رواية سينمائية، وعدت إلى الاوتيل. مع عضو جمعية المواليد.

عزمي إلى بندووسو ورجوعي من الطريق

وجاء يوم الجمعة ٢١ ذي القعدة ١٤ فبراير وفي صباحه خرجت للتروض بالمشي جول الحي العربي ثم عدت وجاء الأخ/ حامد بن احمد فجلست معه في الفندق برهة وبعد ذلك جاء السيد/ علوي بن شهاب أحد أركان حزب مواليد العرب. وأظن أن اجتماعي به لم يكن مقصودا وإنما كان عرضيا إذ جاء لمواجهة أحد النزلاء بهذا الفندق. جلست مع هذا الشاب فسألته عن مبداء جمعيتهم وما سمعت عنها من التهم والتخرصات فجعل يقص علي مبدأ جمعيتهم وان تلك التهم التي توجه

إليهم لاسيما من جهة إخوانهم العرب لا أساس لها. وقال انهم لم يقوموا إلا لأغراض حسنة من أهمها حقوقهم في هذه البلاد إذ كان للمنتسبين إليها حقوق كافة المواطنين في الوظائف وغيرها وفي هذا نجاح كبير في تشغيل العاطلين من أبناء العرب في هذه الجزائر. قال: ومن أغراضنا أيضا نبذ السخائم والاحن التي بذرتها فتنة الارشاديين والعلويين والاتحاد للسعي إلى أغراضنا بصفوف متراصة حتى ننال بغيتنا المنشودة وشرح ما نتج عن ذلك من الفوائد ومن جملتها جمع الصدقات في رمضان وتوزيعها على العائلات العربية التي مستها الحاجة من غير تفريق بين علوي أو سواه قال: وقد قضينا فيما بيننا على ذكر التعصبات الناشئة عن تلك الفتنه وثبت لدينا جميعا اعتقاد أن تلك الفرقة لم تكن سوى مفسده عظيمة كان يجب القضاء عليها وقبرها في دور مهدها. وقال أن ما قيل من أننا نسعى في الانفصال عن العروبة وعن أنسابنا الحقيقية والاعتزاز بها فرية لا أصل لها اختلقها بعض المتفقين على التعصب والتحزب الحريصين على بقاء النزعات العدائية بين أبناء الضاد فقط لا غير. هذا حاصل كلامه بمعناه. فقلت له: إن هذا يخالف تماما ما سمعت عنكم أما إذا كانت حقيقتكم كما ذكرت وأغراضكم على ما شرحت فبارك الله في سعيكم وكلل أعمالكم بالنجاح.

وبعد خروج هذا السيد ذهبت إلى الأستاذ/ احمد بن غالب حيث تناولنا طعام الغداء واتجهت عصرا إلى السيد/ عبدالله الحداد فلم أجده فانصرفت إلى أخيه السيد/ عبدالرحمن فوجدت عنده السيد/ شيخ البار وجاء الأخ/ عبدالله فيما بعد فاتفقت معه على السفر إلى بندووسو، فأحضرت بعض ما أحتاج إليه من الملابس وقبل أن تحل الساعة السادسة (الثانية عشرة ع) قبل المغرب علونا السيارة يصحبنا أحد أولاد القادري المقيمين بباسروان ومضينا حتى بلغنا إلى باسروان فعرجنا لإنزال صاحبنا السيد القادري إلى منزله فعند ذلك خاطبنا أحد الذين في المنزل قائلا: هل فيكم السيد/ صالح الحامد ؟ فقلنا نعم هاهو ذا فقال: الآن دق التلفون من سورابايا منبئا بان هناك من يريد أن يخاطبه، فجئت مسرعا فتناولت سماعة التليفون فإذا السيد/ سالم بن احمد بن غالب يعلمني بأن الذين ذهبنا من أجلهم صوب (بندووسو) قد وصلوا الآن إلى

سورابايا. فعند ذلك قررت أن ارجع أدراجي إليها، فاستأجرت سياره أخرى وودعت صاحبي الأخ/ عبدالله ومضيت متجها صوب مدينة سورابايا وعندما بلغت إليها قصدت منزل الأستاذ احمد بن غالب حيث لقيت الوافدين ورحبت بهم وبعد السمر رجعت إلى الفندق الذي اعتدت النزول به ونمت بهناء.

وفي صباح السبت ٢٢ ذي القعدة ١٥ فبراير ذهبت إلى الأخ/ عبدالرحمن الحداد فرجا منى أن أبيت في دارهم الذي قال انهم فرغوه وهيأوه من أجلنا فوافقت على ذلك ولم يجر هذا اليوم ما ينبغي أن يذكر سوى أننا قررنا زيارة بعض الأقارب فيه وعندما حل الليل ذهبت إلى منزل الحداد الجميل حيث وجدناه على احسن عده واكمل أثاث وبتنا فيه بهناء وسعادة ممتلئين إعجابا بكرم هؤلاء السادة وحسن عواطفهم.

أما يوم الأربعاء فقد كنا مدعوين مع الوافدين عند الأستاذ/ احمد بن غالب. وأمضيت ضحى هذا اليوم مترددا إلى بعض الأماكن التجارية. ثم ذهبت إلى الأستاذ/ احمد فتناولنا الغداء على مائدته وخرجت أنا حيث مكث الباقون بمنزل السيد/ احمد ولم اعد إلا حينما حان وقت العشاء وبعد تناول العشاء عند هذا السيد/ ذهبت إلى منزل آل الحداد اللطيف وهناك بتنا تحفّنا هالة من الهناء وتغمرنا موجه من السعادة إلى الصباح.

يعلم مما تقدم أن برنامجي لهذا الأسبوع قد تغير تماما وذلك منذ عودتي من باسروان عن الذهاب إلى بندووسو، فلا غرو أن جريت على برنامج جديد، ولا غرو إذا صممنا على استئناف رحله جديده إلى ما لاغ ونواحيها، وجاء يوم الاثنين ونحن عاقدوا العزم فيه على هذه الرحلة.

وما حلت الحادية عشرة (الخامسة ع) قبل منتصف هذا النهار إلا وأنا على قدم الاستعداد لابتداء هذه الرحلة الجديدة إلى مالاغ ونواحيه بعد تلك الرحلة التي لم يكن بالعهد بها من قدم. وما هو إلا أن استقلت بنا السيارة في تلك اللحظة تنهب الأرض نهبا وكانت البهجة والانشراح تملا جوانحنا وكيف لا ونحن في سبيلنا إلى

رؤية بقاع تمثل خير ما أبدعه الله من مظاهر الخصب ومناظر الجمال، وفي طريق بديع تكنفه مجالي رائعة من مناظر الطبيعة التي كانت هذه الجزيرة أثرى بقعه من الأرض فيها • حتى دنونا من منطقة اللاواغ شرعت السيارة تصعد وترتفع وأحسسنا ببرودة الهواء وبدأت قبلات النسيم العليل تقع على قسمات وجوهنا فتنفحها بردا وسلاما. حتى ألقت بنا السيارة إلى فناء منزل السيد/ علي بن سالم الحامد بمدينة المالاغ العجيبة. ولم يكن هذا السيد المحترم في انتظارنا ولكنه مع ذلك قابلنا بسرور وترحيب بالغين النهاية وصلنا إليهم وهم على وشك الدنو إلى المائدة الغذائية فلم نحجم عن مشاركتهم في مد الأيدي إليها وأعلمنا هذا السيد أننا على نية الاستمرار في السير إلى (دى نويو) ثم إلى (سلكتا) ووعدناهم بالرجوع مساء.

ثم امتطينا السيارة متجهين نحو(دى نويو) محل السادة آل القادري حيث أبدلت هناك ملابسي ومضينا في سبيلنا إلى (سلكتا). وعند ولوجنا إلى باب المتنزه أخبرتنا سادنته بان الدخول في مثل هذا اليوم يكون مجانا. دخلنا إلى هذا الموضع فاسترحنا أولا على المقاعد حول إحدى الطرابزات الموجودة وقدم لنا شراب القهوة وطفنا حول البركة وفي الغرف وحول المرافق التي حولها في فرح وسرور ممتلئين إعجابا بما نرى من مظاهر الجمال. ونشوه بما تبعثه تلك المناظر الرائعة في نفوسنا من الأنس والبهجة وأخذت لنا عدة صور فوترغرافية. ثم اتجهنا بعد ذلك نحو دي نويو حيث استرحنا وتناولنا أكوابا من الشاي وما أشبهاه في تلك المواضع مع الشعور بالهواء البارد الجميل وحينئذ ملأت من ذلك الهواء رئتي مطوفا بنظري فيما حولي من الغابات والحقول الزمردية وأحسست بأنفاس السعادة تهب علينا من كل جانب فحمدت الله على ذلك سائلا منه دوام هذه النعمة والتوفيق للوفاء بشكرها وكان القضاء أبى أن يتم لنا هذا وان يشوب هذا الصفو ولو ببعض التنغيص فقد أتيح لنا أن أصبنا ببرد غير مألوف في سلكتا إذ كان مجيئنا إلى هذا الموضع غبَ مطر وزاد الطين بله استحمامنا في (دي نويو) بماء كان بالغ النهاية في البرودة فنتج عن ذلك أن أحس البعض بهزه تشبه الحمى.

عدنا من (دي نو يو) إلى مالاغ فوجدنا السيد/ علي بن سالم في انتظارنا بفارغ

الصبر لا سيما وقد حول الأمر إلى مأدبة دعا لها بعض الأخوان العرب وما استقر بنا المقام حتى قدمت المائدة وملنا عليها مع سائر ضيوفه الكرام ٠ولما فهمت انه لم يعرف عزمنا على الرجوع إلى سورابايا هذه الليلة صرحت له بالأمر وبالرغم من مراجعته فقد أصررت وبينت له عذري وعندما حلت الساعة العاشرة (الرابعة ع) ليلا استقلت بنا السيارة من المالاغ راجعه نحو سورابايا فبلغنا الساعة الحادية عشر (الخامسة ع) وعشرين دقيقه.

وفي يوم الخميس قررت الرجوع بمن معي إلى بندووسو، وحاولت أن يكون سفري صباح هذا اليوم لولا أن الظروف اقتضت أن أتأخر إلى آخر النهار فتناولت الغداء على مائدة السيد/ احمد بن غالب وعندما حلت الساعة الرابعة (العاشرة ع) والنصف مضينا متجهين صوب بندووسو. ثم أننا رأينا أن نعرج على مدينة باسروان وهناك نزلنا على السيد/ عبدالله بن علي الحداد ٠

باسروان

تقع هذه المدينة شرقي بلدة بانقيل ٠ يبلغ عدد سكانها بموجب الإحصاء بعد سنة ١٩٣١م :٣٢٨٣٣ نسمه منهم ١٦٨٢أوربي وهي بلده ساحلية على الشاطئ الشمالي من جزيرة جاوا ولها صادرات من أهمها السكر. وهي حاضرة المقاطعة المنتسبة إليها. وقد تكررت زياراتي لهذه البلدة عدة مرات في جميع رحلاتي إلا أني بالرغم من ذلك لم يتح لي أن أبيت بها ولو ليلة واحدةس.

توساري

وبالقرب من هذه البلدة في تلك المقاطعة نفسها تقع توسارى، وهي قرية على جبل من جبال (تغكير) المتعددة التي وشحتها الطبيعة بوشاح سندسي رائع الجمال وتعد متنزها يقصده الرواد من شتى الأنحاء وهي شديدة البرد جدا لارتفاعها عن سطح البحر البالغ ١٧٧٧ متراء وفيها مسجدان ومدرسة. وفندقان عصريان عظيمان اكثر روادهما من الأوربيين.

زرتها في رحلتي الثانية وأعجبت جدا بما رأيت من مشاهدها الرائعة التي تفعم الصدر بهجة وانشراحا. بلغنا إليها عصرا. وعندما كنا صاعدين إليها مررنا على قرية في سفح ذلك الجبل ثم صعدنا فاجتزنا بقرية أو حي آخر وكان المطر إذ ذاك يهطل غزيرا متتابعا ومازلنا نعلو حتى بلغنا مستوى السحاب فدخلنا بين لفائف تلك السحب فعند ذلك هون السائق من سير السيارة لضعف الرؤية أثناء الضباب حتى مرقنا من هذا إلى مستوى صاح وبلغنا إلى توساري ومنها شاهدنا السحب المتراكمة ماثله بدرجه منخفضة عنا وعندما عتم الليل رأينا البرق يلمع حوالينا واسفل منا في عوارض داكنة اللون فكان ذلك منظرا بهجا له أثره في النفس فتبارك الله احسن الخالقين.

وفوق هذا الموضع يقع بركان (برومو) المشهور وهذا كثيرا ما يقصده السواح لمشاهدته ومشاهدة طلوع الشمس منه إذ كانت تطلع عليه قبل أن تبسط أشعتها على الأرض بأكثر من نصف ساعة تقريبا وحوله يقع جبل (فناجان) العالي ويبلغ ارتفاعه ٢٧٢٤ مترا.

وبقرب جبل برومو يقيم قوم لا يزالون متمسكين بالديانة البوذية وبالعادات التي يرجع تاريخها إلى ما قبل دخول الإسلام إلى هذه البلاد منعزلين عن سائر الناس وهؤلاء من سلالة أسرة ملك (ماجوفاهيت) النازحين عن أواسط جاوا بعد سقوط تلك المملكة الوثنية كما تقدم. وقد انعزلوا في هذا الموضع من تلك الأحيان القديمة وهم مصرون على البقاء في عزلتهم حتى يعود دينهم الأصلي إلى جاوا الذي يعتقدون سفها انه لابد عائد وقد تقدمت الإشارة إليهم في المقدمة.

وقد ذكرت توسارى في قصيدتي الخماسية التي نظمتها عند أوبتي من رحلتي الثانية إلى جزيرة جاوا منوها فيها بهذه البلاد ومعربا عن شديد إعجابي بمناظرها وجمالها فقلت:

وبها توسارى، وما توسارى ... جبل من عجيب صنع الباري

شامخ فوق برها والبحار ... فهو فوق الغيوم بين الذراري

داخل في العوالم العلويه

عود إلى الرحلة

وقد مكثنا في منزل السيد/ عبدالله بن علي الحداد حتى دنا الليل ثم استأنفنا السير إلى بندووسو على ظهر السيارة بلغنا إليها الساعة (الرابعة ع) ليلا، وعدت إلى المنزل الذي ودعته منذ أسبوعين على نية أن أعود إليه بعد حين طويل يزيد على العام الواحد ولكن أبى الله إلا أن أعود إليه بعد نصف شهر فقط، وبت ليلتي بأسعد حال ونعمة إلى الصباح.

وداعي بندووسو

واتى يوم الأربعاء ٢٦ ذي القعدة وأنا متهيئ لمبارحة هذه البلدة وما علا النهار حتى أوعزت إلى من يلتمس لي سياره للسفر إلى سورابايا. وما راعني إلا أن أتى السيد/ محمد بن هدار فرجا مني أن أسعفه بالحضور لتناول الغداء عندهم فلبيت دعوته طوعا لإلحاح رغبته.

لهذا ولسواه تأخر سفري إلى العشية وكان لي هنا حديث عجيب لم أرى حاجة لذكره، وحل موعد السير فوضعت أمتعتي في السيارة ومضيت عليها يصحبني الأخ/ علي بن مصطفى المحضار، وعند ذلك علوت هضاب (الارك ارك) الجميلة مودعا بندووسو البلدة الحبيبة التي ذاق فيها القلب لذة السعادة وتفنن فيها افانين النعيم وهنا أرسلت إليها نظره غامرة لم تلبث أن حالت دونها غمامه من الدمع اغرورقت به العينان ولم يلبث أن طفر الدمع من الاماق على الخدين بائحا عما يكنه الفؤاد من الحب الصادق والوفاء الخالص نحو هذه البلدة وأهلها وقلت وداعا أيتها البلدة التي لم يشغفني لا عمرانها ولا حسن بنيانها ولا أبدع نظامها ولكن شيء واحد امتلاء به قلبي ولم ينطلق به لساني، وداعا يا بندووسو ولكن إلى الملتقى، وعند ذلك بدأت معالم بندووسو تغيب عن عيني:

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفتّ القلب

حتى بلغت إلى بسوكي وقد كنت لا ارتاب في أني سأجد في هذه البلدة (بسوكي)

سياره تحملني إلى (بروبولينقو) ثم إلى سورابايا، ولو خالجني أدنى ريب في ذلك لما استعجلت السفر عن بندووسو ولكن صح مني العزم والدهر أبى.

فما وضعت قدمي في ثرى ارض بسوكي إلا وأنا موجة نظري لالتماس سياره أريد أن تبلغني إلى سورابايا هذه الليلة أو إلى موضع آخر أتحول فيه إلى مطيه أخرى. وارتعت حين قيل لي أن وجود سياره في هذه الساعة إلى (بروبولينقو) يعد كالمستحيل فبذلت لذلك أقصى جهدي ولكني لم أجد فعند ذلك عضضت بنان الندم على مبارحتي بندووسو. وذرفت دمعات عبرت عن كل ما لدي من أسف ولهف على ذلك • فعدت وقد اقفل في وجهي أبواب الأمل في وجود سيارة هذه الليلة، وحين قد أمسيت أمام أمر واقع، عدت مطاوعا الأخ/ علي بن مصطفى على المبيت عند السيد المحترم/ عيدروس المحضار الذي قابلنا بالترحيب وأدى لنا واجب الإكرام والضيافة حيث مكثنا إلى الصباح.

في صباح الخميس ذي القعدة ٢٠ فبراير انتبهت من نومي بمنزل السيد/ عيدروس المحضا ر ببلده بسوكي ثم علوت سياره البيس يصحبني السيد/ علي بن مصطفى الآنف الذكر صوب (بروبوولينقو) أما الأخ/ علي بن مصطفى فنزل بها لبعض أشغاله وعند ذلك ودعته ومضيت في سبيلي نحو سورابايا. فبلغت إليها الساعة الثانية عشر (السادسة ع) ونصف من هذا اليوم. فقصدت الفندق حيث ألقيت ثقلي وحقيبتي، وخرجت إلى مطعم عربي مجاور فتناولت الطعام، وعدت إلى الفندق فوجدت هناك رساله من السادة آل الحداد والأخ/ شيخ البار، فاتجهت إليهم وكانوا في منزل الأخ/ عبد الله بن احمد الحداد فجلست معهم برهة ثم استأذنت في الخروج وتواعدنا إلى الفندق في هذه العشية، أما أنا فذهبت إلى الأستاذ /احمد بن غالب ثم خرجت من عنده قاصدا مكتبة ابن نبهان فابتعت بعض الكتب وأخذتها معي إلى الفندق وذهبت إلى أحد المزينين، ثم عدت إلى الأستاذ/ احمد بن غالب ولم البث إلا يسيرا وحين عدت إلى الفندق وجدت الأصدقاء آل الحداد والسيد/ شيخ البار في انتظاري فوضعت ما بيدي هناك ونزلت إليهم. وذهبنا معا لشراء تذكره للسفر غدا في قطار الصباح إلى بتا فيا واتجهنا إلى قرسي. فأوصلنا الأخ/ شيخ البار وكانت لنا

هناك نزهة شائقة ورجعنا أدراجنا إلى سور ابايا حيث قصدت منزل الأستاذ/ احمد بن غالب حيث تناولت طعام العشاء على مائدته ثم حضر الأستاذ/ عيدروس المشهور والسيد اللطيف/ مهدى بن عبد الله بن احمد، وبعد ذلك وادعت الأستاذ/ احمد وخرجت فعجت على بعض الأقارب وعدت إلى الفندق،فوجدت الأخ/ عبدالرحمن الحداد وجاء بعد الأستاذان/ حامد وقيدان وعند ذلك هيأت أمتعتي وحقائبي وخبأتها ثم أتى الأخ/ عبد الله الحداد ولم يلبث طويلا وجاء بعده ابنه وخرج الجميع بعد الموادعة وتبادل عبارات الوداع المعتادة وأويت إلى الفراش.

مغادرتي سور ابايا

انتبهت فجر يوم ٢٨ ذي القعدة عام ١٣٥٤هـ، ٢١ فبراير عام ١٩٣٦م ـ نشطا للتهيؤ للسفر وأخذ تمام الاهبة للرحيل عن شرق جاوا إلى غربها لأبحر من بتافيا إلى سنقافورا. فهاهو هذا اليوم الذي قررت آن يكون موعد مبارحتي سورابايا متجها نحو بتافيا، سورابايا العجيبة ذات المباني الفخمة والمركز المهم في التجارة وتصدير البضائع، سورابايا التي يتديرها من الإخوان والأصدقاء من يفوت ذكرهم الحصر، المدينة التي لقيت من شمم أهلها وحسن ضيافتهم ووفاء عهدهم ما نوهت به وما لم انوه به وها أنا ذا مترحل عنها مزودا منها بذكريات عذبه وعواطف فياضة نحوها ونحو أهلها، أهلها الذين لاحظوني برعايتهم وحاطوني بعواطفهم وأدوا نحوي فوق ما يجب من إكرام الوفادة وحسن الضيافة وسمو الأخلاق التي دلت بوضوح تلم عن كرم نفوسهم وصراحة عروبتهم فسلام الله على سورابايا وعلى مناظر سورابايا وعلى من تدير سورابايا من بني العرب الاقحاح الذين برهنوا على أنها لا تزال تجرى في عروقهم دماء أبطال العروبة من عدنان وقحطان ومما قلته بعد فراق هاتيك البلاد:

كم جلا الله فيك للحسن آيا	**فعليك السلام يا (سورابايا)**
لك عندي على النوى ذكريات	**وهوى لا يزال ملء الحنايا**
خطرت حولك الطبيعة بالحس	**ن وزفت لك الرياض التحايا**

واكتست هضبها مطـارف و شـي	ابدعتها ايدى السحاب السـخايا
قدرت فضلك الطبيعـة لاشـ	ـك فاهدت اليك اسنى الـهدايا
ووراء السـجوف منـك	درار حسد الدر مالها من مزايا
من حسان شببن في رفـة العيـ	ش وغذين في النعيـم صبايا
لـو تطيق الأصداف القـت لآ	ليها وحلت لها محل الحشايا
تتمنى الأقمـار لـو حظيت يو	مـا فكانت لحسنهن مرايا
ربـي رحمـاك. سقتهن إلينا	فتنا وزّعت علينا البلايا
بعيون سحرية اللحظ حـور	كنت حولها المنى والمنايا
مـا قضى الله بالحجاب عليها	عبثا بل ترفقا بالبرايا
افعند القلوب كان لها ثـار	فجُرت على القلوب الرزايا
قـد تملكت ياجمال فاسجح	واتق الله في قلوب الرعايا
جاوه أنت للطبيعة مجلىً	بـرزت فيه للجمال الخبايا
جنة الشرق هزني نشو ذكرا	ك فأظهرت من هواي الخفايا
سكر القلب من حميّاك سكرا	لم تزل منه في الفؤاد بقايا
يا بلادا غذيت من حسنها رو	حي وفيها بلغت أقصى منايا
كيف أنسى على النوى ليت شعري	بكرى في رياضها والعشايا
فرص قد غنمتها في ضحى العمـ	ـر أعادت عليَّ فجر صبايا
لست أنسى لديك اخوان صدق	كرموا مغرسا وطابوا سجايا
من كهول اعزة وشباب	بلغوا في مراتب العز غايا
كرموني بفضلهم فوق ما ار	جو وشأوا بمجدهم من علايا
وبنفسي احبه بعد البعد	فما كان شأنه عن رضايا
إن شجاهم جوى البعاد فلا غر	وفيا شد ماطال شجايا
كلما مر ذكرهم في خيالي	غرقت في دموعها مقلتايا
ومتى آهت آهةً من ولوعي	طار من حرّها الفؤاد شظايا
لست اسلوك والحبيب ولا اس	لو على البعد ذكريات هوايا

اذ عقدنـا عـهد الغـرام والّيــ نا كلانا علـى ثـراك الالايـا
لو يطيع القضـاء ودعـت اوطـا ني والقيت في ربـاك عصايـا
ولـو انـي اطقـت طـرت لمغنـا ك ولو ا ركب المنـون مطايـا
اظـهرت نحـوى الليـالي نوايـا ها لـهذا قضـت علـيَّ نوايـا
ادم اسـوتي اصخـت لابليــ س فودعـت جنتـي وهنايـا
هل بوســع الاثـير يحمـل قبـلا تي فتهدي إلـى ربـاك تحايـا

أجل لقد نهضت نشطا هذا اليوم فاغتسلت وأديت الفريضة وما انتهيت منـها إلا وقد حضرت سيارة صديقي السيد/ عبد الله بن احمد الحـداد لتقلنـي إلـى المحطـة فعلوتها مغتنما القطار السريع الذاهب توا إلى بتافيا، وهناك وجـدت السـيد/ محمـد الحسني ذاهبا معي في هذا القطار نحو بتافيا وحضر معه لتوديعه السيد/ عمـر بـن عبد الله السقاف (الفجره)، فاغتنمت مصادفة وجود هذا السيد لتلافي أمر غفلت عنـه إلا وهو الإبراق إلى بتافيا بسفري نحوها، فرجوت منه ان يبعث بتلغراف إلى السـيد/ علي بن عبد الله الحامد بتوجهي في قطار اليوم.

ثم جرى بنا القطار رويدا حتى جاوز عمران المدينة أطلق السـائق لقاطرتـه عنان سيرها حتى كنا نرى بعض المناظر القريبة جدا تمـر بأعيننـا مـر البرق الخاطف، ومضينا نستعيد قراءة آيات الطبيعة التي طال عهدنا بها منذ أربعه اشـهر، فكانت لنا بها أبدع نزهة أتيحت لنا ونحن على ظهر هذا القطار طول يومنـا، وهـو ماض بنا يعتسف السهول ويتسلق الهضاب كالسهم حينا وكالأفعى تارة، حتـى لقـد خطر إذ ذاك قول الشاعر العراقي جميل الرصافي في ذلك:

وقـاطرة ترمـي الفضـاء بدخانـها وتملأ صدر الأرض من سيرها رعبـا
لـها منخـر بيـدي الشـواظ تنفسـا وجوف به صـار البخـار لـها قلبـا
تمشـت بنـا ليـلا تجـرّ وراءهـا قطارا كصفّ الدوح تسـحبه سـحبها
فطورا كعصـف الريـح تجـرى شـديدة وطـورا رخـاء كالنسـيم إذا هبَّـا
تساوى لديها السهل والصعب في السـرى فما استسهلت سهلا ولا استصعبت صعبـا

تـدك متـون الحـزن دكـا وإنـها لتنهب سهل الأرض في سيرها نـهبا
يمـر بـها العـالي فتعلـو تسـلقا ويعـترض الـوادي فتجتـازه وثبـا
وتخـترق الطـود الأشـم إذا انـبرى وقد وجدت مـن تحـت قنتـه نقبـا
يـرن بجـوف الطـود صـوت دويـها إذا ولجت في جوفـه النفـق الرحبـا
لـها صيحـة عنـد الولـوج كأنـها تقول بها يـاطود خـل لـي الدربـا
وتمضـي مضـي السـهم فيـه كأنمـا ترى افعوانـا هائجـا دخـل الثقبـا

ويطول المقال لو أردت وصف ما عنَ لي من مناظر الطبيعة ومعارض الجمـال في هذا اليوم وحسبي ما أشرت إليه عند ذكرى قصة ذهابي إلى شرق جاوا، وبلغنـا إلى بتافيا الساعة السادسة (الساعة الثانية عشرة ع) والربع عند الغروب حيث ألفيـت الأخوين/ علي بن عبد الله الحامد وعبد الله بن هود الحبشي في انتظاري.

صولو Sarakarta

ومن البلدان التي اجتزنا بها مدينة (صولو)، وهي حاضرة لمنطقة سـوراكارتا يحكمها سلطان وأمير كما تقدم وهما من سلالة سلاطين مملكـة متـارم mtaram القديمة، أما السلطان فاسمه إذ ذاك عبد الرحمن سيدين العاشر، وقد توفي بعـد ذلـك عام ١٩٣٩م ويلقب هذا السلطان بالسوسو هونان soseoehoenan وتعرف منطقتـه باسم سوراكاتا اوصولو ويعد اكبر عاهل وطني في جزائر الهند الهولانديـه ولـهذا السلطان عناية واهتمام بإقامة الشعائر الدينية الإسلامية.

أما الأمير فاسمه مانكو جورو السابع وفي الصولو تتمثل الحياة الجاويه بـأحلى مظاهرها فكثيرا ما يرى فيها من ذوى الهيئات الغربية والأزياء العجيبـة التقليديـة العتيقة التي ترجع إلى عهد قديم جدا وهم متعصبون للمحافظة عليها لاسـيما اتبـاع السلطان.

أما سكن السلطان فهو (الكراتون) أي القصر السلطاني وهو عبارة عن بلدة فـي قصر طول سوره الخارجي ٧٢٥ ياردة أما عرضه فهو ٥٢٥ يـاردة ويبلـغ عـدد

سكان هذا القصر ما ينيف على العشرة آلاف نسمه من اتباع السلطان.

ويبلغ عدد سكان مدينة الصولو ١٦٣٠١٣ نسمه وعدد العرب منهم ١٢٠٠ نسمه وأعمال العرب هناك كلها متعلقة بـ(الباتيك) زركشة الأزر، على انه دخل الآن في أعمالهم نسيج الأزر الحريرية وسواها.

زرتها في رحلتي الثانية ونزلت ضيفا على السيد الفاضل سالم بن بصري السقاف حيث لاقاني بكل حفاوة وترحيب وزرت بعض العرب بها ومنهم السيد/ حسين بن شهاب، وهو سيد ذو شيبه وقور ذو أخلاق جسنه وحسن مقابلته ومنهم السيد سقاف بن محمد السقاف منشئ مدرسه النهضة بسيؤن والشيخ/ عوض شحبل نقيب العرب بها ومنهم الأخوان الأدباء علي باعبود وحسن الحبشي وطه بن عبيداللاه والأستاذ الهاشمي السابق الذكر وسواهم ممن حملتهم الأخلاق العربية بأن أدوا إلى ما يلزم من الإكرام والتأهيل.

السيد سقاف بن محمد السقاف

أما السيد سقاف بن محمد السقاف فهو أحد الشخصيات اللامعة في تاريخ الإصلاح الحضرمي، هو ذلك العلوي الغيور الذي ضحى بأوقاته وأعماله الشخصية بل وتجارته أيضا في سبيل إصلاح الوطن والنهوض بالتعليم فيه، سعى لا نشا مدرسه النهضة العلمية فجمع من الغيورين من أبناء وطنه ما لا جزيلا، بعد كد وكدح في سبيل هذا الغرض الشريف والعمل الصبور، فما لبث متنقلا بين مدن جزائر الهند الشرقية من ملايا إلى شرق جاوا حتى توصل إلى غرضه المنشود، ومن ابرز الذين لبوا دعوته وقاموا بتعضيده السيد المحسن/ عمر بن محمد السقاف ويليه الشيخ / احمد بن محمد باكثير، أما فضيلة السيد/ أبو بكر بن طه فقد شاركه في سعيه وعمله وكاتفه فيه وكانت له يد لا تنكر، وبعد أن اجتمع للسيد سقاف المال المطلوب اشترى به عقارا بسنقا فوره وسرابايا: ثم عاد إلى وطنه يصحبه السيد/ أبوبكر المذكور وافتتح مدرسه النهضة العلمية المشهورة، وما لبث أن ابتنى لها دارا فخمه بسيؤن لا تزال تشهد له بصدق الوفاء وكمال الإخلاص لدينه ووطنه.

ولد هذا السيد بسيؤن حضرموت، وعرفته شخصيا أيام إقامته بحضرموت بعد رجوعه من المهجر عند افتتاحه مدرسة النهضة العلمية وكنت من التلاميذ الذين انتظموا فيها من بادئ ذي بدء، وتكررت اجتماعاتي به في الوطن ثم في سنقافوره وجاوا في رحلتي الأولى والثانية فرأيت فيه رجل أديبا لطيفا دمث الأخلاق حلو الحديث جدا، إلا انه تعروه عند الغضب حدّه تخرج به عن طوق الاختيار، مع ذلك فهو معروف عند الجميع بسلامة الصدر وصفاء الباطن عن الحقد وتربيه العداوة.

وخلاصة الأمر أننا إذا عددنا آثار مصلحي حضرموت البررة في وطنهم فآثر سقاف ولا شك في طليعة آثار أبنائها المخلصين، توفي بمدينة الصولو عام ١٣٥٥هـ رحمه الله تعالى.

النقيب عوض شحبل

والنقيب / عوض شحبل هو أحد آل شحبل سكان وادي رخيه جاء قديما إلى سيئون أيام الحبيب علي بن محمد الحبشي، ثم رحل بعد ذلك إلى جاوا وسكن مدينة الصولو وجمع ثروة وعين بعد نقيبا للعرب، وهو رجل ذكي خفيف الروح فيه نزعه مائلة إلى التجدد ومن آثاره المدرسة العربية الهولانديه بالصولو، سعى في إيجادها لكي يجمع بين الثقافتين العربية والأوربية، وقد خالفه في هذا الرأي كثير من العرب فشدوا النكير عليه في المجالس وبعض الصحف ولكنه لم يأبه ولم يزده ذلك إلا إصرارا واستمرار، ومما يدل على نزعته التي ذكرت أنني لقيته في محطة القطار ويده في يد بنت فهمت أنها إحدى تلميذات المدارس فسألته عنها فقال: هذه تنتسب إلى امرؤ القيس الكندي والى المارشال (هند نبرج) فقلت لعلها عربية أمها أوربية على أن سحنتها تبدو غير دالة على ذلك ولكنه استمر قائلا: إن جدها في النسب امرؤ القيس وجدها في التعليم هند برج، ففهمت انه يعني النسب والثقافة وقيل لي إنها أبنته.

وله ضلع كبير في الحركات في جاوا وقد رأيت له منشورات متعددة بإمضائه يسمي نفسه فيها المتوكل على الله ووجه أحدها إلى الأستاذ العالم عبدالعزيز الرشيد

الكويتي، افتتحه بقوله من المتوكل على الله عوض شحبل إلى المتوكل على الناس عبد العزيز الرشيد وقبل أن انتهي من ذكره ينبغي أن انوه بأنه أحد الذين أدوا نحوي واجب الحفاوة وحسن الاستقبال مما يستحق به مني الشكر وهو لا يزال الآن بالصولو حيا يرزق.

السيد محسن بن عبدالله السقاف

أما السيد/ محسن بن عبد الله السقاف فهو فاضل في سن الشيخوخة، وهو سيد فقيه واعظ ولسلطان صولو فيه حسن ظن وقد منحه نيشانا، وهو ابن القاضي العلامة/ عبد الله بن محسن بن علوي المشهور وأخو شيخ شعراء حضرموت السيد احمد بن عبدالله، عرفته بحضرموت في عهد الصبا والمراهقة وهو إذ ذاك قد بلغ سن الكهولة، ثم عرفته بصولو وقد دخل في دور الشيخوخة وقد كانت له أيام إقامته بسيئون حضرموت علاقة بالفتاوى ووقع بينه وبين بعض علماء سيئون البارزين خلاف في قضايا أدى إلى تأليف كل منهم رسالة في ذلك، وكان له فيما مضى ولدان شابان أحدهما اسمه عبدالله والثاني محمد فالأول قد تزوج في ذلك العهد وتوفي بعد ذلك وأما الآخر فقد اختارته المنية بعده وقد طر شاربه فذهب مأسوفا على شبابهما ولم يكن له إذ ذاك ولد ذكر غيرهما، وأظن أن السيد/ محسن لم تطب له حال بعد هذه النكبة فرحل عن حضرموت، ثم انه رزق بالمهجر أولادا ذكور.

أما الأثر الذي ينبغي أن يعد في أعمال هذا السيد الخالدة فهو افتتاحه مدرسه بسيئون كنت أنا وأنا في عهد الصبا أحد المنتظمين فيها والمنتفعين بها، وهي فيما اعلم أول مدرسه أنشأت بسيئون ولا يزال هذا السيد الآن متمتعا بالصحة في مدينة الصولو أطال الله عمره.

السيد علي باعبود

والسيد/ علي بن محمد باعبود العلوي شاب أديب مطلع ذو عزم ولوع بالمطالعة إلى حد كبير زرته بصولو فوجدته على نهاية قرآته تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر

الخطيب، فأطلعني على تقييدات له هامة حافلة، وقال أن هذا شأنه عند قرأته الكتب المهمة وقد سبق لي أن ذكرت إن عهد توثق صداقتي له يرجع إلى زيارتي الأولى لجاوا حين صادفت وجوده ببقور في منزل العلامة الكبير السيد/ علوي بن طاهر الحداد، وقد رحل السيد/ علي بعد إلى مصر للاستفادة والورود على مناهل العلم بها، وله آثار أدبية نشرتها الصحف، وعندما عزمت على طبع ديواني نسمات الربيع أسندت إلى هذا الصديق إن يقوم بمهمة إخراجه وطبعه لوجوده بمصر فقام بذلك خير قيام جزاه الله خيرا.

السيدان طه بن عبداللاه السقاف وحسن الحبشي

أما الصديقان الآخران وهما السيد/ طه بن عبدالله بن احمد السقاف والسيد/ حسن بن عبدالله الحبشي فعلويان أديبان لهما فضل وأدب إلى ذكاء وفطنه أما السيد طه فاشتهر بخفة روحه ونكاته اللطيفة، أما السيد/ حسن فكاتب مجيد وشاعر أيضا حسن الشعر على أن كلا منهما قد يشارك الآخر في بعض مميزاته، وعندما زرت معهما ومع الأستاذ/ علي باعبود أجدى برك السباحة بجوار مدينة صولو وجدنا بها بعض الأجانب المستحمين، ومما جرى في تلك المرة أن جرت مساجلة شعرية كان مبدؤها أن قال السيد/ طه شطرا شعريا على البديهة وأظنه هذا: يا منظرا يعشى العيون بهاؤه فأتمه أحدنا وأجازه الآخر واستمر هذا التساجل ولا أذكر منه إلا هذين البيتين مما شاركت به في هذه المساجلة البديهية:

فكأنه بدر منير سابح ... في البركة الخضراء وهي سماؤه
لما لا يضاهي البدر وهو شقيقه ... أو لا يحاكي الزبد وهو غذاؤه

وهذان الشابان لا يزالان مقيمين بمدينة صولو إلى اليوم.

السيد سالم بن بصري

والسيد / سالم بن بصرى السقاف علوى في سن الكهولة حسن الأخلاق يترأس

شركة بن بصرى الباتيكيه، التي أسسها أخوه المرحوم/ علوي بن بصرى المتوفي بحضرموت عام ١٣٤٩هـ وأشركه بها السيد/ سالم فوق ما ذكر طيب الشمائل لا يزال منزله ملجأ للضيوف ويغلب عليه الصمت في المجالس وهذه المرة كانت بداية معرفتي بهذا السيد الفاضل لأنه رحل عن الوطن من عهد قديم ولا يزال مقيما على عمله إلى الآن بمدينة صولو، وهناك اجتمعت بكثير من الأخوان والأصدقاء منهم السادة الأفاضل الأخ الفاضل/ محمد بن عبدالله بن حسين والأخ/ عبدالله بن سالم والأخ اللطيف / حسن بن حسين والأخ الشاعر احمد بن محمد بن حامد السقاف، والأستاذ/ قيدان وسواهما ممن يطول عدهم.

جكجا

ومن المدن المهمة التي مررنا بها (جكجا) وهي مدينه عظيمة تعد عاصمة مقاطعة جكجاكارتا djacjakarta وهذه إحدى المقاطعتين المستقلتين والثانية الصولو التي انتهينا من ذكرها تبلغ مساحة سلطنة جكجا ١١٦٧ ميلا مربعا و٩٥% من هذه تحت حكومة السلطان واسمه هامانكوبورنو الثامن hamonkoe boerono ومنطقته تسمى جكجاكارتا وتتبعهما ٨٠٠ بلدة وقرية أما الباقي من المساحة المذكورة فهو تحت حكم أمير اسمه باكو علم السابع ومنطقته تسمى باكو علمان ويتبعها خمسون بلدة وقرية. أما مدينة جكجا فهي مدينه عظيمة عمرانية وقد بلغ عدد سكان المدينة بموجب إحصاء ١٩٣٠م : ١٣٦٥٥٤ نسمه منهم ٥٦٠٣ أوربي ويبلغ عدد سكان الكراتون وهو القصر السلطاني ثلاثين ألف نسمة.

وفي هذه المدينة مركز جمعية المحمدية وقد سبق لي الإشارة إنها جمعية كبيرة لها خمسمائة مدرسة منتشرة في أنحاء جزائر الهند الشرقية الهولانيه منها في جكجا مائة مدرسه بها أربعة آلاف طالب ولها ثمانية مستشفيات كل أطبائها من الجاويين، تتولى الجمعية الإنفاق على ذلك، وذلك من تبرعات الأعضاء ومن الإعانة الحكومية التي تبلغ سنويا مائة ألف روبيه وفي جكجا يتفنن الأهالي في صناعة الأزر المزركشة (الباتيك) على أشكال وألوان جيده، كما يتفننون أيضا في الحفر على

النحاس ولهم غير ذلك من الصنائع.

سماراغ

ومن المدن المهمة التي سبق لي عهد بزيارتها مدينة سماراغ وهي مدينه سياحية على الشاطئ الشمالي من جزيرة جاوا، وتعتبر ميناء للقسم الكبير من جاوا الوسطى يسكنها ٢١٨ ألف نسمة منهم سبعة وعشرين ألفا من الصينيين و١٢ ألفا من الأوربيين و١٠٩٠ نسمه من العرب ومن صادراتها من السكر والنارجيل المجفف والتبغ والقطن وخشب الساج، وبها حي جديد يعد متنزها لأهلها وزوارها واقع على تل مشرف على المدينة من ناحية الجنوب ويسمى (جاندى باروا).

زر ت هذه المدينة عام ١٣٤٦هـ فنزلت على السيد/ محمد بن شيخ السقاف وهو علوي من سكان سيؤن تصلنا به صله الجوار وقد زرت معه شاندي بارو المشار إليه وهو تل عجيب جدا يبعث منظره في الفؤاد نشوة السرور والفرح، إذ يلوح للعين كأنه الزمردة الخضراء موشحا بمنازل جميلة هي غاية الحسن واللطافة ماثله على ظهره عن يمينه الصاعد في طريق هذا التل وشماله حتى يبلغ الذروة شأن كثير من التلال في هذه الجزيرة الخصيبة والى ذلك أشرت في قصيدتي الخماسية حيث قلت في وصف بعض هذه الجبال :

وعلى بعضها تلوح القصور ... كل قصر له من العشب سور
نسقوها على طريق يدور ... فهي في صفحة الجمال سطور

رسمتها الصناعة الفنيّة

وكأن الفن الحديث رآها ... فأطباه جمالها وبهاها
واعترافاً بصنع باريراها ... قدّر الفن حسنها فحياها

من لدنه قلائدا جوهرية

باكا لوغان

ومن البلدان التي وقفت بمحطاتها ولم أوفق لزيارتها(باكالوغان) وهي ميناء على الشاطئ الشمالي أيضا من جزيرة جاوا، يصدر منها السكر أيضا والشاي والكينا، وهذه المدينة مشهورة بإتقان صناعة الباتيك اعني صباغة الأزار بأصباغ ونقوش عجيبة.

مررت بها في زيارتي الأولى عام ١٣٤٦هـ وأنا عاقد العزم على العودة إليها لزيارة فضيلة الإمام الحبيب/ احمد بن طالب العطاس، ولكن جرى ما ليس في الحسبان إذ أزعجتني برقيه من والدي بحدوث أمر يستحثني من اجل تعجيل السفر للأوبة إلى سنقافوره بأسرع ما في الإمكان فعدت أدراجي ولم أتمكن من دخولها.

فضيلة الإمام احمد بن طالب العطاس

هو السيد/ احمد بن عبدالله بن طالب العطاس العلوي الإمام الكبير والصالح الشهير ذو الكرامات الخارقة والمناقب الفائقة، علامة لا يطاول وصوفي بحره لا يساجل، ولد ببلدة الهجرين بحضرموت عام ١٢٥٥هـ ثم رحل إلى الحرمين وتلقى العلم عن مشائخ عديدين، ثم رحل إلى جاوا نحو سنة ١٢٩٢هـ وتدير بلدة باكالوغان وهناك عرفت مواهبه واشتهرت في الناس مناقبه، فقصده الناس من شتى الأنحاء لزيارته والأخذ عنه والتبرك به، وحج أول حجه سنة ١٢٨١هـ وفيها حج السيد الصالح محمد بن إبراهيم بلفقيه برا.

وكان صليبا في الدين صادعا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يفرق بين شخص وآخر أيا كان حاله وكيف كانت هويته لذلك كان مهيبا عند العرب وسائر المسلمين على السواء، ومن الطرائف انه اشتهر بزجر النساء اللاتي يكشفن رؤوسهن في الشوارع وغضبه عليهن حتى كن أعني النساء الوطنيات يتحامين المرور في الأماكن التي يتوسمن وجوده بها واتفق أن بنتا وطنيه لا تزال صغيرة السن صادفته على الطريق فحين شاهدته ارتبكت إذ رأت أنها أمام أمر واقع وخافت

صولته فما كان منها إلا أن رفعت إزارها من أسفله وسترت به رأسها غافلة عن إنها كشفت ما هو أحرى بالستر فصاح بها ولوى رأسه عنها حتى هربت.

أما العلويون فكان شديدا عليهم بوجه أخص حتى كان لا يقصده القاصد إلا وقد تحرى أن لا يكون عليه في زيه أو هيئته أو ملبسه ما ربما يراه الحبيب مخالفا لعادات السلف، وبالجملة فقد كان من الصلاح والزهد والتواضع والصلابة في الدين والدعوة إلى سبيل الرشاد على جانب عظيم هيهات ان يوجد لدى غيره في عصره، توفي سنة ١٣٤٧هـ رضي الله تعالى عنه ومن مشايخه السيد/ احمد دحلان المكي والسيد/ حسن بن علي الكاف والسيد/ أبو بكر بن عبدالله العطاس.

عودة إلى الرحلة في بتافيا

بلغت محطة بتافيا الساعة السادسة (الثانية عشره ع) وربع عند الغروب بعد أن اخترق بنا القطار اغلب أراضي هذه الجزيرة وقطع نحوا من ثمانمائة كيلومتر في اقل من اثنتي عشرة ساعة، ولم يطرأ على هذه المسافة بقادمه ولم يقفز عليها بساق ولا قدم بل ولم يخط عليها خطوة واحدة ولكنه زحف عليها زحف الأفعى بحيث لم يترك من شقة طريقه إصبعا واحدا إلا ونال حظه من مباشرته ونقله، وسبحان الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

وعندما ألقى القطار مرساه وهاجم أبوابه جماعة الحمالين أشرت إلى بعضهم بأن يأخذ حقائبي ونزلت مع الأخوين/ علي بن عبدالله الحامد وعبدالله بن هود الحبشي اللذين تفضلا باستقبالي إلى المحطة، أما زميلي السيد/محمد الحسني فنزل قاصدا منزل السيد/ عبدالرحمن بن شهاب.

ذهبت إلى حي تاناباغ، وعدت إلى منزل الأخ/ علي الحامد بعد غيبتي عنه أربعة اشهر منذ يوم ٧ شعبان، وهنا لاقيت من الحفاوة والترحيب ما يفوق الوصف وبت في هناء وراحه إلى أن سفر وجه الصباح المنير صباح يوم السبت ٢٩ ذي القعدة ٢٢ فبراير الصباح الذي كنت انتظره بفارغ الصبر لكي اعد العدة واخذ الأهبة للسفر في عشيته، وبعد أن أدينا فريضة الصبح تقدم إلي الأخ/ علي الحامد راجيا مني أن أتأخر عن السفر في باخرة اليوم فشكرته على عواطفه مصرحا له بتصميمي على السفر وأنني قد مكثت في هذه العاصمة عند قدومي مده طويلة ويكفيني ما لقيته من عنايته واحتفاله مما فيه الكفاية ويزيد على الواجب وأنني أعد بناء على ذلك من العبث محاولة تأخيري عن ذلك، وجاء الشيخ/ عبدالرحمن جواس فخرجنا معا للسؤال عن الباخرة وميعاد سفرها ولابتياع بعض الحاجيات، ولم اعد إلا وقد قطعت لي تذكره في الباخرة التي ستبحر عصر هذا اليوم إلى سنقافوره.

الشيخ عبدالرحمن جواس

أما الشيخ/ عبدالرحمن فهو عبدالرحمن بن عمر بن احمد جواس، كهل ذكي الفؤاد حاد الذهن نشيط في أعماله محب للتدخل في الشئون الاجتماعية، وله بتطور الحركات العربية بجاوا خبرة تامة لأنه شارك فيها من بادي الأمر فترأس إحدى الجمعيات إلا أنه ما لبث أن عارض فيها بعض المبادئ فاختلف مع بعض رجالها الاختلاف الدي أدى بعد إلى الاختلال، ولما أقيمت الرابطة العلوية كان في طليعة الملبين لدعوتها والمشاركين في أعمالها كما قص علي ذلك بنفسه

وهو نجل الشيخ/ عمر جواس الملقب عند بعضهم (سلمان أهل البيت) المقيم كسائر عشيرته بسيئون والمتوفى بقرية ثبي قرب تريم والمقبور بها في ١٤ ذي القعدة عام ١٣٤٠هـ.

عرفت عبدالرحمن جواس المذكور معرفة شخصية بسنقافوره عند قدومي إليها عام ١٣٥٠هـ بمنزل السيد الكريم/ عبد الرحمن بن شيخ الكاف ثم تأكدت بعد ذلك وقد علمت بوفاته فيما بعد عن مرض الزمه الفراش سنة ١٣٥٦هـ رحمه الله تعالى وكانت وفاته في بلدة بوقور ودفن بها.

السيد علي بن عبدالله الحامد

أما السيد الذي عاملني بلطف تام وحفاوة زائدة وجعلت داره في عاصمة جزائر الهند الشرقية نزلا لي مدة إقامتي بها عند قدومي إلى هذه الجزيرة وإبان أوبتي عنها فأدى لي فوق ما ينبغي من حسن الضيافة والاحترام، فهو السيد/ علي بن عبدالله بن صالح بن عقيل الحامد من آل الحامد بن الشيخ ابي بكر العلويين، سيد شهم طيب القلب، له أخلاق حسنه تدل على كرم الأرومة وكان إذ ذاك في بداية سن الكهولة، وقد تكرر ذكره مرات عديدة في هذه الرحلة.

عرفته بسيئون حضرموت وهو في سن الشباب، ورحل إلى جهة الساحل وكان أيام الحرب العظمى متجرا في بعض البضائع يتردد بين بعض سواحل جزيرة

العرب، ثم رحل بعد إلى سنقافوره فجاوا واشتغل فيها بالتجارة وجمع له ثروة بمدينة بتافيا التي لا يزال مقيما بها إلى الآن ومما ينبغي التنويه به حسن صنيع هذا الأخ معي وكونه في طليعة الإخوان الذين أدين لهم بالشكر والثناء لما أدوه نحوي من الحفاوة والإكرام في رحلتي الثانية والثالثة، الأمر الذي يكاد يكون خارجا عن حد الاعتدال جزاه الله عن ذلك خير الجزاء.

عود إلى الرحلة، الأوبة إلى سنقافوره

حلت الساعة الثانية (الثامنه ع) والنصف تقريبا من يوم السبت ٢٩ ذي القعدة من سنة ١٣٥٤هـ ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٦م ونحن متجهون نحو (تانجوغ فريوك) مرسى بتافيا على أنني عرجت على بعض المستودعات التجارية لابتياع بعض الأمتعة كما أنني مررت أيضا على إدارة التلغراف فبعثت ببرقية إلى سنقافوره بسفري هذه العشية، وعلوت ظهر الباخرة. وعند ذلك تسلمت المائة وخمسين روبيه ضمانة الدخول، ولم تدفع إلي إلا بعد نزاع ولأي ثم خرج المودعون بعد أن بثثت لهم ما حملته جوانحي نحوهم من العواطف والذكريات الودية شاكرا لهم ماعاملوني به من حسن الصنيع والحفاوة التي أبقت في النفس أثرا لا يمحوه مر الأيام.

وماحلت الساعة الرابعة (العاشرة ع) بعد العصر إلا وقد تحركت الباخرة مبحرة بنا عن (تانجوغ فريوك) ورأيت فيها بعض من اعرفهم من الاخوان العرب منهم السيد/ حسين بن علي السقاف (جفل) والسيد محمد الحسني.

وفي تلك الساعة ألقيت آخر نظرة على جزيرة جاوا الجميلة، جاوا التي شغف الفؤاد بحبها، وابتهج بمناظرها، جاوا التي حوت من مناظر الجمال ومباهج الطبيعة ما يعز أن يوجد في سواها، فاستحقت به ان تسمى جنة الشرق وفردوس الاستواء، تلك الجزيرة البديعة التي خصها الله بما خصها من المنتزهات والمباهج التي تملأ بالمرح فؤاد الأديب وتفعم بالنشوة والطرب قلب الشاعر، وتبعث فيه روحا ترفعه عن ارض المادة إلى سماء الفن والجمال، فيخرج عن أسوار نفسه وحسه إلى عالم آخر زاهر منير، يذكر بعالم الروح المطلق وحياة الخلود.

هاانذا أفارق هذه الجزيرة الخصيبة بقلب واجف ودمع واكف، لا على ما فاتني من جمالها ومباهجها فحسب، ولكن فوق ذلك على اخوان فارقتهم بها وقد اضمر القلب لهم شديد الولاء وانطوى لهم على اخلص الوفاء، وعلى احبه زايلتهم على مضض وغادرتهم على كره، وودعتهم وفي العين قذى وفي الحلق شجى، وأنا اعلم علم اليقين انهم على حال من الفراق لا ينقص ان لم يزد على ذلك.

هاهي هذه الباخرة تجرى بنا متجهة نحو الشمال وقد أوشكت أن تغيب عن عيني مناظر جاوا، وما هي إلا دقائق حتى بدأت السواحل الجاويه تبتعد ويغيب بعضها بعد الآخر حتى أوشكت أن لا ترى، ثم ماذا؟ ثم غابت عني جاوا وبداء يبتعد عني هواؤها الطلق الطيب ونسيمها الندي العليل، ولكن ياترى هل يغيب عني خيالها، وهل تنسى لدي ذكرياتها؟ كلا.

كيف انسى على البعاد عهودا لو سلا المرء نفسه ماسلاها

فسلام الله على جاوا وعلى سكان جاوا وعلى ما خلعه الباري على جبالها وسهولها وبطاحها وأوديتها وعيونها وأنهارها ورياضها وحدائقها وسائر متنزهاتها من دواعي البهجة وفنون الجمال. ومما قلته بعد رحلتي الثانية إليها قصيدتي الخماسية التي أودعتها ديواني (نسمات الربيع)، ولا بأس بإيرادها هنا وهي هذه:

قسما يا جاوا بكل اليه لست إلا بنت الجنان العليه
حبذا أنت من بلاد رخيه البستها كف السحاب السخيه

حللا من نسيجها سندسيه

كم جرت فيك للجمال عيون وغذا الفن فيك كنز مصون
فيك حسن تحار فيه العيون دون ادراكه تزل الفنون

وتعَي الخواطر الشعريه

من رواب مخضلة وأراضي ترتوي من ماء بها فياض

وحقـول مبتلـة وغيـاض وريـاض محفوفـه بريـاض

صور تخلب النهى سحريه

كل روض تراه بالعشب نضـرا وترى فيـه جـدولا أو نـهرا
وترى وشيه زهـورا حمـرا ثم أخرى بيضا وصفرا وخضـرا

لازورديـه، وفيروزجيه

وجسور محنيـه فـي الفضـاء ضاربات بين السـماء والمـاء
وقصـور مسـتظرفات البنـاء شـكلها آخـذ بلـب الرائـي

عجب من عجائب المدنيه

فإذا ما اجتليتـها فـي العصـر في بساط من الحدائـق نضـر
قد كساه الأصيـل لـون التـبر ظـهرت كاليـاقوت، أو كـالدر

في نقوش الحدائق الذهبيه

وتفكـر إذا علـوت القطـارا تر منـه مـا يبـهر الأنظـارا
من مراء تحوطـه أيـن سـارا وهو سام بأنفـه استكبـارا

انف ان يومىء لها بالتحيه

كم مجال حول الربـى والجبـال حيث ينساب كانسياب الصـلال
تتجلى فـي سـافل أو عالـي وهو يعد ووثبا وليـس يبـالي

أين درب الوادي، وأين الثنيه

وجبـال تكللـت بالسحـاب واكتست بالأشجار والأعشـاب

وتحلـت بمائـــها المنســـاب في حقول وفي رياض وغـــاب

سائلا كالسبائك الفضيه

وعلى بعضها تلـوح القصـور كل قصر له من العشـب سـور
نسقوها علـى طريـق يـدور فهي في صفحة الجمال سـطور

رسمتها الصناعه الفنيه

فكأن الفـن الحديـث رآهـا فاطبـاه جمالـها وبهاهـا
واعترافا لصنـع بـار براهـا قدر الفن حسنها فحباهـا

من لدنه قلائدا جوهريه

وبها توسـارى، وماتوسـارى جبل من عجيب صنـع البـاري
شامخ فـوق برهـا والبحـار فهو فوق الغيوم بين الـدراري

داخل في العوالم العلويه

يالـها مـن منـاظر ومجـالي حسنها يسـتفز قلـب السـالي
لست أنسى هناك عهدا مضى لـي نـيّرات أيامـه والليـالي

سيما ساعة لنا في العشيه

حيث كنا في القصر فوق النـهر وهو من دوننا يعـج ويجـري
حـول روض مكلـل بـالزهر كل حين يأتي النسـيم فتسـري

بيننا منه نفحه عطريه

وارائي غان كخشـف الغـزال فـاتن شـيب حسـنه بـالدلال

اين وصفي من حسنه والخلال فيه أشياء فوق كل جمال

هي فيه لطائف معنويه

عود على بدء

حقا لقد كانت باخرتنا اليوم احسن من التي أبحرت عليها من سنقافوره عند قدومي وأفخم وأنها عدا ذلك احسن نظاما واكثر أناقة وأسرع جريا من تلك بكثير، ولا بدع فهي باخرة البريد التي تحافظ بدقة على مواعيدها، وتتحرى جدا أن لا يفوتها فخر السبق دائما، الأمر الذي اختصت به هناك بواخر شركة K P M التي للبريد.

ولكن أمرا واحداً قد امتازت به باخرتنا الأولى الأسترالية كان أهم عندي من كل هذا النظام وخيرا من هذه الزخرفة وهذه السرعة، ذلك هو قله الركاب لما يلازمه من الهدوء والسكون، حينما كانت مطيتنا اليوم قد بلغت النهاية في الزحام والضجة الزائدة لاسيما في ناحية (لديك)، الأمر الذي فوت علي كثيرا من متعتي بجمال الطبيعة والتفكر الهادي المطمئن في مباهج الكون وجلاله في تلك البحار وبين هاتيك الجزائر، فلا غرو إذا كانت ساعاتي اليوم عادية مدنية تقريبا تحيط بها الزحام وتغمرها الجلبة، فبعد أن ابتعدت بنا السفينة عن ميناء بتافيا دخلت لأتفقد غرفتي وأمتعتي، فرأيت انه قد جاورني في هذه الغرفة رجلان أحدهما هندي والآخر جاوى فبادلتهما الاشارة بالتحيةه، ولم أحجم عن سؤالها عن حالهما ومقصدهما، أما الأول فقال انه سينزل سنقافوره وأما الآخر وهو الجاوى فقال انه قاصدا شمال سومطرا.

وعندما حضر المغرب ذهبت إلى (الديك) لأؤدي الفريضة مع بعض الاخوان العرب هناك ولم اعد إلا عندما دق الجرس منبها بحضور وقت طعام العشاء، وبعد تناوله جلست على أحد المقاعد المطلة على البحر حتى آن أوان النوم آويت إلى الغرفة.

وجاء يوم الأحد ٣٠ ذي القعدة ٢٣ فبراير فإذا نحن قد أصبحنا بين جزيرتي سومطرا وبنكا عند ذلك تهيأت للبروز على السطح للتفرج بالنظر إلى تلك السواحل النائية حيث لبثت برهة ثم خرجت إلى الغرفة لحاجة وعدت بعدها إلى السطح ثانيا حيث لبثت إلى الساعة العاشرة (الرابعه ع) وحينئذ كانت باخرتنا بلغت بنا أمام مينا بنتوك ومع رسو الباخرة هنا فلم تقم بهذا المرسى كثيرا إلا ريثما صعد إليها بعض المسافرين الذين كانوا قد خرجوا في زوارقهم لملاقاتها قبل أن تبلغ المرسى.

وقد مكثنا بقية يومنا نقطع المشقة حيال سومطرا وما يحاذيها من الجزائر، وكانت سواحل هذه الجزائر تبدو حينا وتغيب تارة وكان في منظرها لنا متعة وبهجة، لاسيما عندما حل الأصيل وخلعت الشمس على تلك النواحي رداءها الذهبي الوهاج، فظهرت به تلك المجالي في منظر عجب زاهر، ثم ذهبت إلى (الديك) إلى بعض الزملاء العرب لأصلي معهم الفريضتين جمعا، وعدت بعد ذلك إلى الغرفة، ولم اخرج إلا عند سماع صوت الجرس المؤذن بحضور الطعام وبعد تناول العشاء برزت على السطح لأملأ رئتي من هواء البحر ونسيمه العليل واسرح نظري مليا في مباهج السماء وقد انعكست أشعة نجومها الالماسيه على صفحة الداماء حتى مضى ردح من الليل آويت إلى الفراش حيث نمت إلى الصباح.

فرحة الأوبة، بلوغي ميناء سنقافورا وانتهاء الرحلة

يقول الطائي:

وليست فرحة الاوبات إلا لموقوف على ترح الوداع

فهل هذا الحصر صحيح؟ وان فرح الأوبة مقصور على المفارق الحزين؟

لقد أصبحت اليوم غير معترف بهذا، فها أنا ذا أؤوب من رحلتي إلى جاوا إلى محل إقامتي سنقافوره ممتلئا فرحا وحبورا حتى لا أكاد أعربد في طرب اللقاء واعثر في مرح السرور، وقد فارقت سنقافوره من قبل وودعت حين ودعت أهلي وخلاني وأنا باسم الثغر فرح القلب، واعدا إياهم باللقيا قريبا من رحلتي هذه التي ابشر نفسي

فيها بكل ما تتمنى من المتعة والبهجة، مستبشرا جدا بما سألاقيه هناك من ضروب اللذة وأفانين النعيم: لذاذة النظر في جمال ما أبدعه بديع السموات والأرض في تلك المطارح الخصيبة الموشحة بخير ما نسجته أيدي السحائب من رياض وغياض وأودية وهضاب، ونعيم التمتع بالتقلب بين تلك المباهج الجمة المتعددة ذات النسيم العليل، والماء السلسبيل والظل الظليل والهواء الصحي الجميل المتنوع في تلك المواقع. هذا عدا ما هنالك من الاجتماع بالإخوان ولقاء الخلان الذين يخفق الفؤاد لذكراهم اجل. لقد ذهبت عن سنقافوره وأنا احدث نفسي بما ذكرت وسواه مما لم اذكر، مما تخيلته، فتمنيته إذ ذاك فحققته لي الأيام بعد.

فلم احزن لأني لم أفارق الأحباب لرحله طويلة بل لنزهة أرى أنها بمشيئة الله ستكون قصيرة الأمد، ولم اترح لأني سأنقلب عن سنقافوره إلى جاوا، فأنا لست ذاهبا إلا إلى نزهة في جنة الشرق المجاورة مدعوا بدواعي شوق قلبيه ومدفوعا بدوافع رغبة نفسيه، فكيف الترح والحزن إذا.

فمالي اليوم أعود إلى سنقافوره وقلبي يحبب جذلا موافاة هذه المدينة، ومالي أكاد ارقص طربا لملاقاة الأحبة بها، واقبل عليها بقلب فائض السرور ووجه طافح البشر، كأنما أساق إلى جنة عدن، لا إلى مدينه من مدن الدنيا •

وما لهذا الصباح يطلع علي بجبينه الوضاح المنير وكان فيه ميزه تميزه عن سائر صبح الأيام، وكأنما يبتسم إلي في بشر وفرح مهنئا لي بملاقاة الأحبة والاخوان والأصدقاء الذين اضمر لهم القلب جميل الوفاء وخالص المودة، فأين صحة ما افهمه قول حبيب؟.

هذا ما حدثت به نفسي في اليوم الأول من ذي الحجة الحرام عام ١٣٥٤هـ ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٦م حينما أشرفت بنا الباخرة على رصيف سنقافورا المنير، وهي تقترب منه رويدا رويدا حيث رأيت عليه صفا من المستقبلين لم البث ان تبينت منهم بعض الاخوان الكرام، فكاد القلب يثب طائرا نحوهم، ومارقت الشمس من مطلعها وارتفعت قليلا، حتى رست الباخرة وصعد إليها من بينهم الأخ العزيز/ احمد

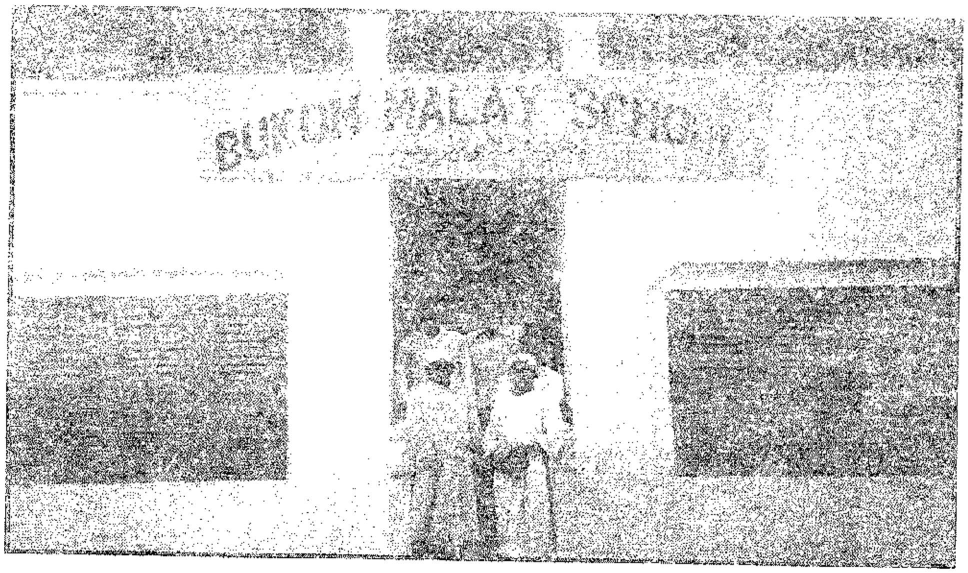
بن محسن الحامد وابن أخي السيد/ شيخ بن احمد الحامد، وبعد المصافحة ومبادلة عبارات اللقاء المعتادة، سلمت إليهم مفاتيح حقائبي ودللتهم على أمتعتي، وحينئذ غدوت كالعريس الذي يزف به وهو متلبس بحالة الطفل غير مفكر إلا فيما سيلاقيه مما اعد له من المتعة والنعيم.

وانحدرنا إلى الرصيف وعند ذلك وضعت قدمي في ثرى سنقافورا البديعة المدينة العظيمة المشهورة بين مدن هذه الجزائر بازدحام سكانها وعلو بنيانها، وانها مفتاح الشرق الأقصى وعروس ولايات المضيق، وركبت السيارة عائدا إلى منزلي الذي فارقته منذ نحو أربعة اشهر ونصف، حيث ألقيت عصا السفر مستشعرا انتهاء رحلتي إلى جاوا الخصيبة.

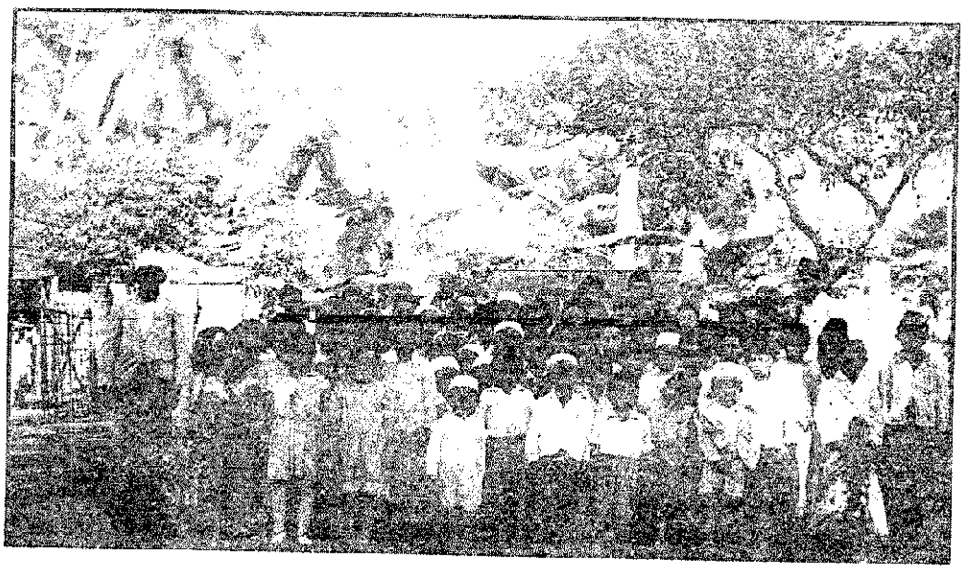
وهنا انتهى ما أردت تدوينه عن رحلتي الثالثة إلى جاوا، والحمدلله أولا وآخرا ونسأله العون والتوفيق فيم بعد لكتابة ما أريد كتابته عن أيامي في ملايا. وهو ولي ذلك...

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

المحتويات

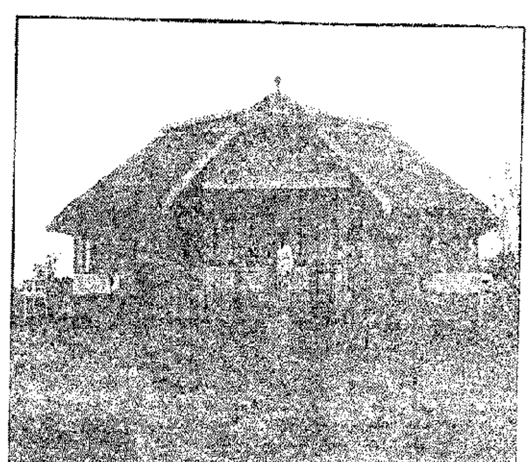


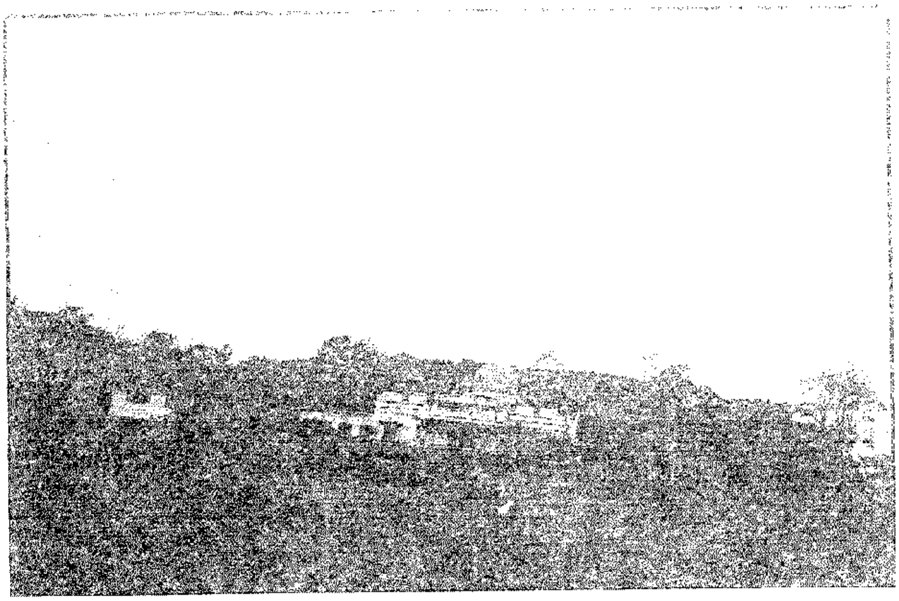
صورة مع مؤسس مدارس النهضة أبوبكر بن طه السقاف



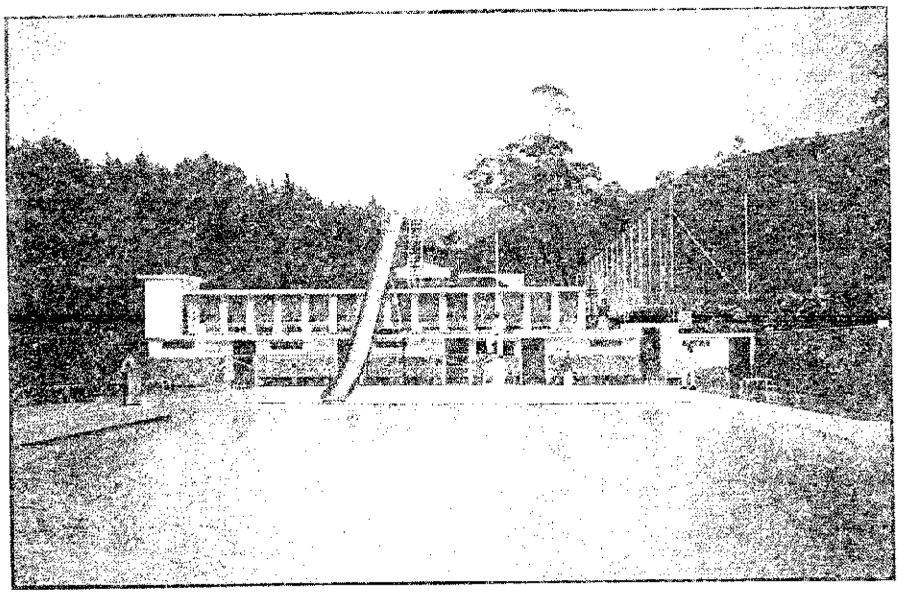
صورة طلاب احدى المدارس

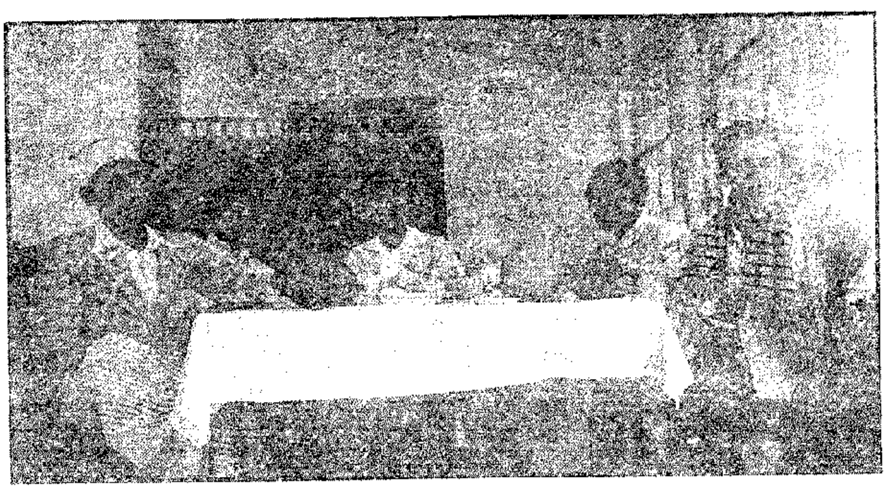




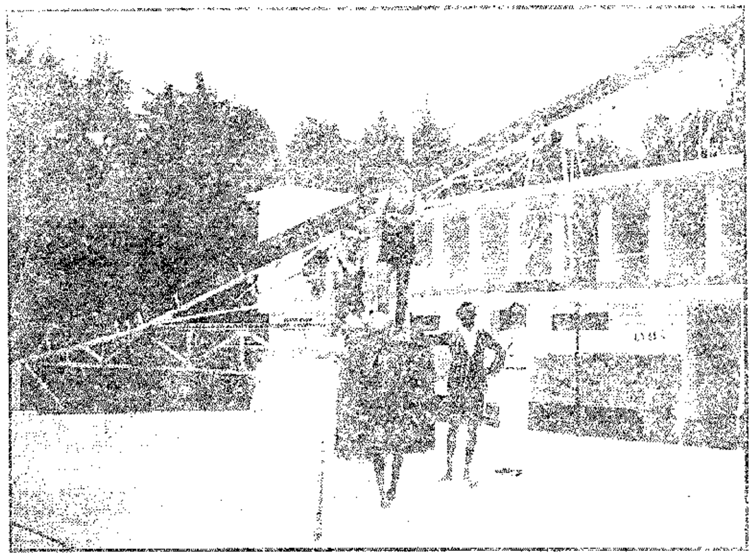


قصر باسويدان





صورة احدى الاستراحات في الرحلة بعد تناول الغداء



صورة مع الفنان شيخ البار

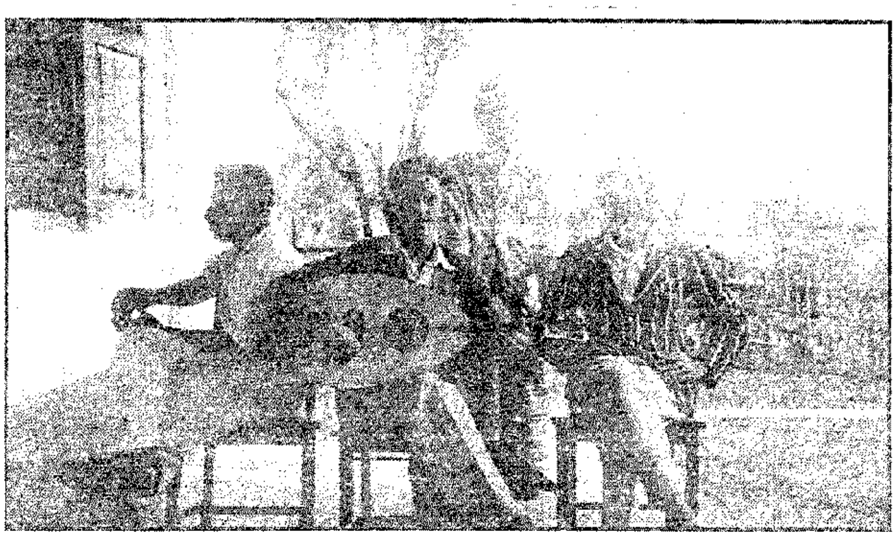


جلسة مع الفنان شيخ البار

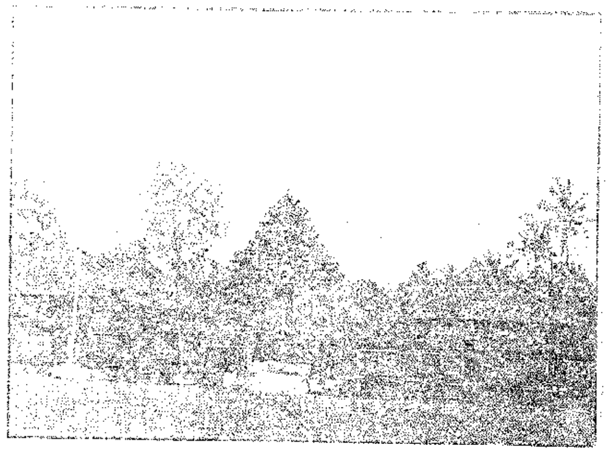




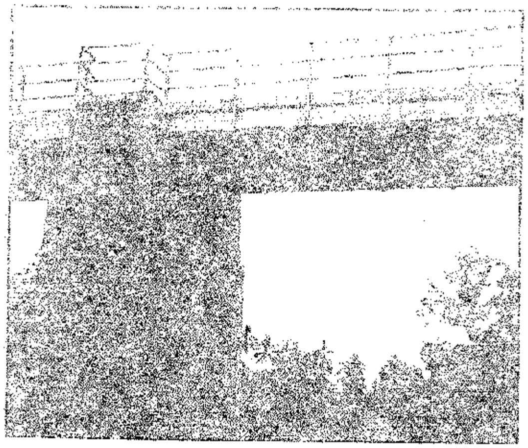




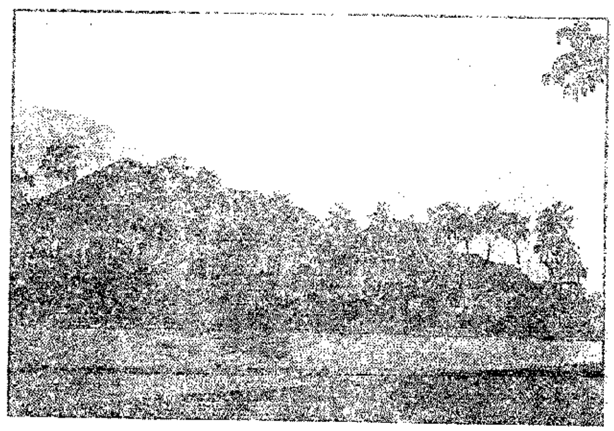
صورة مع الفنان شيخ البار



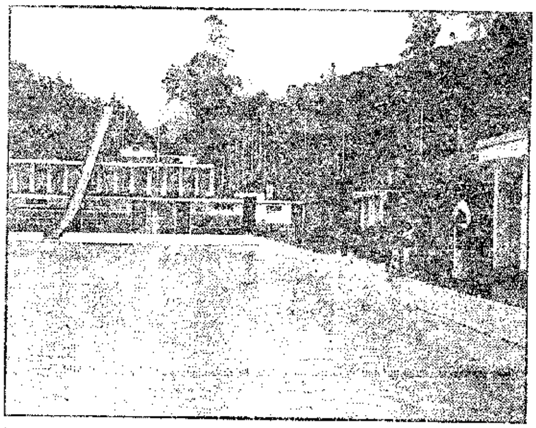
صورة معبد



جانب من الجسر المعلق



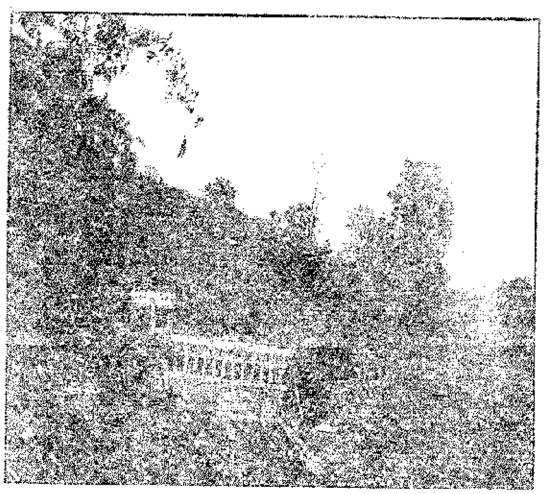
بيوت اندنوسية ذات طابق واحد



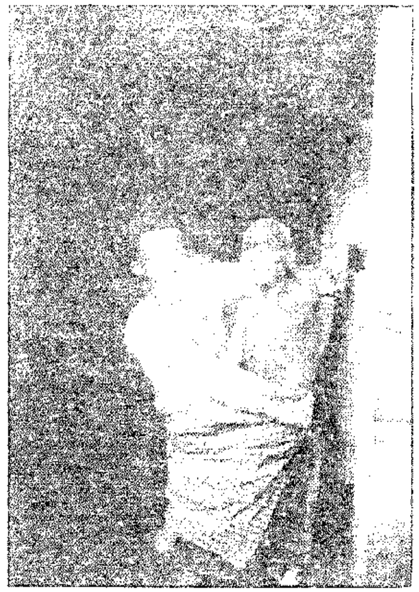
منظر من جاوا الجميلة



الحيوان يخرج من فمة الماء

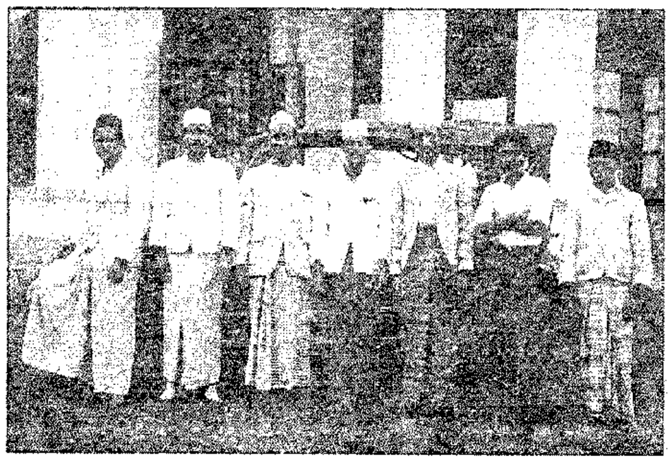


منظر من جاوا الجميلة



الشخص المعمر

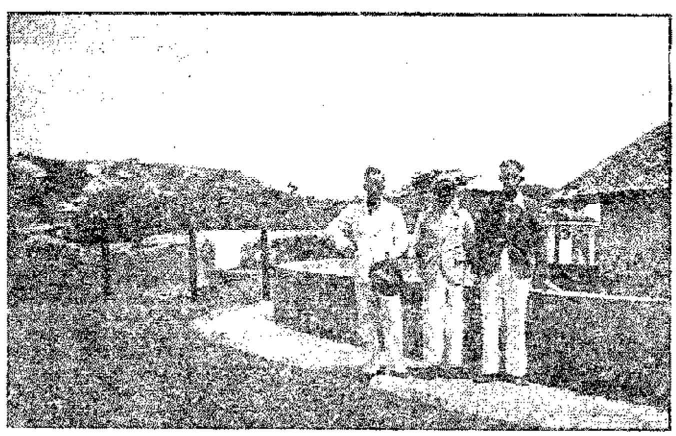




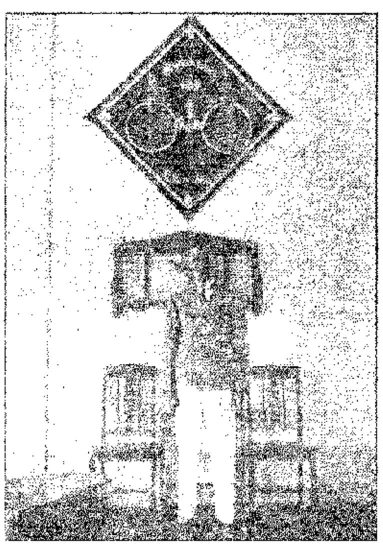
صورة تذكاريه اثناء الرحله



صورة مولى الدويلة مع عائلته



صورة تذكاريه اثناء الرحله



صورة الأستاذ قيدان